



مسرحيات عالمية

نصف شهرية

سبع مسرحيات

ابوشنب

تأليف :
يوجين أونيل

ترجمة وتقديم :
د. نعيم عطية

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
هيئة الإذاعة والمسرح والموسيقى
الدار القومية للطباعة والنشر
الثقافة والإرشاد القومى

١٥ يونيه ١٩٦٥

سَبْعُ مَسْرَحِيات

تأليف يوجين أونيل

- بدر على جزر الكاريبى .
- شرقا الى كارديف .
- رحلة العودة الطويلة .
- فى المنطقة .
- زيت الحيتان .
- حيث وضعت علامة الصليب
- الحبــــل .

المحتوى

مسرحيات يوجين أونيل القصيرة

اللهفة الى البقاع النائية

ولد الكاتب الأمريكي يوجين أونيل في السادس والعشرين من أكتوبر عام ١٨٨٨ ومات في السابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٥٣ بعد أن حصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٣٦ .

وقد التحق أونيل بجامعة برينستون في سن السابعة عشرة ، وغادرها بعد سنة واحدة متقلباً في عدة أعمال ، فاشتغل كاتباً وفي إحدى المنشئات ، ثم رحل في مغامرة إلى جزر هيندوراس للبحث عن الذهب ، لكنه لم يجن من مغامرته سوى الحمى والمرض ، ثم عمل مساعداً لمدير إحدى الفرق التمثيلية المتنقلة ، ولكنه ما لبث أن ترك العمل على اليابسة ليعمل بحاراً على سفينة كانت تقطع المسافة من بوسطن إلى بيونيس أيريس في خمسة وستين يوماً . ثم تركها واشتغل في الأرجنتين مستخدماً في عدة شركات تجارية . ثم عاد إلى العمل بحاراً على سفينة تجارية كانت تسافر من بيونيس إيريس إلى ديربان وبالعكس . ثم التحق بسفينة أخرى من بيونيس أيريس إلى نيويورك ، ثم بسفينة أخرى كانت تعمل على الخط بين نيويورك وساوثهامبتون . على أنه عاد وغير حرفته من جديد إلى ممثل في فرقة أبيه الجوالة ، لكنه لم يبق على خشبة المسرح طويلا ، فقد شب على كراهية الأحاسيس المزيفة التي كانت تقدمها مسرحيات أبيه « كالكونت دي

مونت كريستو » و « الفرسان الثلاثة » وامثالهما من المسرحيات التى تعكس روح ذلك العصر ، فقد كان عصراً خجلا من أحاسيسه الحقيقية . ومن ثم كان يجب أن تنتهى المسرحية بانتصار الفضيلة على الرذيلة . كان الرجل إما بطلا أو شريراً ، والمرأة اما فاضلة أو عاهرة . ولم يكن هناك شيء فى منتصف الطريق قط (١) .

والتحق أونيل بعد ذلك بوظيفة مخبر صحفى فى إحدى الصحف بمدينة صغيرة بولاية كونيكتيكوت . وقد عالج قرض الشعر ، وتعلم خلال عمله مخبراً صحفياً فى « التليغراف » شيئاً عن كتابة القصص . ولكن تلك الكتابات لم تزد عما يحاوله أغلب الفتيان قبل أن يشبوا عن الطوق .

لقد مضى أونيل طوال صباه يتخبط بين المدرسة والاسفار والمغامرات فى أعالى البحار ، والتنقل من وظيفة إلى أخرى فى شمال أمريكا وجنوبها . وقد قال أونيل لأحد الصحفيين فيما بعد « إن من الناس من لا بيت له ، أو بعبارة أدق أن البيت بالنسبة له هو حيث يكون أكثر حرية . ومثل هذا الشخص لا تنتهى مغامراته مادام على قيد الحياة . انه موصوم حلت عليه اللعنة : لعنة اللهفة إلى جمال البقاع النائية والأماكن المجهولة . لعنة الجرى بحثاً عن السر المخبوء هناك ، وراء الأفق . »

المرض والميلاد الجديد

لم يدر بخلد أونيل فى لحظة من اللحظات أن يفكر فى صحته التى أخذت

(١) راجع ص ١٧ من : Croswell Bowen ; The curse of the misbegotten. New-York. 1959

تضمحل يوماً بعد يوم ، حتى أخبره الطبيب فى ديسمبر عام ١٩١٢ أنه مصاب بدرن خفيف فى الرئة ، وأنه يجب أن يكبح جماح شطحاته . وفى عشية عيد الميلاد دخل أونيل مصحة الدكتور جايلور فى والنجفورد بولاية كونيكتيكوت .

وحتى ذلك الوقت لم يكن لدى أونيل فكرة واضحة عما يريد أن يفعله. وقد قال فى هذا الصدد « كان أبى قلقا على . لم يكن يعرف كيف يعاملنى ، إذ لم يكن يفهم ماذا كنت أحاول أن أعمله . كل ما كان يريده هو أن استقر وأكسب عيشى . وكثيراً ما رسخ فى نفسه أنى لست إلا خاملا كسولا » .

أمضى أونيل فى المصحة الفترة بين شتاء عام١٩١٢ وربيع عام ١٩١٣ يعيد — على حد قوله — التفكير فى حياته من جديد . وأحس لأول مرة بالدافع إلى أن يكتب ، وبالرغبة فى أن يعبر عما عرفه وخبره فى حياته السابقة الحافلة بالأحداث والانطباعات .

كانت الشهور التى قضاها أونيل فى المصحة نقطة تحول فى حياته . وفى هذا يقول فى « مذكرات الحياة الطليقة » التى كتبها عام ١٩٢٣ « فى مصحة جايلور أتيحت لعقلى الفرصة أن يستقر ويهضم انطباعات عدة سنوات تراكمت فيها التجارب بعضها فوق بعض دون أدنى تأمل ، ويجرى عملية تقويم لهذه الانطباعات . لقد أعملت فى المصحة فكرى فى حياتى لأول مرة ، فى الماضى والمستقبل . ولا شك أن السكون الذى فرضته على الحياة فى المصحة قد حملنى على النشاط الذهنى ، وبخاصة لأننى كنت على الدوام مرهف الحس ، عصبى المزاج » .

وخرج أونيل من المصحة فى الرابع والعشرين من مايو عام ١٩١٣ فلم تكن اصابته خطرة ، لكن تحذير الطبيب انغرس فى أعماقه ، وظل عالقاً بذهنه على الدوام ، فمضى يستعيد صحته من جديد .

ومن الصعب أن نقلل من أهمية مرض أونيل فى شتاء عام ١٩١٢ ، فقد كان الفتى الذى دخل المصحة غير الرجل الذى خرج منها . كان الأول صبياً متوحشاً يهوى الحياة الطليقة ، وقد حمله فضوله وقلقه بعيداً عن أسرته وأصدقائه جريا وراء البلاد الغريبة .. وفى أثناء جولاته تعلم أشياء كثيرة عن الناس ، عن نفاقهم والاقنعة العديدة التى يضعونها على وجوههم ، عن عقولهم وأعماق قلوبهم وأساليب حياتهم . ويبدو أن أونيل وجد – كما وجد جوركى من قبل – فى حياة المنبوذين والأشقياء والرعاع وحثالة البشر حقيقة وعزاء وطريقة ناجعة لقراءة الحياة وفهمها .

روى أحد أصدقاء أونيل عنه أنه شغف بمرافقة صبى غرير فى وقت من الأوقات . وكان يستجيب بكل رقة وإشفاق إلى حاجة الصبى الملحة للتعرف على الوجود المحيط به . وذات يوم كان أونيل يجلس مع الصبى على شاطىء المحيط الأطلسى فى مدينة بروفينستاون . وسأله الصبى « ماذا وراء المحيط؟ » فأجاب أونيل « أوروبا » فمضى الصبى يسأل » وماذا وراء أوروبا ؟ » فأجابه أونيل « الأفق » فلم يقنع الصبى واردف سائلا « وماذا وراء الأفق ؟ » هذا ما كان يسعى أونيل إلى معرفته : ماذا وراء الأفق ؟ فمضى يبحث عما وراء البشر . وقد وجد فى الأوساط المنبوذة التى اختلط بها شيئاً لم يجده عند سادة المجتمع الراقى وسيداته .

مسرحيات الفصل الواحد بداية الطريق

حين غادر أونيل المصحة كان عزمه قد استقر على أن يصبح كاتباً مسرحياً . وبدأ بكتابة المسرحية ذات الفصل الواحد . وأخبر أونيل صديقه القديم الصحفى لاتيمر Latimer أنه يريد أن يكتب « شيئاً جديراً بالاهتمام فى حد ذاته

دون اهتمام بقيمته التجارية » وقد روى صديقه المذكور أنه « فى ذلك الوقت كان فى أونيل شىء متأصل ، شىء نبيل يلهمه ويدفعه إلى تحقيق ذاته على الرغم من كل العقبات ، ومهما تآمرت عليه الملائكة أو الشياطين لسلبه الحق فى أن يبعث من جديد » .

وكان أونيل قد أصاب بعض التوفيق فى مجال القصة القصيرة ، لكنه لم يكن توفيقاً كبيراً على أية حال ، فقد كان يجد عملية السرد مضنية وعقيمة للغاية ، ويقول إن الطريق الوحيد الذى كان يبدو أن بامكانه أن يعبر به عن خلجات نفسه هو الحوار (١) .

وما أن انتهى عام ١٩١٤ حتى كان أونيل قد كتب إحدى عشرة مسرحية من فصل واحد . وفى هذه الأثناء كان يقرأ بشغف فلسفة نيتشة ، ومسرحيات الكاتب التعبيرى الألمانى ويدكيند ، وروايات دستوفيسكى وتولوستوى ، وعلى الأخص « الحرب والسلام » التى أصبحت — على حد قوله — جزءاً من حياته . كما قرأ زولا وهوجو وبلزاك وستندال . وكان باونيل ولع شديد كذلك بقراءة دواوين الشعر . ولقد قال « قرأت كل ما كان بامكانى أن أضع يدى عليه : الأغريق والاليزابيثيين ، وعلى الأخص كل الكلاسيكيات ، وبالطبع كل الجدد مثل ابسن وسترنبرج . وعلى وجه الخصوص سترنبرج » وكان لأونيل صديق طبيب يدعى الدكتور جوزيف جانى Dr. Joseph Ganey يملك مكتبة حافلة بالكتب لا يعبر منها شيئاً خارج بيته قط ، فقرأ أونيل عنده مؤلفات جى دى موبسان . ويعتقد الطبيب أن الكاتب الفرنسى كان ذا تأثير كبير على أونيل (٢) .

---

(١) راجع كروسويل بوين ص ٥٦

(١) راجع كروسويل بوين ص ٥٨ و ١٢٥ و ٣٠٧

وكانت أولى مسرحيات أونيل التي سجل لنفسه حقوق تأليفها مسرحية من فصل واحد بعنوان « زوجة للعمر كله A wife for a Life » وهى هزلية عن رجل يتنازل عن زوجته لصديقه . وقد قال عنها أونيل إن فكرتها خطرت له عندما كان يمثل فى فرقة أبيه التجارية . وهى — على حد قوله — المسرحية الوحيدة التى كتبها بقصد الربح مركزاً عينيه على شباك التذاكر . والمسرحية وإن حفلت بالحركة التى تعتمد عليها أكثر مما تعتمد على الحوار ، إلا أنها — على حد قوله أيضاً — أسوأ مسرحية كتبها فى حياته .

على أن أولى المسرحيات التى كتبها أونيل وقدر لها البقاء هى مسرحية من فصل واحد بعنوان « الشرك The web » ألفها فى أواخر عام ١٩١٣ . وتبدأ بهذه العبارة « يا إلهى ، يا لها من ليلة ! » وهى ميلودراما سافرة تدور حول مومس وعشيقها الذى يستغلها ويبتز مالها . وتجرى الأحداث فى غرفة نوم قذرة على سطح منزل بأحد الأحياء الحقيرة بنيويورك . وللمرأة طفل يعتبر مصدر مضايقة لعشيقها ستيف الذى يضربها فى المشهد الأول حتى تسقط على الأرض . فيدخل رجل آخر لينقذها فى اللحظة الأخيرة ويهددها ستيف بأنها لو سولت لها نفسها أن تشى به فإنه سيلقى بها فى السجن وينتزع منها الطفل . ويعطى الرجل الطيب المرأة المسكينة نقوداً لترحل . ويتضح أن هذا الرجل الطيب هارب بدوره من العدالة . وما يلبث أن يظهر ستيف الذى كان مختبئاً ويقتل الرجل الطيب ، ثم يضع المسدس بطريقة تثير الشبهات حول المرأة . ويصل رجال الشرطة على عجل ويتمكنون من القبض عليها ولم تكن قد ابتعدت كثيراً . وعندما يصرخ الطفل « ماما ! ماما ! » يأخذه أحد رجال الشرطة بين ذراعيه ويهدهده قائلا « رحلت ماما . أنا الآن أمك » ويسدل الستار (١) .

---

(١) راجع ص ٥٩ و ٦٠ من كروسويل بوين وص ٤٩ و ٥٠ من : Barrett H. Clark ; Eugene O'Neill : The man and his plays. New-York.

كانت مسرحية « الشرك » عملا غير ناضج والحوار هزيلا ، لكن الذى يستحق الانتباه فيها أنها انطوت فى مرحلة مبكرة على أهم مقومات فن أونيل ، ألا وهو القسوة والمأساة .

أما « اجهاض » Abortion فهى مسرحية من فصل واحد يحكى فيها اونيل قصة طالب من أبطال البيسبول يغرر بفتاة . وعندماتحمل منه سفاحاً يعمد إلى اجهاضها للتخلص من الجنين الذى فى احشائها فتموت . ويعلم شقيق الفتاة بما حدث لأخته فيقرر ابلاغ البوليس . فيعمد بطل البيسبول إلى الانتحار .

كان أونيل مفتوناً بفكرة مسرحيته المبكرة هذه حتى أنه لم يمل من إعادة كتابتها المرة تلو المرة . على أن النقاد يرون أن هذه المسرحية ليست عملا يفخر به صاحبه (١) .

أما « طيش » Recklessness فهى مسرحية خاطفة مؤثرة تدور حول الانتقام . يعود أحد الأزواج إلى بيته فيعلم أن زوجته قد تورطت فى علاقة غرامية مع سائق سيارته . وبعد أن يحصل على الحقائق من خادمة غيور ، يرسل السائق فى مهمة بالسيارة وهو يعلم علم اليقين أن بآلاتها خالا خفياً خطيراً. ويخرج السائق بالسيارة ليلقى حتفه . وعندما يعودون بجثمانه تقتل الزوجة نفسها (٢) .

كان كلايتون هاميلتون Clayton Hamilton الناقد المسرحى صديقاً لأسرة أونيل ، إلا أن يوجين لم يصارحه بأنه يكتب المسرحيات إلا بعد تردد .

وذات مرة قال له « إنى أحاول كتابة المسرحية ذات الفصل الواحد ، وأود أن أسألك كيف افعل ذلك ؟ » فأجابه هاميلتون قائلا « لا يهم كيف تكتب المسرحيات . اكتب ماتعرفه عن البحر ، وعن الرجال الذين يقودون السفن .

---

(١) راجع كروسويل بوين — ص ٥٩

(٢) راجع باريت كلارك — ص ٥١

لقد عولج هذا الموضوع فى الرواية والقصة ، ولكنه لم يعالج فى الدراما . ركز عينيك على الحياة ، على الحياة كما رأيتها ، وليذهب ما عدا ذلك إلى الجحيم »

وكانت مسرحيات البحر التى بدأ أونيل كتابتها فى ربيع عام ١٩١٤ صبيانية ولكنها قوية . وقد وصفت « ظمأ » Thirst بأنها « تراجيديا » ومن المحتمل أن يكون أونيل قد استوحاها من قراءاته لجاك لندن Jack London وتدور المسرحية حول ثلاثة أشخاص : رجل متمدين ، وراقصة ، وبحار أسود فى عرض المحيط . وتبدأ المسرحية بالراقصة تستدير متوسلة إلى السيد المتحضر وتقول « يا إلهى ! يا إلهى ! هذا الصمت يدفعنى إلى الجنون ! لماذا لا تكلمنى ؟ ألم تظهر أية سفينة بعد ؟ »

وتكشف المسرحية عن ثلاثة من البشر اليائسين على وشك الموت ظمأ . ويجلس البحار بمعزل عن الآخرين يترنم فى صوت خافت بأغنية من أغانى الزنوج . وقد دار بخلد الراقصة والرجل الآخر أن البحار الأسود يخفى عنهما قنينة من الماء ، فتقترب منه المرأة وتعرض عليه عقدها لقاء جرعة من الماء . ولكن البحار يصر على أنه لا يخفى ماء ، ثم تعرض عليه المرأة نفسها لكن الزنجى لا يتأثر بهذا العرض . وعندما تلفظ المرأة أنفاسها الأخيرة من فرط الظمأ ، يبدأ البحار فى إظهار اهتمامه بالحياة ، فيخرج مطواته ويسنها قائلا للرجل المتمدين وهو يرمق الجثة « سنأكل ، وسنشرب » إلا أن الرجل المتحضر يدفع جسد المرأة الميتة إلى البحر مشمئزاً ، فيستشيط الزنجى غضباً ويطعن الرجل بمطواته فى ظهره . فيستدير هذا الأخير نحوه ويمسك به فيسقطان إلى اليم معاً وتبتلعهما أمواج المحيط . ويتوهج قرص الشمس فى السماء كحدقة عين اشتعلت غضباً وحنقا . وعلى سطح الحطام الغارق يتلألأ العقد فى ضوء الشمس المتقدة (١) .

(١) راجع باريت كلارك — ص ٥٠ و ٥١

والمسرحية مكتوبة بأسلوب خطابى عنيف ولكن مامن شك فى أنها تنطوى على قسط من الصدق المرير .

أما « تحذيرات » Warnings فهى مسرحية ذات فصل واحد من مشهدين . نرى فى المشهد الأول عامل لاسلكى فى بيته بين أفراد أسرته . إنه يعمل على ظهر سفينة من عابرات المحيط ، وقد أخبره الطبيب بأنه مصاب بمرض قد يفقده السمع فى أية لحظة ، لكنه فى سبيل ضمان قوت أسرته لا يجرؤ على إخبار رؤسائه بالأمر .

وينقلنا المشهد الثانى إلى غرفة عامل اللاسلكى على ظهر السفينة وهى تغرق فى عرض المحيط ، بينما مضى العامل يائساً يبعث بالاشارات طالباً النجدة ، لكنه غير قادر أن يتلقى أية إجابة . ويصرخ فجأة قائلا للقطبان « يا إلهى ، لقد أصبت بالصمم ! لا يمكننى أن أسمع شيئاً . وقع الأمر كما قال الطبيب تماما أوه ، كان يجب أن أخبرك ، يا سيدى ، قبل أن نبدأ الرحلة ، لكننا جد فقراء ... » وينتهى المشهد بأن يطلق عامل اللاسلكى النار على نفسه .

ويقول الناقد باريت كلارك (١) إن هذه المقطوعة تنطوى على نواة مسرحية جيدة ، لكن المؤلف الناشىء لم تكن لديه الخبرة الكافية بعد حتى يفرغ فكرته فى قالب موفق ، فلم تكن ثمة حاجة إلى أن يكتب مشهداً بأكمله ليبين فيه أسرة البطل ، بل كان يكفيه أن يوضح بطريقة أكثر إيجازاً أن البطل لم يكن قادراً على أن يتخلى عن وظيفته بسبب أسرته وحاجتها إلى مرتبة .

أما « ضباب » Fog فهى أفضل من سابقتيها . كما أنها أولى المسرحيات التى حاول فيها أونيل النفاذ إلى ما هو أبعد من مجرد المظهر السطحى للواقع ، والوصول إلى مسرح ما بعد الواقعية الطبيعية .

(١) مرجعه السابق — ص ٥٢

نرى فى المسرحية قارب نجاة يهيم يائساً فى رحاب المحيط قريباً من البقاع القطبية ، ويخيم ضباب كثيف على سطح البحر الساكن . وركاب القارب شاعر ورجل أعمال وفلاحة وطفل ميت . وقد انساق قاربهم إلى حافة جبل ثلجى . يسمعون صفارة سفينة بخارية تدوى من بعيد . ولكى ينقذ الشاعر السفينة من الارتطام بالجبل الثلجى يمنع رجل الأعمال من الصياح للنداء عليها . ونرى من ذلك أن المسرحية ليست نقلا واقعياً من الحياة . ان الشاعر رمز للمثالية ، ورجل الأعمال صورة مجردة للنفعية . ويبدو لأول وهلة أن الهلاك قد كتب على من فى القارب ، ثم ما يلبث الضباب أن ينقشع ، وتقترب السفينة من القارب . وفى هذه الأثناء تكون المرأة قد ماتت لتلحق بالطفل الصغير . ويقول بحارة السفينة المنقذة لركاب القارب ان الذى قادهم إليهم هو صوت الطفل . وعندما يعرف ضابط السفينة أن المرأة ماتت يقول « يالللأسف ! لكن الطفل بخير طبعاً ؟ » ويجيبه الشاعر « لقد مات الطفل منذ أربع وعشرين ساعة . مات عند الفجر ، أمس » .

إن « ضباب » مسرحية رمزية ، تختتم بومضة من الجمال غير متوقعة . وهى ليست من النزعة « الطبيعية » Naturalism لأن الشخصيات ترمز بجلاء إلى فكرة الصراع بين المادة الجشعة والمثالية المصفاة . وهى من الناحية الفنية تنبىء بالتعبيرية Expressionism التى ستبدو فى مسرحيات أونيل اللاحقة مثل مسرحيته الطويلة « القرد كثيف الشعر » (١) .

أما مسرحية « شرقاً إلى كارديف » Bound east for Cardiff فقد كتبها أونيل فى ربيع عام ١٩١٤ . وتقوم على حادثة فى منتهى البساطة تقع آلاف الحوادث مثلها فى كل يوم وفى كل مكان . بحار تزل قدمه أثناء نزوله

(١) راجع باريت كلارك — ص ٥٢ و ٥٣ ، وكروسويل بوين ص ٦١

على سلم السفينة التي يعمل عليها فيسقط ويصاب إصابة داخلية جسيمة تلزمه الفراش . وعندما تبدأ المسرحية لا يكون قد بقى على موته إلا القليل . يتجاذب زملاؤه البحارة أطراف الحديث فى المقصورة التى ينامون فيها . وهم فى انتظار حلول نوبتهم للصعود إلى العمل على ظهر السفينة ، فى حين راح بعض البحارة الذين ليس عليهم دور العمل فى نوم عميق وغطيط رتيب . ويحكى أحد البحارة الجالسين قصة إحدى مغامراته السخيفة . ولا يأبه الجميع لزميلهم يانك المريض الذى يقطع عليهم ضحكاتهم بأناته المتوجعة .

وعندما تحين نوبة الصعود إلى سطح السفينة ، يتوسل يانك إلى صديقه دريسكول ألا يتركه وحيداً فإنه لا يخشى الموت ، لكنه يخشى أن يموت وحيداً. ويدور بين الصديقين حديث بسيط نفاذ رائع عن ذكرياتهما القديمة : مشاجرات ، وإفلاس ، ورحلات ، ومشاركة فى السراء والضراء . إن يانك الذى يوشك أن أن يموت كان قد أنقذ فى إحدى المرات صديقه دريسكول من الموت بشجاعته ورباطة جأشه . ويتحدث الصديقان عن آمالهما فى الحياة ، وعن رغبتهما التى لم تتحقق فى أن يهجرا حياة البحر ويقتنيا بيتاً صغيراً وقطعة أرض يزرعانها . وان يكون لكل منهما بيت وأسرة وأولاد. كان يانك يريد أن يدفن على أرض يابسة ، بيد أنه لو مات الآن فسيلقى بجثته إلى أعماق البحر . ولكن ماذا يهم ؟ البحر مكان طيب شأنه شأن أى مكان آخر . إلا أن الذى يضايقه حقاً هو أن الليلة مدلهمة الظلمات وليس فى السماء قمر أو نجوم تودعه عندما يسجى جسده على سطح السفينة برهة قبل أن يلقى به إلى اليم السحيق .

ويوصى يانك صديقه دريسكول أن يقتسم مع بقية الرفاق ما يستحقه من أجر ضئيل ، وان يأخذ هو ساعته — التى وان كانت لا تساوى شيئاً — إلا أنها كل ما يملكه . فليأخذها صديقه العزيز تذكاراً منه . فليس له أقارب على

الإطلاق . ولكن هناك « فانى » وهى فتاة تعمل فى إحدى الحانات قدمت له ذات مرة خدمة صغيرة بأن اقرضته بضعة قروش عندما نفدت نقوده فى الرحلة الماضية ، ويريد أن يرد لها الجميل ، فيوصى دريسكول أن يشترى لها من تركته الضئيلة صندوقاً من الحلوى .

إن يانك وهو يستقبل الموت لابد أن يقفز إلى ذهنه الساذج ذلك السؤال الذى يؤرق حتى أكبر المفكرين : هل هناك شىء بعد الموت ؟ هل سيغفر الله له ما اقترفه ؟ لقد اشتبك مرة فى شجار مع آخر وطعنه بخنجر فأرداه قتيلا ، فهل سيغفر له الله ما صنع ؟ إن ضميره فى تلك اللحظة جد قلق من هذه الناحية وهو يرى جثة غريمه أمامه مضرجة فى دمائها ، ولكن صديقه دريسكول الذى كان حاضراً تلك المشاجرة يطمئنه . إنه لم يقدم على قتله إلا فى شجار شريف وبعد أن استثاره خصمه وحاول أن يطعنه فى ظهره . ثم يقول له دريسكول فى عبارة ساذجة نفاذه : كنت أود ألا يكون ثمة ماهو أكثر سواداً لاصقاً بروحى ، إذن ماكنت أخاف الملاك جبريل ذاته !

كلنا خطاة ، وأرواحنا مثقلة بالإثم .

يانك إذن يموت . وكثير من البحارة يغطون فى النوم حوله . الذى سيموت مستيقظ ، أما أولئك الذين سيحيون فنيام . إن يانك سيموت فهل من يستطيع أن يصنع له شيئاً ؟ هل يستطيع القبطان الذى يرمز إلى أهل الحكمة والعلم والمعرفة والقوة أن يقدم له عوناً ؟ هل يستطيع أن يشفيه أو يعطيه ما يسكن آلامه أو يخفف منها ؟ لكن الموت ليس بالسوء الذى يتوقعه يانك . إنه كامرأة جميلة مجللة بالسواد تأتى فى غمرة الضباب لتأخذه وتمضى به .

هذه رحلتنا إلى كارديف شرقاً ؛ رحلة رجل يموت فى طريقه إلى الشرق ، إلى الشرق من حيث تشرق الحياة !

إن يانك يموت ودريسكول الصديق الوفى يصرخ لا تتركنى يا يانك ! لاتتركنى ! بعد أن كان الميت يقول للحى لاتتركنى يقول الحى للميت لاتتركنى . الاثنان يصرخان ذات الصرخة . الحى والميت يطلبان ذات الطلب : لا تتركنى ! لكن الفراق أمر محتوم . وعندما يضرب الموت ضربته نجد دريسكول ، المخلوق الذى لم يكترث بالصلاة فى حياته قط ، يخر على قدميه إلى جوار الجثة الهامدة. ويستغرق فى صلاة ساذجة يائسة مريرة ، صلاة تبعث العجب والدهشة فى قلب بحار آخر لم يألف الصلاة ، ولم ير بحاراً على شاكلته يصلى قط !

وفى صيف عام ١٩١٤ قدم أونيل إلى هاميلتون عدداً من مسرحياته ليقرأها ، ويدلى إليه برأيه فيها . ولما قرأها الناقد الصديق اعتزم — على حد قولـــه — ألا يخبر الكاتب الشاب كم كانت مسرحياته تلك طيبـــة ومشجعة (١) .

ورغم أن الأب جيمس أونيل James O'Neill كان يوصف بأنه بخيل ومقتر إلا أنه قام فى ذلك الصيف بعمل على غاية فى الكرم والسخاء من أجل ابنه. لقد قدم مائة دولار إلى أحد الناشرين لنشر مجموعة مسرحيات ابنه الأولى بعنوان إحداها وهى « ظمأ » وقد احتوت المجموعة فضلا عن تلك المسرحية مسرحيات « الشرك » و « طيش » و « ضباب » و « تحذيرات » . ولم يلق الكتاب أى رواج ، ولم يكن يرجى غير ذلك بالنسبة لمؤلف ناشىء مغمور . على أنه عندما بلغ أونيل الشهرة اضحت مجموعة مسرحياته تلك مطلب مقتنى الكتب النادرة ، وبلغ سعر النسخة الواحدة منها خمسة وستين دولاراً.

ولم يتناول الكتاب بالتعليق سوى الناقد هاميلتون بطبيعة الحال ، رغم أن

(١) راجع بوين ص ٦٢

المؤلف أرسل العديد من النسخ إلى نقاد الأدب والمسرح كافة . وكتب هاميلتون فى مجلة فوج Vogue يقول « ينزع هذا المؤلف نزعة رهيب . إنه يعالج مواقف قاتمة مخيفة تضحى لا تطاق لو امتدت متجاوزة حدود الفصل الواحد الذى يباغتنا. ومن الجلى أن المؤلف قد سبر أغوار البحر ، لأن ثلاثاً من هذه المسرحيات تعالج الخوف الذى يحيط بمأساة السفن الغارقة ويكشف عن إحساس حاد بردود الفعل التى تنتاب الشخصية تحت ضغط العاطفة العنيفة . ويغلب على حواره القوى طابع الفظاظة (١) » .

وقد كتب أونيل لهاميلتون فيما بعد يقول « لا يمكنك أن تتصور ما الذى عنته لفتتك بالنسبة لى . لقد كشفت لى عن بارقة أمل فى وقت كنت فيه جد يائس . لقد جعلتنى أعتقد أنى سأصل إلى إحداث ضجة . وفى ذلك الوقت كنت فى حاجة ماسة إلى شخص أحترم مكانته لكى أسلم بأنى سأصل إلى شىء ما » . وقد قدم هاميلتون إلى أونيل نصيحة قيمة عندما علم أنه كان يرسل مسرحياته إلى مديرى المسارح بمجرد الانتهاء من كتابتها ثم يحيا على أمل أن يسارعوا إلى قراءتها وقبولها . فقال له « إنك عندما تبعث بمسرحية فليس ثمة فرصة واحدة فى المائة بأنها ستقرأ ، وليس ثمة فرصة فى المليون بأنها ستقبل ، وحتى إذا قبلت فمن المحتمل أنها لن تعرض . ولكن إذا قبلت وعرضت فقل لنفسك أنها معجزة لا يمكن أن تحدث مرة أخرى (٢) » .

وقد كان لنصيحة هاميلتون أثرها الفعال على أونيل فقد جعلته يدرك أن الطريق شاق أمامه ، وأن عليه أن يمضى فيه دون أن يفكر فى عرض انتاجه على المسرح التجارى . وقد نمت فيه تلك النصيحة روحاً من الاستسلام لما قسم له

---

(١) راجع بوين — ص٦٣

(٢) راجع بوين — ص ٦٣

اختلط فيها الحزن بالعزاء ، وجعلته يعتبر كل استياءاته جزءاً محتوما من برنامج اللعبة . كانت جرعة مريرة كان علية أن يتجرعها فى ذلك الوقت ، ولكن شبت أنها كانت أيضاً إكسيرا مقوياً على المدى الطويل . لقد علمته أن يأخذ الأمر على ما هو عليه ، وألا يمضى فى ندب حظه وصب اللوم على النقاد وأصحاب المسارح دون طائل .

والآن ، ما الذى تنم عنه هذه المسرحيات الخمس التى احتوتها مجموعة يوجين أونيل الأولى « الظمأ ومسرحيات أخرى » ؟ أننا حتى لو « لم نكن نعرف شيئاً عن أعمال مؤلفها اللاحقة ، فمن السهل أن نرى فيها بعض سمات الموهبة ، وأن نجد فيها ما يبشر لكاتبها بمستقبل زاهر . فالواقع أن « الظمأ » والمسرحيات المنشورة معها لم تكن سوى تجارب ناشىء على قدر من الموهبة . انها تنم عن استعدادات طيبة ، وتفصح عن قسط من المعرفة بالنواحى الفنية لبناء المسرحية ، وهى تكشف قبل كل شىء عن أن المؤلف الشاب يحاول أن يقول شيئاً عن الإنسان ومأساته ، ولكنه ما زال غير قادر على أن يستفيد تمام الاستفادة بما يعرفه عن الحياة ، ونجده شأن المبتدئين ميالا إلى إدخال العنف فى حبكاته ممثلا فى صور من الشجار والقتل والانتحار (١) .

الكاتب الناشىء يذهب إلى هارفارد

وصارح يوجين أونيل هاميلتون برغبته فى أن يدرس الدراما على يدى الأستاذ جورج بيرس بيكر Prof. Georges Pierce Baker بجامعة هارفارد ، وكان هاميلتون صديقاً للأستاذ بيكر ، فوعد صديقه الكاتب الناشىء بأن يقنع أباه بأن ابنه البحار المتشرد سيرجى منه الخير والصلاح لو أرسل إلى هارفارد .

(١) راجع باريت كلارك ــ ص ٥٣

وارسل الاب ابنه الى هارفارد عله يفيق ويشق لنفسه طريقاً فى الحياة ، ولكنه ظل مقتّراً عليه . وكان يقول أن صدمة الفقر والحرمان قد توقظ فى اعماقه شيئاً . وكان على الدوام قلقا عليه وحائرا بسببه . وقال يوجين أونيل عن أبيه « كان يؤمن بى على نحو ما ، ولكنه كان يعتقد اننى مجنون . ولم يكن يرى مبرراً لكتابتى هذا النوع من المسرحيات الذى اكتبه ، وكان يقول ان مثل هذا النوع من المسرحيات ليس لها سوق . ولكن لابد انه كان فى اعماقه يعتقد ان فى هذه الاعمال شيئاً ما ، شيئاً لايحبه ولا يفهمه ، ولكنه كان يعتقد اننى فى يوم من الايام قد أصل الى شىء . »

وذات يوم شهد الاب احدى ممرحيات ولده فاذا به يقول له « اننى اسألك هل تحاول ان تحمل المتفرجين على الانتحار ؟ »

كان يوجين اونيل فى السادسة والعشرين عندما سافر فى اواخر عام ١٩١٤ ليلتحق بجامعة هارفارد . وكان اكبر سناً من سائر طلبة الاستاذ بيكر . وفى هارفارد كتب أونيل مسرحية « الطبيب العزيز » The dear doctor التى اقتبسها عن قصة قصيرة ، ومسرحية أخرى كوميدية بعنوان « دقة على الباب » Knock at the door و« الهداف سديدالرماية » The sniper ولم يقدر للمسرحيتين الاولى والثانية ان تمثلا أو تطبعا . أما الثالثة فقد قدمتها فرقة « بروفنيستاون » فى نيويورك عام ١٩١٧ . ويحدثنا الناقد باريت ه . كلارك عن هذه المسرحية (١) فيقول انه قرأ نسخة منها فى ملفات فرقة بروفينستاون ، وهى تحكى قصة فلاح بلجيكى قتل الجنود الالمان زوجته وابنه واغتصبوا أرضه . وفى سورة من اليأس يخرج الفلاح على النظام ويشرع فى اطلاق النار على الجنود الالمان اثناء سيرهم فى موكب عسكرى يمر بقريته . ويقبض على

(١) راجع مؤلفه ص ٥٤

الفلاح ويعدم رمياً بالرصاص . فالمسرحية تنطوى على قصة رومانسي ومشهد مثير . و كانت مأساة بلجيكا التى غزاها الالمان عام ١٩١٥ تؤرق الضمير الامريكى اذ ذاك .

وكتب أونيل فى هارفارد ايضامسرحية «رجل السينما» The moive man وقد بعث بها الى مكتبة الكونجرس مسجلا لنفسه حقوق تأليفها . ولكنه لم يعمد الى تجديد هذه الحقوق عند انتهاء اجلها فى عام ١٩٤١ ، ولم يكتشف هذه المسرحية إلا الناقد ارشيبالد ماكليش Archibald Macleish عندما أصبح أميناً لمكتبة الكونجرس عام ١٩٣٩ .

و « رجل السينما » مسرحية هزيلة فيها تهويل ومبالغة ولكنها على أية حال محاولة من أونيل للسخرية من هوليود التى لم تطأها قدمه قط ، وظل يتحاشاها دائما . وتدور هذه المسرحية حول أحد الامريكيين من رجال السينما الاغنياء كان يمول ثورة فى المكسيك من أجل ان يصور معاركها ، وفى أحد المشاهد نرى البطل يرغم قواد الطرفين المتصارعين وهم من مأجوريه على حد سواء أن يعيدوا احدى المعارك لمجرد أنهم لم يؤدوا المعركة الأولى على النحو الذى يرضيه .

وقد كتب الاستاذ بيكر فى يناير ١٩٢٦ عن تلميذه يقول « عندما كان أونيل يعمل معى أظهر فى نهاية العام انه يعرف كيف يكتب المسرحية القصيرة جيداً . لقد عمل أونيل معى بجد وكفاية متزايدة . وقد وضح انه مهتم جداً بما يفعل . وبسبب خبرته العريضة بالحياة بدا أكبر سنا بكثير من زملائه فى الدراسة »

وعندما سئل اونيل عما استفاده من دراسته فى هارفارد قال « انى لم استفد شيئاً من هذه الدراسة فان أغلب ما كان يلقنه بيكر لتلاميذه كنت

أعرفه منذ أمد . ورغم أن بيكر قال لى ذات مرة انه يعتقد أن مسرحية « شرقاً إلى كارديف » التى كتبتها قبل ان ادخل هارفارد ليست مسرحية على الاطلاق فانى احترمت رأيه . أما المسرحيات التى كتبتها له فقد كانت رديئة . على انى استفدت كثيراً من علاقتى الشخصية ببيكر ، فقد شجعنى وجعلنى أشعر أنى استطيع أن أمضى فى طريقى . كانت علاقتى به تعنى الكثير بالنسبة لى فى ذلك الحين » .

وعلى أثر وفاة بيكر عام ١٩٣٩ كتب اونيل يقول « إن أهم ما منحنا بيكر باعتبارنا كتابا شباناً نتطلع الى المستقبل والى خلق مسرح جديد ، هو أن نؤمن بعملنا والا نتخلى عن ايماننا قط . لقد عاوننا على أن نأمل . ومن أجل ذلك فاننا ندين له بالشكر والمحبة » (١)

لقاء مع القدر .

ترك أونيل هارفارد فى نهاية ربيع عام ١٩١٥ وذهب الى نيويورك . وحين أخذ الجو يزداد رطوبة فى صيف عام ١٩١٦ خرج مع صديق له يدعى تيرى كارلين Terry Carlin طالباً الهواء النقى فى بروفينستاون Provincetown على شاطىء المحيط . وسرعان ما بدأ يكتب مسرحية جديدة هى « قبل الافطار » Before breakfast

وفى بروفينستاون التقى أونيل عرضاً برواد الحركة المسرحية الجديدة فى امريكا : جورج كرام كوك Georges Cram Cook وسوزان جاسبيل Susan Caspell وفرانك شاى Frank Shay وفردريك بيرت

(١) راجع باربت كلارك ص ٢٨ و ٢٩

وماری هیتون فوس Mary Heaton Vose وويلبير دانيل Fredrick Burt ستيل Willbur Daniel Steele وهــاری كيمب Harry Kemp و ى . حـ. بالانتين E.J. Ballantine ونيث بويس Neith Boyce وهــاتشينس هابجود Hutchin's Hapgood

وقد مثل هؤلاء الفتيان والفتيات موسمين صيفيين قصيرين من المسرحيات ذات الفصل الواحد فى عامى١٩١٥ و ١٩١٦ . وتخبرنا سوزان جاسبيل فى مؤلفها «الطريق الى المعبد» The road to the temple كيف ان زميلتها مارجريت ستيل كانت قد استأجرت بيتا من بيوت الصيادين القديمة على الساحل لتستخدمه مرسماً لها ، ولكنها سمحت لكوك ورفاقه بان يستعملوه مسرحاً حتى يتسنى لغيرهم من الناس ان يحضروا للمشاهدة . وكان كوك ورفاقه يحلمون بمسرح يستمد قيمته من العمل الجدى المؤمن بروح المسرح ، وكان كوك يقول « لم لا نكتب مسرحياتنا ونمثلها بانفسنا ؟ لم لا نتعاون على ان ننمى مواهبنا المؤكدة ؟ » وهكذا اتخذ بيت الصياد ممرحا مسمى « بمسرح المرفأ » Warf theatre وأعد لاستقبال تسعين مشاهداً لايضايقهم ان يجلسوا جنبا الى جنب على مقاعد خشبية بلا مساند للظهر .

وتستطرد سوزان جاسبيل فى ذكرياتها عن « جماعة بروفينستاون» Provincetown group فتقول « قدمنا مجموعة أولى من المسرحيات ، ثم التقينا فى بيتنا لنقرأ مجموعة ثانية ، ثم جاء اثنان من الايرلنديين ، احدهما مسن والآخر فى عنفوان الشباب ، وسكنا فى عشة بشارعنا ، وقلت للرجل المسن ، اليست لديك مسرحية تقرأها علينا ؟ فقال تيرى كارلين مبتسما : كلا ، انا لا اكتب . انى افكر فحسب ، وفى بعض الاحيان اتكلم ، لكن

السيد أونيل لديه حقيبة ملآنة بالمسرحيات . ولم يبد لى ذلك مشجعاً ، ولكننى على أية حال قلت له : حسنا ، قل للسيد أونيل ان يحضر الى بيتنا فى الثامنة مساء الليلة ، ويجلب معه بعض مسرحياته . » وذهب أونيل فى تلك الليلة للقاء الجماعة ، وتمضى سوزان جاسبيل قائلة « اخرج لنا أونيل شرقا الى كارديف » من حقيبته . وتولى فريدى بيرت تلاوتها علينا ، بينما بقى اونيل خارجاً فى غرفة الطعام . ولكننا عندما فرغنا من قراءتها لم نتركه وحده بغرفة الطعام . لقد ادركنا اننا عثرنا على ما كنا نبحث عنه . » (١)

ومنذ ذلك الحين احتل أونيل مكانه كمؤلف مرموق . وقال عنه جورج كوك انه كان الرجل الكبير العبقرى الملهم للجماعة . كان متقد النشاط ، لاتفتر حماسته ، ولا يرضى عن أى شىء يشتم منه الزيف أو النفعية . كان يمثل الروح الثائرة على التقاليد والمسرح التجارى وبهارج التمثيل المتكلف .

وقال يوجين أونيل عن جماعة بروفينستاون « انى مدين لهم بالكثير . لقد شجعونى على الكتابة ، واخرجوا مسرحياتى الاولى وكثيراً من مسرحياتى اللاحقة . ولكنى لا اكون صادقاً اذا قلت انى ما كنت سامضى فى الكتابة للمسرح لو لم التق بهم . لقد كنت أوغلت بعيداً من قبل بحيث لم يكن باستطاعتى أن أتراجع » .

وتابع الناقد هاميلتون فى رضا خطوات أونيل بعد أن دخل جماعة بروفينستاون ، وقال ان بامكانه فى بروفينستاون ان يفكر ويحلم على سجيته فى عزلة الى جوار البحر الذى لا يهدأ له قرار ولا يكف عن الايحاء الى أونيل ، وبامكانه ان يكتب مسرحيات عظيمة سينظر اليها العالم السخيف الخامل فى اعجاب . لقد كتب يوجين أونيل مركزاً عينيه دواماً على الحياة

---

(١) راجع باريت كلارك ص ٢٩ ومابعدها

ذاتها بدلا من ان يكتب وعيناه مركزتان على خشبة المسرح . (١)

وكانت « شرقا إلى كارديف » أولى مسرحيات أونيل التى قدر لها الظهور على المسرح . قدمتها جماعة بروفنستاون على مسرحها الساحلى ضمن قائمتها الثانية . ومثل أونيل فى هذه المسرحية دور الضابط الثانى ، ولم يكن تمثيله رديئاً . وجاءت بعد ذلك مسرحيته « الظمأ » فى القائمة الرابعة ، ومثل فيها أونيل دور البحار الاسود ، ولم يمثل أونيل بعد ذلك أبداً باستثناء مرة واحدة فى نيويورك عندما أدى دور الشخصية الصامتة فى مسرحية « قبل الافطار »

كان أونيل فى تلك الايام مع فرقة بروفينستاون يلقى التقدير والاحترام من رفاقه . وقال كوك رئيس الفرقة « اننا منذ الليلة الأولى التى قرأت علينا فيها « شرقاً إلى كاريف » عرفنا ان بين أيدينا شيئاً نستطيع ان نعتمد عليه فى طريقنا . ولقد تحققنا من ان لدى كاتبنا طاقة قوية على التأليف المسرحى وتجربة حية يريد أن يحكيها . وكان لمسرحيتيه « شرقا الى كارديف » و « ظمأ » تأثير قوى على جماعتنا . واحسسنا احساساً عميقاً بان لدينا أرضا صلبة نقف عليها . »

وكتبت سوزان جاسبيل فى ذكرياتها تقول « لم أشهد قط عرضاً مسرحياً أكثر اثارة للعواطف من تمثيلنا « شرقا الى كارديف » أول مرة على المسرح . كان البحر فى صف أونيل ، فانتشر الضباب فى ليلة الافتتاح كما اراد النص . ومضت صفارة الانذار تدوى فى المرفأ ، وكان المد مرتفعاً ، والأمواج تتكسر تحتنا ومن حولنا مندفعة خلال الثقوب فى أرضية المسرح

---

(١) راجع كروسويل بوين — ص ٨٠

الخشبية موحية بايقاعات البحر ومذاقه ، فى حين كان البحار الضخم يلفظ انفاسه ويتحدث الى صديقه دريسكول عن الحياة التى طالما تاق اليها على اليابسة بعيد عن اليم حيث لا يقع بصرك على سفينة ، ولا تشم رائحة البحر قط » (١)

وحفز الاستقبال الحار الذى لقيته « شرقا الى كارديف » أونيل على العمل بحماسة شديدة ، فكتب عام ١٩١٦ أربع مسرحيات أخرى عن حياة أهـل البحر هى « زيت الحيتان » Ile و « فى المنطقة » In the zone و« رحلة العودة الطويلة» The Long voyage home و «بدر على جزر الكاريبى » The moon of the Caribees. وفى عام ١٩١٨ كتب «الحبل» The rope و «حيث وضعت علامة الصليب » Where the cross is made وكان أونيل يقول عن البحر « هذا عالمى . عشت فيه واعرف ما هو عليه . لقد كنت هناك ، وانا الذى سأبين للناس احواله » وكتب أونيل عدا مسرحيات البحر مسرحيتى « قبل الافطار » عام ١٩١٦ و « الصبى الحالم » Dreamy Kid عام ١٩١٨

و « قبل الافطار » من أوجز وأفضل ما كتبه أونيل . وهى محاولة درامية بارعة على غرار مقطوعة « الاقوى » The stronger للكاـ اوجست سترنبرج (٢) . وكل من المقطوعتين مسرحية تقوم على شخصية متحدثة واحدة توحى كلماتها المركزة فى براعة بمأساة كاملة . وفى مسرحية أونيل نجد مسز رولاند تعد الافطار لزوجها الفريد فى شقتهما الحقيرة، بينما يحلق الفريد لحيته فى غرفة النوم . ونفهم ذلك عندما نراه يمد يده من خلف

---

(١) راجع كروسويل بوين ــ ص ٨١

(٢) راجع ترجمتى لهذه المسرحية منشورة فى « المجلة » ــ العدد ٤٤ ــ ص ١١٤

الباب لحظة يبحث عن اناء الحلاقة . وتتحدث الزوجة الى زوجها متذمرة من متاعبها فى تدبير مصروفات البيت بينما هو الابن الوحيد للمليونير رولاند ، الشاعر خريج جامعة هارفارد ، ومحط انظار المدينة، يمضى فى الشراب والعربدة.وتندب الزوجة حظها لانها تزوجته، وتلقى عليه اللوم لأنه تزوجها ، وتلمح من طرف خفى الى حبه القديم لفتاة ما زالت تغار منها . وتمضى ولولتها وشكواها حتى تبلغ الذروة ، ثم تسكن عندما تفرغ جعبتها ولا يصبح لديها ماتضيفه . ويخيم الصمت برهة ، وتنتظر الزوجة النكدة رداً من زوجها على تذمراتها ، الا انها لا تتلقى منه كلمة . ثم تسمع قطرات تتساقط فى غرفة النوم وانات الزوج . لقد قطع الفريد عنقه بالموسى (١)

أما فى « الصبى الحالم » فيعرض لنا أونيل فتى حائراً بين ان ينجو بجلده فتحل عليه لعنة تطارده طوال حياته ، أو يفقد حياته ويسلم عنقه لحبل المشنقة . ونرى الفتى يختار الخرافة على الحقيقة مضحيا بحياته لينجو من اللعنة الأبدية التى يعتبرها أثقل على روحه من الموت . وتحكى هذه المسرحية قصة زنجى قاتل يتسلل عائداً الى البيت ليرى جدته التى تلفظ انفاسها الأخيرة . ويتعقب البوليس القاتل . وتجىء فتاته لتحذره وترجوه ان يبادر الى الفرار إذ ان البوليس على وشك ان يداهم حجرة الجدة العجوز ليلقى القبض عليه ، فيرفض الفتى بشدة ان يغادر المرأة المحتضرة قبل أن تموت لأنه — على حد قوله — لو رحل قبل وفاتها فان لعنتها ستجلب عليه النحس وسوء الحظ بقية عمره . ويقترب البوليس والفتى الى جوار الجدة التى ترجوه

---

(١) راجع ترجمة الاستاذ بهاء طاهر لهذه المسرحية فى « المجلة » العدد ٢٩ — ص ١١١ وراجع عرضا للمسرحية عند باريت كلارك — ص ٦٤

ان يصلى من اجلها حتى تفارق روحها هذا العالم فى هدوء ، وتخبره انه سمى بالصبى الحالم عندما كان طفلا بسبب عينيه الواسعتين الحالمتين . ويصل البوليس الى عتبة باب الغرفة المغلق ، ويمسك الحالم مسدسه فى احدى يديه ويمسك بالاخرى يد جدته ويصيح قائلا « لن ينالوا الصبى الحالم حيا . السيد المسيح يعلم ذلك ! »(١)

وقد تردد أونيل كثيراً قبل ان ينشر هذه المسرحية ضمن مجموعة مسرحياته عام ١٩٣٤ لعدم رضاه عن مستواها الفنى (٢) . على ان من حسن الحظ ان انتهى تردده الى نشر هذه المسرحية فهى من الأعمال التى يندر ان يكتب مثلها .

وعدا مسرحيات الفصل الواحد السابقة كتب أونيل «فظاعة» Atrocity وهى تمثيلية صامتة ، ومسرحية أخرى من نوع «الفارس» بعنوان « ج.ا.م.» G.A.M. و « الى ان نلتقى » Till we meet . وهذه المسرحيات الثلاثة الأخيرة لم يقدر لها ان تمثل أو تطبع . وكذلك الحال بالنسبة لمسرحيتين كتبهما أونيل عام ١٩١٩ هما « الشرف عند آل برادلى » Honour among The Bradleys و « البـوق » Trumpet . أما مسرحية « تعويـذة » Exorcism فلم تطبع لكنها مثلت . وهى تحكى قصة شاب لايطيق الحياة الشاقة فى الحى الفقير الذى يضطر الى العيش فيه فيجرع السم لينتحر . الا ان اثنين مخمورين من اصدقائه بجدانه فيهرعان الى استدعاء طبيب يأتى فينقذ حياته فى اللحظة الأخيرة . (٣)

ومنذ عام ١٩١٩ لم يكتب أونيل مسرحية من فصل واحد الا عام ١٩٤٠

(١) ترجم هذه المسرحية ادوار الخراط واخرجها بهاء طاهر للبرنامج الثانى .
(٢) راجع كروسويل بوين — ص ٩٩ وباريت كلارك ص ٦٤
(٣) راجع كروسويل بوين — ص ١١٧

فقد كتب «هوجي» Hughie التي قدمت أول مرة فى استكهلم فى ١٨ من سبتمبر عام ١٩٥٨ . وتدور احداثها بنيويورك ، وتتضمن شخصيتين فحسب . ايرنى سميث وهومقامر من سكان مدينة صغيرة ، وكاتب يعمل مساء . وفى حديث طويل يكشف سميث عن حياته الخاصة وحياة هوجى الكاتب الليلى السابق بالفندق ، الذى مات منذ وقت قريب . وقال أونيل عن هذه المسرحية انه وجد نفسه مدفوعاً الى العودة الى ذكرياته القديمة ، ذكريات الأيام التى قضاها فى الحانات والفنادق الرخيصة .

ويقول الكاتب والناقد المسرحى الفرنسى آرثر اداموف فى تعليق حديث على هذه المسرحية (١) انها من افضل ما كتب للمسرح فى القرن العشرين ومن اكثره قتامة ايضاً ، لكن هذه القتامة مبررة ومقبولة . لم يكن «مسرح الطليعة» قد ظهر بعد لكن اونيل عرف كيف يرى مابين ثنايا الواقع . وكان ما رآه اكثر بشاعة من كل ما يحاول ان يبرزه لامعقولو اليوم .

وفى يونيو سنة ١٩٥٠ أخبر أحد الأصدقاء أونيل ان بعض مسرحياته الأولى المودعة فى مكتبة الكونجرس قد اكتشفت . ولما كانت غير محمية بحقوق النشر لعدم تجديد التسجيل وفقاً للقانون فانها تعتبر من الملك العام ويمكن لأى شخص ان ينشرها . على أن أونيل لم يكن راغباً فى اعادة نشرها وقال عنها انها غير جديرة بالنشر . ومع ذلك عمدت احدى دور النشر المغمورة الى نشر كتاب بعنوان «مسرحيات يوجين أونيل المفقودة» Lost plays of Eugene O'Neill وقد تضمن هذا الكتاب مسرحية طويلة واربع مسرحيات قصيرة هى « اجهاض » و « رجل السينما » و « الهداف سديد الرماية» و «زوجة للعمر كله» ولما كان أونيل فى تلك الآونة مريضاً ومنهكاً

(١) راجع ص ١٦٦ من :
Arthur Adamov, Ici et Mentainant. Ed. Gallimard, 1964.

وغير قادر على القيام بشىء ، فقد أثار نشر هذه المسرحيات دون اذن من المؤلف استياء الكثيرين ، وتساءلوا عما اذا لم يكن للمؤلف الحق فى ان يحول دون نشر كتاباته القديمة التى لم تعد تعبر عن مستواه الحقيقى . (١)

سبع مسرحيات عن حياة أهل البحر :

وفى عام ١٩١٩ نشرت مسرحية يوجين أونيل « بدر على جزر الكاريبى » وست مسرحيات أخرى فى كتاب بعنوان « سبع مسرحيات عن البحر » Seven plays of the sea وكانت هذه المسرحيات الست هى « شرقاً الى كاريف » و « رحلة العودة الطويلة » و « فى المنطقة » و « زيت الحيتان » و « حيث وضعت علامة الصليب » و « الحبل »

فى المنطقة :

يقول الناقد باريت كلارك أنه أن منذ رأى « فى المنطقة » تمثل لم يستطع أن يمحو تأثيرهـا من عقله الى ان أقر مجموعة المسرحيات السبع الجديدة فى مايو ١٩١٩ . وكتب فى جـريدة « النيويورك سن » New York Sun ثناء مستطاباً على هذه المسرحية (٢) .

وتلقى باريت كلارك خطاباً من أونيل يقول فيه « أنا لا أوافقك على التقدير الكبير الذى أسبغته على مسرحية « فى المنطقة » فهى من أقل المسرحيات دلالة بالنسبة إلى . إنها سهلة جداً من حيث أسلوبها التقليدى وحافلة بالخدع التمثيلية ويثبت نجاحها المتواصل أنه لابد أن يكون ثمة شىء عطن فى الأمر . وعلى أية

(١) كروسويل بوين — ص ٣٤٣ — ٣٤٤

(٢) راجع فى هذا المقام وفيما يلى باريت كلارك — ص ٥٨ و ٥٩ .

حال فإن هذه المسرحية لا تمثلني أصدق تمثيل ، ولا تصور ما أريد أن يعبر عنه مسرحي . إنها مسرحية موقف Situation drama ولم يلهمني بها إحساس كبير بالحياة . ولو أعطيت الفكرة وقدرة متوسطة على رسم الشخصيات لأى كاتب مسرحي نشيط لتوصل إلى كتابة مثل هذه المسرحية ... »

وعندى أن عبارات أونيل إنما تعبر عن ذلك الطموح الذى يدفعه إلى أن ينتج فى المستقبل شيئاً أفضل على الدوام . وذلك التلهف الدائب نحو مسرحية أفضل هو الذى جعله يبخس مسرحيته « فى المنطقة » حقها من التقدير ، فهذه المسرحية — رغم ما قاله مؤلفها — مفعمة بالمغزى القوى وتعبر تعبيراً صادقاً ومريراً عن العلاقة بين فرد ومجتمع ، بين مجتمع لا منطق له وبين فرد يطلب احترام خصوصياته . إن هذه المسرحية — فى نظرنا — تعبير فنى عن الكثير من الحقائق التى تؤرق بال فلاسفة السياسة . ويمكننا أن نقول أن قراءة هذه المسرحية قراءة واعية تعطينا ذلك التأثير النفاذ الذى نخرج به من قراءة أبلغ الوثائق الدستورية المعروفة فى التاريخ السياسى الحديث باعلانات حقوق الإنسان والمواطن . وما قاله أونيل عن مسرحيته « فى المنطقة » إنما يعبر فحسب عن عدم ثقته فى الجمهور . فقد نجحت المسرحية ورضى عنها الجمهور ، فلابد إذن أن ثمة شيئاً على غير ما يرام فيها ، طالما قد أعجبت الجماهير . هذا مايعتقده أونيل مرهف الحس المتمرد على الذوق الجماهيرى الذى كان سائداً فى مجتمعه إذ ذاك . ولنعط الآن موجزاً للظروف التى أنبتت فكرة هذه المسرحية فى ذهن مؤلفها .

فى مارس عام ١٩١٧ كانت الهواجس تعصف بالناس فى أمريكا ويؤرقهم القلق وتجتاحهم إشاعات الحرب . وكانت إحدى هذه الإشاعات التى ذاعت فى مدينة برونينستاون الساحلية تزعم أن الجواسيس يطلقون اشارات ضوئية من على الشاطىء إلى الغواصات المعادية .

وكان أونيل فى ذلك الحين يقيم بأحد فنادق بروفينستاون، وألف أن يخرج مع صديق له فى نزهات طويلة شيئاً على الأقدام إلى الشاطىء . وكثيراً ما أوغلا بعيداً ووقفـا يتأملان بعض نقاط المراقبة على الشاطىء . وكان أونيل يأخذ معه أحياناً صندوقاً أسود به آلة كاتبة صغيرة ليكتب ما يعن له من خواطر وهو جالس على الروابى والكثبان الرملية ، وأمواج البحر تتكسر عند قدميه .

وذات يوم اشتبه فيهما أحد رجال البوليس المتهورين فى وطنيتهم معتقداً أن أونيل يحمل فى حقيبته السوداء جهازاً لاسلكياً يرسل به معلومات إلى غواصات الأعداء ويستقبل منه إشارات عدوانية . وفى ظهر التاسع عشر من مارس ١٩١٧ مضى رجل البوليس إلى الفندق وألقى القبض على أونيل وصديقه بحجة أن خفر السواحل الأمريكية طلبت اعتقالهما للاشتباه فى جولاتهما الغامضة على الشاطىء . وزج بهما فى السجن رهن التحقيق وفتشت غرفتهما وبحثت أوراقهما بحثاً دقيقاً . وكلفت إدارة المخابرات أحد رجالها بتتبع مراسلات أونيل واستقصاء ما فيها . وما لبثت الإشاعات أن اجتاحت بروفينستاون مرددة أن أونيل وصديقه اعتقلا وقد شهرا غدارتيهما فى وجه البوليس. وأنهما كانا مدججين بالسلاح ، وكانت لديهما خطط محكمة للاستيلاء على كل الموانىء والمدن ومراكز الحراسة ومحطات الراديو الواقعة على طول الشاطىء .

على أن القضاء ما لبث أن برأ الشابين ، وأفرج عنهما ، ورد إليهما أوراقهما وأمتعتهما (١) .

وقد انفعل أونيل بهذه الحادثة أشد الانفعال. وفى ربيع العام ذاته صب فكرة هذه الحادثة فى مسرحية من فصل واحد هى مسرحيته « فى المنطقة » وقد أدار

---

(١) راجع فى هذا ص ٨٤ ومابعدها من كروسويل بوين

أحداثها فى غرفة البحارة فى باطن سفينة تشق طريقها بين مياه مليئة بالغواصات المعادية المتحفزة وما يلبث البحارة أن يرتابوا فى واحد منهم يظنونه جاسوساً للأعداء ، لمجرد أن روئى معه صندوق أسود صغير كان يحرص عليه ويعنى باخفائه عن الأعين .

وقد مثلت هذه المسرحية أربعين أسبوعاً متتالية . ، وكانت تحدث تأثيراً بالغاً فى نفوس النظارة . ولم تكن كلمات الحوار هى مصدر تأثيرها العميق بقدر ما كانت الحركة المسرحية. وعلى الأخص عندما يفتح البحارة الصندوق المشتبه فيه وتسقط منه إلى أرض الغرفة الوردة الذابلة التى تحكى ذكريات حب فاشل ومأساة شخصية خالصة لا تخص إلا صاحبها ، مأساة هى قمة حياة البطل فى حين أنها لاتعنى شيئاً للآخرين. لقد انطوت هذه الحركة فى الواقع على الذروة الدرامية فى المسرحية وافعمت بكل ما فيها من معنى إنسانى . ولا يمكننا أن نفهم كيف لا يرضى أونيل عن هذه اللمسة المعبرة التى لاتقف عند حد الواقع ، بل تمتد إلى مابعده ، إلى « ما فوق الواقعية » .

إن « فى المنطقة » تنتمى بحسب حكم أونيل عليها إلى المسرح التقليدى لأن الميلودراما تمثل فيها عنصراً أساسياً فى رسم شخصيات سميتى وكوكى وكل الآخرين تقريباً ، وهم الذين يلعبون الأدوار الرئيسية فى مسرحياته الأربع التى قدمت فيما بعد عام ١٩٢٤ تحت عنوان واحد هو « س . س . جلينكرن » S.S. Glencairn وهو اسم السفينة التى تدور أحـداث المسرحيات الأربع عليها . وهذه المسرحيات هى « بدر على جزر الكاريبى » و « شرقاً إلى كارديف » و « رحلة العودة الطويلة » و « فى المنطقة » .

إن مسرحية « فى المنطقة » على قدر من العاطفية الصادقة ، سلسة ومؤثرة ، وهى حلقة ضرورية فى سلسلة المسرحيات الأربع المذكورة . والطريف فى

فى هذه المسرحية أنهـا بدون المسرحيات الثلاث الأخرى لا تبلغ الصـدق والواقعية والتأثير الذى تبلغه متى ربطت بشقيقاتها الثلاث الأخرى. ومن الطريف أيضاً أن المسرحيات الثلاث الأخرى تكون ناقصة كثيراً إذا لم تنضم إليها شقيقتها الرابعة .

بدر على جزر الكاريبى :

ولنقرأ الآن ما يقوله أونيل عن مسرحيته المفضلة « بدر على جزر الكاريبى » فى خطابه إلى الناقد باريت كلارك . فبعد أن تحدث عن « فى المنطقة » يمضى قائلا « أن بدر على جزر الكاريبى » على سبيل المثال — وهى مقطوعتى المفضلة — تتميز بأنها من خلقى أنا حقاً . والبطل فى هذه المسرحية هو روح البحر ، وهو شىء مهول . دعنى أوضح لك ما أرمى إليه بمثل ملموس . ان « سميتى » فى الجو القاتم الذى يخيم على « فى المنطقة » قد رفع إلى مستوى الأبطال الذين يستدرون عطفنا . أما فى « بدر على جزر الكاريبى » فإنه قد وضع فى مواجهة ذلك الجو الأبدى الحزين ، وهو الطابع المميز للبحر . ولذلك فإن صراخه المعبر عن الضعف يتلاشى فى الصمت القاسى . ومن ثم نحصل على المشهد الذى يمكننا من الحكم على سميتى والآخرين ، ويكتشف أن عاطفيته يمجها الواقع ، كما تتنافر مع النغمة الجمالية أكثر مما تتنافر معها السوقية السافرة التى يتصف بها رفاقه. وتتجاوب « بدر على جزر الكاريبى » — فى نظرى — مع الواقع فى حين أن « فى المنطقة » تحل محل الواقع رومانسية متكلفة . لن أقول شيئاً عن قيمة الأسلوب فى المسرحيتين سوى أنى اعتبر « فى المنطقة » بناء تقليدياً للمسرح ، فى حين أن « بدر على جزر الكاريبى » محاولة لبلوغ مستوى أعلى من القيم

الجليلة الرفيعة . وربما امكننى أن اشرح لك طبيعة مشاعرى نحو القوى الملحة الغامضة الكامنة وراء الحياة — تلك القوى التى أبغى أن اتقصى فى مسرحياتى ولو قدراً قليلا من تأثيرها ونفوذها . »

ولم تقدم « بدر على جزر الكاريبى » على المسرح إلا فى ٢٢ من نوفمبر ١٩١٨ بنيويورك . وقد حاول أونيل أن يعبر فيها عن روح البحر ، وكذلك عن شعور الإنسان بالوحشة فى حضرة الطبيعة المهولة ، باستخدام نوع من النثر الشعرى . والحق أن أونيل قد خلق فى « بدر على جزر الكاريبى » الجو الدرامى المطلوب بأبسط الإمكانيات والمؤثرات . ولم يسبق أونيل إلى هذا النجاح إلا الكاتب الإيرلندى جون سينج J. Synge فى مسرحية من فصل واحد بعنوان « الميممون صوب البحر (١) » Riders to the sea

إن مسرحية « بدر على جزر الكاريبى » مقطوعة درامية على قدر لا يستهان به من القوة والتجديد . إنها مجردة من القصة المحبوكة ، وكل ما نراه أمامنا بحار يعبر بصوت عال عن خلجات صدره وخيبة آماله ، فى حين ينغمس رفاقه فى متعهم السخيفة . ثم تنشب مشاجرة ويقع أحد الرجال مطعوناً فى ظهره بخنجر ، ويسدل الستار . ولا عجب أن نظر أونيل إلى مسرحيته هذه بعين الاعتبار ، وأحبها حب الأب لأبنه ، فقد كانت — كما قال هو نفسه — « أول تحرر حقيقى من التقاليد المسرحية . وقد أردف أونيل يقول « مادمت قد خطوت هذه الخطوة الأصيلة فلابد أن تعقبها مسرحيات أخرى (٢) » .

شرقاً إلى كارديف :

ولقد سبق أن أشرنا إلى « شرقاً إلى كارديف » ضمن المسرحيات التى

(١) راجع ترجمتى لهذه المسرحية « بالمجلة » العدد ٤١ ص ١٠٧ وما بعدها .

(٢) راجع باريت كلارك — ص ٥٩ ، ٦٠

كتبها أونيل خلال السنوات الثلاث الأولى من بداية انتاجه المسرحي . ونكتفي بأن نضيف مطمئنين أنها أفضل انتاج تلك السنوات الثلاث قاطبة . ومن الصعب أن نصدق أن مسرحتي «طيش» و « تحذيرات » كتبهما نفس المؤلف الذى كتب « شرقاً إلى كارديف » وفى السنة ذاتها.

رحلة العودة الطويلة :

وأما « رحلة العودة الطويلة » فتحدثنا عن فكرة أونيل عن تشوق الإنسان الدائم ولهفته إلى شيء وراء أوضاع حياته . البحار يتوق إلى الحياة على اليابسة فى الحقول بعيداً عن رائحة البحر ومرأى السفن . والفلاح يتوق إلى ما وراء الأفق ، ربما إلى البحر أو الأماكن النائية . وان لم تكن مأساة أولسون بطل « رحلة العودة الطويلة » نابعة عن القوى المتصارعة فى داخله ، إلا أن أونيل كان يبلور وهو يكتب هذه المسرحية مدلولا عن المأساة عاد إلى معالجته بعد ذلك .

فى « رحلة العودة الطويلة » نرى البحار أولسون يحاول المرة تلو المرة العودة إلى بيته وأهله وأمه العجوز التى فاض به الحنين إلى رؤياها بعد غيبة طويلة تعب فيها من حياة البحر . ولكنه فى كل مرة كان يرتكب خطأ واحداً ، فكان ينزلق إلى الشراب حتى يغيب عن وعيه ، وعندما يفيق يجد نقوده قد سرقت ، فيضطر إلى العودة للعمل فى البحر من جديد . كان فى كل مرة يرتكب خطأ أو إثماً يعيده إلى البحر الذى يتلهف إلى هجره والافلات من أنيابه . لكن هل يعنى ذلك أن سبب شقاء الإنسان أخطاؤه وخطاياه ؟ سنرى فى هذه المسرحية حظ الإنسان الحريص الحذر الذى يحسب حساباً لكل خطوة يخطوها .

إن أولسون فى جيبه هذه المرة مدخراته فى عامين ، وقد أقسم ألا يذوق قطرة واحدة من الخمر . سنرى مصير أولسون التائب . هل سيجديه حذره ؟ هل ستنفعه توبته ؟ يبدوا أخيراً أن أولسون يوشك أن يحقق حلمه القديم . وبينما يمضى رفاقه فى عب الخمر وتجرع الكؤوس الواحد تلو الآخر ، يرفض أولسن الشراب بحذر وحرص ، فماذا ستكون النتيجة ؟

يتجاذب أولسون أطراف الحديث فى الحانة الدنيئه مع إحدى الفتيات الساقطات إسمها فريدا . وينساق إلى الكلام عما فى جيبه من أجر عامين أدخره ليحقق مارسمه لنفسه منذ أمد طويل ، وهو العودة إلى وطنه وشراء قطعة من الأرض يستقر فيها هاجراً البحر إلى الأبد ، ليحيا إلى جوار أمه التى تقدمت بها السن وأصبحت على وشك أن تموت دون أن تراه . إنه يرفض الشراب بإصرار ، ولكنه ما يلبث بعد أن يغادره رفاقة أن يتكالب على خداعه جو البدين صاحب الحانة ، والقواد نيك ، وفريدا ، ورجلان غريبان . فيدعونه إلى قدح من الشراب الخفيف فيقبل على مضض . لكن هذا الشراب الخفيف كان يحوى مخدراً دس له . وعندما تسقط الضحية تتسابق الوحوش التى تمزيق الفريسة ، وتكون الغلبة بين قوى الشر لأكثرها شراسة وضراوة . وعندما يغيب أولسون عن وعيه يحمله القواد والرجلان الغريبان ويسلموه إلى سفينة بشعة على وشك أن تقلع عند الفجر فى رحلة شاقة تستغرق عامين .

وعندما يعود رفاق أولسن المخمورون إلى الحانه ولا يجدونه يخبرهم جو صاحب الحانة غامزاً أنه تسلل مع فريدا . فيصيح رفيقه دريسكول قائلا « أوهو ، إذن ، فهذه هى المسألة . هيه ؟ من كان يظن أن أولى عفريت مع النساء إلى هذا الحد ؟ من حسن حظه أنه ليس ثملا ، وإلا لجردته من آخر بنس معه » ثم يستدير إلى كوكى الذى يغمض عينيه وقد غلبة النعاس ويقول له « ماذا ستشرب

أيها الحقير قصير الذيل ؟ » ويقول لجو « اعطنى ويسكى ، ويسكى ايرلندى ! » ويسدل الستار .

هذا كل شيء . وهذه الملاحظة ذات دلالة بعيدة المدى بالغة السخرية مفعمة بالاسى .

زيت الحيتان :

وفى « زيت الحيتان » نلتقى بفكرة بلزاك التى لم يمل من ترديدها ، وهى فكرة الشخص الذى تستبد به رغبة عارمة فى أن يحقق هدفاً يتشوق إليه ولا يقوى على مقاومة المضى فى تحقيقه ، ونحس فى مسرحية أونيل هذه بحتمية النهاية الدرامية ، ويبدو كما لو أن المؤلف يكبح جماح النتيجة الختامية الكامنة فى قلب الموقف محجماً عن سرعة الافصاح عنها فى كل قسوتها العارية .

هذه المسرحية كتبها يوجين أونيل فى شتاء عام ١٩١٧ وربما كانت أفضل مسرحية من فصل واحد كتبت فى ذلك الوقت . والمسرحية تصور قبطاناً حازماً عنيداً صلباً همه الأول أن يبدو بمظهر القبطان الموفق فى نظر رفاقه القباطنة الآخرين ، وأن يحتفظ بمستواه العالى بينهم . وقد فتر حبه — فيما يبدو — لزوجته الشابة التى لم تنجب له ولداً ، ولكن ما زالت جذوة هذا الحب تضطرم فى أعماقه على أية حال . لقد خرج فى رحلة طويلة لصيد الحيتان تستغرق سنتين فى أقصى المناطق الشمالية شديدة البرودة حيث يطبق الصمت ويخيم السكون الثقيل على الأعصاب . وقد أخذ القطبان زوجته معه نزولا على الحاحها لأنها فضلت متاعب الرحلة على الانتظار الطويل الممض والوحدة القاسية على الشاطىء .

ها هى السفينة منغرسة الآن فى المياة القطبية المتجمدة فى انتظار ذوبان

الجليدالمحيط بها لتشق طريقها إلى حيث تكثر الحيتان . والقبطان صامت دائم التحديق إلى الجليد ينتظر تكسره إذا ما أقبل الربيع بدفئه . وعلى السفينة بدأ البحارة يتذمرون وقد نضب ما معهم من ماء الشرب وشح ما تزودوا به من طعام فأخذوا يدبرون حركة تمرد على القبطان الذى يصر على عدم العودة قبل بلوغ هدفه فتمتلىء سفينته بالصيد الوفير من الحيتان . أما الزوجة فقد أخذ الانهيار يتسرب إلى أعصابها ، ولا تجد متنفساً إلا فى عزف نغمات غريبة متخبطة على أرغن صغير .

ويرفض القبطان العودة إلى البر ويصر على المضى فى رحلته . وكيف يعود خاوى الوفاض ؟ وماذا سيقوله عنه اقرانه من القباطنة على الشاطىء؟ وعندما يتمرد عليه بحارته يواجههم بصلابة ويسحق ثورتهم بسرعة ومضاء .

على أنه عندما تمعن زوجته فى التوسل إليه راجية العودة وتذكره بايامهما الأولى الجميلة وبيتهما الدافىء، ويبدو له كم تزعزعت أعصابها وساءت حالتها من طول الرحلة القاسية ، يضعف الابطان ويقبل العودة حرصاً على عقلها من الانهيار . وفى هذه اللحظة ذاتها يصيح مساعده من الخارج هاتفاً أن السفينة قد بدأت تشق طريقها عبر الجليد الذائب ، وأن الحيتان قد ظهرت على مبعدة خمسة أميال فحسب ؛ حيتان وفيرة كثيرة .

وفى « زيت الحيتان » يؤرقنا السؤال التالى : ما هو الثمن الذى يدفع لبلوغ الهدف ؟ وسنرى الإجابة مع القبطان الذى صمم على الفوز بالصيد الكبير الذى خرج من أجله . وستجدنا نتساءل هل شخصية القبطان مفعمة بالغرور والشره وشهوة الكسب ، أم أنه مجرد رجل كان عليه أن يتصرف كرجل دون ضعف أو خوار ؟ سنسمع « الأرغن » فى نهاية المسرحية يدلى إلينا بالجواب .

يصيح مساعد القبطان معلناً أن الحيتان قد ظهرت بوفرة على بعد بضعة

أميال ، فيتراجع القبطان عن وعده لزوجته ، ويصرخ فيها وهى تبكى «لا يمكننى أن أعود الآن . انت ترين ..» ويجيب القبطان مساعده هاتفاً أنه قادم . قادم وليحدث لزوجته ما يحدث ! ويهرع إلى ظهر السفينة تاركا امرأته وقد أطبق الجنون عليها تماماً ، وانكبت على ارغنها تعزف نغمات سريعة تختلط بضحكاتها المخبولة .

وهذه المسرحية من أصلح مسرحيات أونيل الأولى للتمثيل ، ففيها عنصر الحركة وعنصر التشويق وعنصر الإثارة ، تماماً كما فى مسرحيته « فى المنطقة » و« حيث وضعت علامة الصليب »

حيث وضعت علامه الصليب

تحكى هذه المسرحية قصة قبطان عجوز استبد به إيمان بأنه عثر على كنز فى إحدى أسفاره السابقة ، وأن السفينة التى أرسلها لجلب الكنز من إحدى الجزر النائية ستعود محملة بالجواهر والحلى . وهو يقضى أيامه فى غرفة شيدها بأعلى بيته على شاطىء البحر على شكل برج مراقبة . ويقضى ساعات الليل والنهار محدقاً فى الأفق على أمل أن يرى السفينة قادمة . ولا أحد يصدقه ، حتى ابنه الذى كان قد نجح القبطان فى أن يملأ ذهنه بهذا الإيمان الخادع بدأ ايمانه يتزعزع . وقد فضل الارتداد عن الإيمان بفكرة الكنز ، بل عمد الى ماعمد إليه يهوذا الخائن ، فتنازل عن البيت للدائن المرتهن مقابل أن يسمح له بالاقامة المجانية فيه خفيراً له ، ودعا طبيب مستشفى الأمراض العقلية لينقل الأب إلى المستشفى ، وبذلك يستريح نهائياً من فكرة الكنز المؤرقة . لكن الأب ينزل السلم مندفعاً صائحاً فى ابنه : انظر يا يهوذا ، ها هى السفينة فى الميناء قد عادت ولن يلبث

البحارة أن يحضروا إلى هنا محملين بالصناديق المليئة بالكنوز . ويتزعزع الابن من جديد إزاء لهجة الأب المفعمة بالايمان حتى يخيل إليه أنه يرى السفينة فى الميناء فعلا ، عندما يشير إليه الأب أن ينظر . وحين يسقط الأب ميتاً تكون فكرة الكنز قد استشرى سمها فى روح الابن ، فيعلن لاخته أنه سيرحل بدوره فى طلب الكنز ، فلا زالت خريطته فى يد الأب المتوفى وقد اطبقت عليها بعنف .

ويعتبر النقاد « حيث وضعت علامة الصليب » مثالا رائعاً على الصياغة الفنية المحكمة فى بناء مسرحية الفصل الواحد ، تلك الصياغة التى تقترب كثيراً من صياغة القصة القصيرة من حيث الارتكان إلى الحدث الواحد ، والتى تقوم على التمهيد المركز المفضى إلى الموقف الدرامى مباشرة ، وعلى تعويض القصور عن الامتداد الزمنى بالتعمق عن طريق الارتداد إلى الماضى ، وذلك مع استعمال بارع لعنصرى الرمز ممثلا فى البحر ، والتشويق ممثلا فى الكنز (١) .

ومفاد هذه المسرحية أن الحياة رؤيا نابعة من داخلنا . وقد يسلم الواحد منا حياته كلها ليسيرها إيمان قد يكون بالنسبة إلى الآخرين لا شىء على الإطلاق ، كما كان الحال بالنسبة إلى ابنه القبطان العجوز التى ظلت بمنجاة عن التردى فى الوهم المتسلط على كل من أبيها وأخيها . على أنه متى استبد ذلك الإيمان بالمرء ، كما استبد الايمان بالكنز المخبوء فى الجزيرة النائية بالقبطان ذاته ، فإنه يصبح كل شىء بالنسبة إليه . أما بالنسبة إلى ذوى الإيمان المزعزع من أمثال ابن القبطان فإن الحياة تمسى عذاباً مردة التأرجح بين الشك واليقين . وحتى عندما ينتهى الأمر بذوى القلوب التى لم يحكم الإيمان قبضته عليها إلى اتخاذ القرار الحاسم بطرح ذلك الايمان جانباً وتحرير البال من عنائه المضنى يستمر الوهم فى أغرائهم ، حتى يذيب فى النهاية القرار الذى يبدو فى أول الأمر حاسما ويعيدهم إلى التردى فى حظيرة الإيمان المزعزع من جديد .

---

(١) راجع الدكتور على الراعى ــ فن المسرحية ــ ص ١١٣ ومابعدها

الحبل :

والمسرحية الأخيرة فى مجموعة » سبع مسرحيات عن البحر « هى » الحبل « وهى من أكثر مسرحيات أونيل مرارة . انها دراسة أريبة فى الحقد والجشع ، والموقف الدرامى فيها قوى نفاذ ، والصراع بين الأبطال صراع جدى ، والشخصيات درست دراسة عميقة ، ورسمت على نحو لا يترك شاردة ولا واردة من حياتها .

وتحكى « الحبل » قصة ابرا هام بينتلى الكهل البخيل الذى يملك مزرعة على شاطىء المحيط ويحفظ آيات الكتاب المقدس ويرددها طوال النهار فى رياء وصخب. لقد تزوج مرتين، وله ابنة من زوجته الأولى وابن من زوجته الثانية. وذات يوم يسرق الابن مال أبيه الذى كان يحرص على إخفائه كل الحرص ، ويهرب من البيت . ويعلق بينتلى حبلا فى سقف الجرن معقوداً على شكل مشنقة ويخبر ابنته آنى أن ابنه الآبق لابد أن يعود يوماً ، وحينئذ لابد أن يشنق نفسه مكفراً عن خطيئته فتسخر منه ابنته التى امتلأ قلبها حقداً على أبيها لأنه قسا فى معاملة أمها المتوفاة ، وتزوج عاهرة قبل أن تبرد جثة أمها فى قبرها ، وأنجب لوقا ، الذى هرب بماله .

وتنفتح المسرحية على اللحظة السابقة على عودة الابن العاق إلى بيت أبيه . وتدور الأحداث فى فترة زمنية قصيرة لكن أونيل ببراعته يضع أمامنا حياة الأبطال جميعاً ، ويكشف لنا النقاب عن ماضى حياتهم وعما يعتمل فى أعماقهم من جشع وحقد وما يدور بخلدهم من خطط شريرة .

إن شخصيات هذه المسرحية شخصيات فاسدة عطنة فلابد أن تكون الكلمات والعبارات التى تنطق بها ألسنتهم إصداء لذلك الفساد والعطن . ونقف فى النهاية متأملين مغبة الجشع والخطط الشريرة .

يتحد الابن وزوج الابنة رغم ما بينهما من نفور وشقاق ضد الكهل الذى يخفى مالا. وفى لحظة خاطفة توحد بينهما المنفعة المشتركة حتى يحصلا على المال الذى يثير فى النفس البشرية الشرهة أحط النزعات . ويستقر رأى الابن وزوج الابنة على أن يضغطا على الكهل حتى يبوح لهما بالمكان الذى يخفى فيه ماله ، حتى لو اضطرا إلى تعذيبه بوسائل وحشية قد لايتحملها سنه وصحته . لكن فى سبيل المال ترتكب أكثر الأعمال خسة ونذالة . ولم لا ؟ الابن يريد قليلا من النقود ليبعثرها على متعه ورفاقه ، وزوج الابنة يبغى بعض المال ليصلح من أحواله المالية المتعثرة ويحقق أمله فى أن يصبح ثرياً يحيا فى دعة وراحة ورفاهية . وهويعتقد أنه قد تحمل الكهل بما فيه الكفاية ، وأنفق عليه من دخله المحدود من التجارة مايزيد على طاقته وعما يستأهله الكهل الشحيح منه . ولا بد أن يحصل على الثمن الآن . وكلما كان ذلك أسرع كان أفضل .

وعندما ينزل المتآمران ؛ الابن وزوج الابنة ، للبحث عن الكهل وارغامه على البوح بمكان إخفاء نقوده تكون البنت الصغيرة مارى حفيدة الكهل الشحيح قد صعدت إلى الجرن . وعندما نرى ماذا فعلت الفتاة البلهاء ندرك فى مرارة عاقبة الشر والجشع .

إن المسرحية تعرض لنا مجموعة من الشخصيات الكريهة ، ورغم ذلك فهى تتسم بنوع من الجمال الدقيق . وقد قال أونيل بعد عدة سنوات أن هناك جمالا حتى فى حياة القبح . والحق أنه ليس ثمة جمال إلا وتمتد جذوره فيما يبدو قبيحاً للنظرة الأولى . ومهمة الفنان أن يكتشف الجمال الذى يكمن فى كل شىء .

إن رثاء أونيل لحال الإنسان إنما ينطوى فى الواقع على حب عميق للإنسانية التى تقف فى خضم الكون محاربة وعزلاء فى الوقت ذاته .

ومسرحيات أونيل السبع عن حياة أهل البحر ليست مجرد نماذج للتمثيل فحسب ، بل هى فى الوقت نفسه نماذج للقراءة أيضاً . فإن المتعة التى تحققها قراءتها لا تقل عن متعة مشاهدتها تمثل ، ففيها واقعية وفيها شاعرية ، فيها الحقيقة وفيها الرمز ، فيها الشخصية المدروسة وفيها القصة محبوكة الأطراف ، وفيها — أيضاً وقبل كل شىء — اللمسة الإنسانية الرائعة التى أتاحت لها الخلود .

. . . . . .

استعرضنا فيما تقدم نشاط أونيل فى الست سنوات الأولى من حياته فى الكتابة المسرحية ، وهى السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩ . ورأينا كيف بدأ بكتابة مسرحيات الفصل الواحد ، إذ رأى فيها وسيلة مواتية للتعبير عما يريد أن يعبر عنه . وقد بلغ به الأمر إلى أن أجاد التعبير بهذه الوسيلة ، لكن طموحه جعله لا يرضى بالوقوف عندها فانتقلت جهوده بعد ذلك إلى مجال المسرحية الطويلة حتى استغرقت كل جهده ، ولم يفسح له المجال لكتابة مسرحيات قصيرة بعد ذلك إلا فى عام ١٩٤٠ عندما كتب مسرحيته « هوجى » .

كانت هذه المسرحيات القصيرة تدريبات مفيدة مكنت أونيل فيما بعد من تنمية بعض الأفكار التى عالجها فيهـا واثرائها فى مسرحياته الطويلة ، وعلى الأخص فكرة الجشع وشهوة المال التى تفسد نفوس البشر وتدفعهم إلى التناحر وتحطيم حياتهم وحياة الآخرين . وقد رأينا هذه الفكرة فى « الحبل » و « حيث وضعت علامة الصليب » . ويحل الغرور والكبرياء محل شهوة المال أحياناً ، كما فى « زيت الحيتان » إذ نرى القبطان المستبد يصرح بأن المال لا يهم وإنما المهم هو السمعة لدى الاقران والأصدقاء . أما فكرة الإنسان الذى يهرب من الوحدة

بمحاولة الانتماء إلى جماعة ، لكنه مهما حاول ذلك يجد نفسه فى النهاية أكثر وحدة وعزلة ، فقد رأيناها فى « بدر على جزر الكاريبى » و « فى المنطقة ». وقد رأينا فكرة الإنسان الذى لا يرضى قط ويجرى عبثاً إلى ما وراء الأفق فى « رحلة العودة الطويلة » كما رأينا فكرة القدر فى « الصبى الحالم » و « رحلة العودة الطويلة » وقد توصل أونيل من خلال فكرة القدر إلى أن ما يحدث للكائنات البشرية إنما هو نتيجة تكوينهم الجسمى والعقلى والخلقى ، وما يحيط بهم من ظروف البيئة والوسط ، وليس نتيجة ما يأمرهم أو يسوقهم إليه إله أو شيطان . وتتركز مهمة كاتب الدراما فى أن يبين المصير الإنسانى من خلال مسلك فرد أو أسرة أو الجنس البشرى بأسره .

وقد ظلت شهرة أونيل مرتبطة بمسرحياته ذات الفصل الواحد إلى وقت طويل . ولم تكن مسرحياته القصيرة التى بدأ بها مجرد تمهيد لمحاولاته الناجحة فى المسرحية الطويلة فحسب ، بل هى قمم قائمة بذاتها فى فن المسرحية القصيرة الذى يطالب بالاعتراف بذاتيته المستقلة ، كما طالبت القصة القصيرة بالاعتراف لها بالذاتية والاستقلال عن القصة الطويلة أو الرواية .

لقد جاءت « التعبيرية » فى الدراما فى أعقاب « الطبيعية » التى عمدت إلى تسجيل الواقع تسجيلا اتسم بكثير من الصراحة والقسوة التى بلغت حداً قال معه البعض أن الطبيعيين قد شغفوا بتقليب الحجارة لكشف الحشرات والديدان التى تقبع تحتها .

وقد عمدت « التعبيرية » إلى البحث عن وجه من أوجه العلاقات الإنسانية لم يطرقه الطبيعيون ووجدت ضالتها المنشودة فى النفس الإنسانية وخفاياها ، فعمدت إلى عرض الواقع من خلال نفسيات أبطالها . فالمسرح التعبيرى انعكاس

واضح حينا ومبهم حيناً آخر لما يضطرم فى نفسية البطل أو البطلة(١). وهكذا قلبت « التعبيرية » الأوضاع التى أرستها « الواقعية » أو « الطبيعية » ، ولم تعد تهتم بالشخصيات من خلال حادثة أو أحداث خارجية تستغرقهم وتسيرهم ، بل عمدت إلى جعل الأحداث تنبع من أعماق الشخصية . وقد بدأ أونيل « طبيعياً » ووجد فى ذلك سبيله إلى عرض نماذجه البشرية الدنيا التى التقى بها فى السفن والموانى والحانات والفنادق الحقيرة . وربما كان ذلك هو السبب فى رنة الحزن والكآبة وطابع اليأس والأسى المخيم على مسرحياته التى عرضناها . ونجد فيها أونيل مدفوعاً بفكرة أساسية لدى الطبيعيين مؤداها أن الإنسان محكوم فى تركيبه الذهنى والنفسانى بعوامل الوراثة وظروف البيئة . وهو فى كل مشكلة يلتى فيها يصارع الضرورات التى تضيق عليه الخناق مصارعة تؤثر فيها اعتبارات الوراثة والبيئة التى لا فكاك له منها . ويعمد أونيل كالطبيعيين إلى تصوير الواقع تصويراً مادياً دقيقاً دون أن يقترح حلا أو يفرض إصلاحاً ، ودون أن يبرر تصرفاً أو يدافع عن سلوك ، أو يتقيد بالآداب والفضائل السائدة والشرائع المتبعة . وعلى القارىء أو المشاهد أن يتأمل بعد ذلك ويستنتج ما يشاء من نتائج ، ويخلص إلى ما يحلو له من آراء من خلال العرض الدقيق غير المزخرف للحياة المعروضة أمامه . وعندما نرى تجمع البحارة فى عنبرهم فى مسرحية « شرقاً إلى كارديف » أو فى مسرحية « فى المنطقة » نحس كما لو كنا فى « نزل المعلم كوستيلوف » فى مسرحية « الحضيض » The Lower depths

---

(١) راجع مقالتى عن « التعبيرية فى الفن » بمجلة « الفن الاذاعى » — اكتوبر ١٩٦٢ وراجع ايضا بصفة عامة مقالة جلال العشرى بعنوان « يوجين اونيل » بمجلة « المسرح » ديسمبر ١٩٦٤ وكذلك :

John Gassner ; Theatre at the crossroads. New-York, 1960.

« لمسكيم جوركى » Maxime Gorky (١) وعندما نتابع أحداث « الظمأ » و« الحبل » نحس بأننا أمام « طبيعية » أصيلة . على أن أونيل كان منذ اتجاهاته الطبيعية فى مسرحياته الأولى ذا نزعة رمزية مردها طبيعته الشاعرة فنراه فى مسرحية « ضباب » مثلا يمزج التفاصيل الطبيعية بالاجواء والايحاءات الرمزية (٢) .

وكان البحر ملهم أونيل الذى لاينضب رمزاً كبيراً للحياة والقدر والمجهول. البحر فى نظره جميل وبشع ، قاس ورحيم ، يحطم أهله ويبث فى نفوسهم القوة ، يجمع شملهم ويشتتهم . وهو فوق كل ذلك لا يهدأ له قرار . أليست هذه صفات الحياة أيضاً ؟

وقد استطاع أونيل أن يتطور فى مسرحياته القصيرة من « الطبيعية » إلى « التعبيرية » . ونجح فى أن يجعل الوجود كله نابعاً من أعماق البطل ومصطبغاً بالانفعالات المتأججة المصطخبة فى داخله . لقد صور لنا الوجود كله مهتزاً من خلال نظرة القبطان وابنه فى مسرحية « حيث وضعت علامة الصليب » وجعلنا فى لحظة نشعر بشعور الابن بأنه غارق فى أعماق المحيط ، وجعلنا فى لحظة أخرى نرى أشياء لا وجود لها فى الواقع . فالسفينة المحملة بالكنز التى ينتظرها الأب الواهم وصلت إلى الميناء ، والبحارة الذين بعث بهم لاحضار الكنز يدخلون الغرفة حاملين الصناديق المثقلة بالجواهر واللآلىء . وعندما يصعد الابن الذى اختلط فى ذهنه الواقع بالخيال الدرجات خارجاً من الغرفة يعتقد اعتقاداً قوياً أن الباب المفتوح محكم الرتاج .. وهكذا حطم أونيل الفواصل

---

(١) راجع عرضا تفصيليا للمذهب الطبيعى فى الادب والمسرح فى كتاب « اشهر المذاهب المسرحية » تأليف درينى خشبة ـ ص ١٢٣ ومابعدها

(٢) راجع مقال فؤاد دواره « مسرح يوجين اونيل » بالمجلة العدد ٥٩

بين الواقع والحلم ، بين الحقيقة الخارجية والحقيقة الداخلية ، وجعل الحقيقة الداخلية تنتصر على الحقيقة الخارجية وتتسلط على سلوك الأب والابن . وهذه تعبيرية غاية فى القوة والتجديد . وفى « بدر على جرز الكاريبى » . يتخلى أونيل عن الحبكة والحركة ويجعل الوجود كله تعبيراً عن نفسية بطلها البحار الذى يحس بضياعة وضآلته أمام القوى الخارجية والطبيعة المهولة . وهذه تعبيرية أيضاً ، فعندما يكون الفنان حزيناً أو يائساً فالوجود كله قاتم الألوان ، حتى لو كانت الشمس ساطعة .

دكتور نعيم عطيه

بيان تاريخى بمسرحيات هذه المجموعة

(١)

بدر على جزر الكاريبى

كتبها أونيل عام ١٩١٦ – وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى العشرين من ديسمبر عام ١٩١٨

(٢)

شرقا الى كارديف

كتبها أونيل عام ١٩١٤ – وقدمت لأول مرة فى صيف عام ١٩١٦ فى بروفينستون احدى المدن الساحلية بولاية ماساشوستس .

(٣)

رحلة العودة الطويلة

كتبها أونيل عام ١٩١٦ – وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى الثانى من نوفمبر عام ١٩١٧

(٤)

فى المنطقة

كتبها أونيل عام ١٩١٦ – وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى الحادى والثلاثين من اكتوبر عام ١٩١٧

(٥)

زيت الحيتان

كتبها أونيل عام ١٩١٦ ــ وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى الثلاثين من نوفمبر ١٩١٧

(٦)

حيث وضعت علامة الصليب

كتبها أونيل عام ١٩١٨ ــ وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٩١٨

(٧)

الحبل

كتبها أونيل عام ١٩١٨ ــ وقدمت لأول مرة فى نيويورك فى السادس والعشرين من ابريل عام ١٩١٨ .

......

وقد نشرت هذه المسرحيات لأول مرة عام ١٩١٩ بعنوان « سبع مسرحيات عن البحر »

وفى الرابع عشر من اغسطس عام ١٩٢٤ قدمت فى بروفينستون فى سهرة واحدة « بدر على جزر الكاريبى » و « شرقاً الى كارديف » و « رحلة العودة الطويلة » و « فى المنطقة » واطلق على العرض « س. س.

جلينكبرن » نسبة الى السفينة التى تدور احداث هذه المسرحيات حول بحارتها .

وفى اواخر عام ١٩٤٠ تحولت هذه المسرحيات الى فيلم سينمائى من انتاج جون فورد .

(هذا البيان من واقع فهرس باعمال أونيل كاملة فى كتاب Croswell Bowen عن حياة أونيل واعماله بعنوان The curse of the Misbegotten طبعة عام ١٩٥٩ ، ومن الفهرس الكامل لاعمال اونيل الذى اعده الناقد الانجليزى Martin Browne فى مقدمته لثلاث مسرحيات لأونيل طبعة Penguin عام ١٩٦٠)

بيان بمسرحيات أونيل والسنوات التى كتبت فيها مع ملاحظة أن المسرحيات القصيرة قد وضع تحتها خط

١٩١٣

الشرك	The Web

١٩١٤

ظمـأ	Thirst
طيش	Reolessness
تحذيرات	Warnings
شرقاً الى كارديف	Bound East For Cardiff
ضباب	Fog
عبودية	Servitude
زوجة للعمر كله	A Wife For A-Life
رجل السينما	The Movie Man
اجهاض	Abortion

١٩١٥

دقة على الباب	A Knock At The Door
الهداف سديد الرماية	The Sniper
بالثازار	Belthazar
الطبيب العزيز	The Dear Dootor

المهندس الثانى	The Second Engineer

١٩١٦

رحلة العودة الطويلة	The Long Voyage Home
فى المنطقة	In the Zone
زيت الحيتان	Ile
بدر على جزر الكاريبى	Moon of the Caribees
قبل الافطار	Before Breakfast

١٩١٨

وراء الافق	Beyond The Horizon
القشة	The Straw
حيث وضعت علامة الصليب	Where The Cross Is Made
الصبى الحالم	Dreamy Kid
محل الاصداف	Shell Shop
حتى نلتقى	Till We Meet
الحبل	The Rope

١٩١٩

الشرف بين آل برادلى	Honour Among The Bradleys
البوق	The Trumpet
تعويذة	Exorcism
كريس كريستوفرسون	Chris Christopherson

١٩٢٠

Diff'rent	لسنا كالآخرين
The Emperor Jones	الامبراطور جونز
Gold	ذهب
Anna Christie	أنا كريستى

١٩٢١

The First Man	الرجل الاول
The Hairy Ape	القرد كثيف الشعر
The Fountain	الينبوع
All God's Chillun Got Wings	كل ابناء الله لهم أجنحة

١٩٢٣

Welded	التصاق

١٩٢٤

Desire Under The Elms	رغبة تحت شجر الدردار
The Ancient Mariner	الملاح القديم

١٩٢٥

The Great God Brown	اله الكبير براون
Marco Millions	ماركو ميليونز

١٩٢٦

Strange Interlude	استراحة غريبة
Lazarus Laughed	لاعازر المضحوك منه

١٩٢٨

دينامو	Dynamo

١٩٣٠

الحداد يليق باليكترا	Mourning Becomes Electra

١٩٣٣

التيه	Ah, Wilderness !

١٩٣٤

ايام بلا نهاية	Days Without End

١٩٤٠

رحلة اليوم الطويل الى الليل	Long Day's Journey Into Night

١٩٤٣

قمر لابناء الشقاء	Moon for the Misbegotten

١٩٤٦

مجيء بائع الثلج	The Iceman Cometh

. . . .

هذا ، وقد وجدت عند وفاة أونيل المسرحيات التالية بين أوراقه :

لمسة الشاعر	A Touch of the Poet
هوجي	Hughie
مزيد من القصور الفخمة	More Stately Mansions

تقع أحداث المسرحيات التى
تضمنها هذا الكتاب – باستثناء
مسرحية (فى المنطقة) – قبل
اعلان الحرب العالمية الأولى .

بدر على جزر الكاريبى

Moon Of The Caribbees

الشخصيات

يانك Yank

دريسكول Driscoll

اولسون Olson

دافيز Davis

كوكى Cocky

سميتى Smitty

بول Paul

لامبس عامل المصابيح Lamps

اتشيبس النجار Chips

العجوز توم الميكانيكى Old Tom

بيج فرانك Big Frank
ديك Dick
ماكس Max
بادى Paddy
} وقادو الجلينكيرن

بيللا Bella
سوزى Susie
نيوليت Violet
بيرل Pearl
} زنجيات من جزر الهند الغربية

الضابط الأول The First mate

بحاران آخران — سكوتى Scotty وايفان Ivan —
وعدة افراد آخرون من العاملين فى موقد غرفة الآلات بالباخرة .

المنظر

جانب امامى على ظهر الباخرة القاطرة الانجليزية جلنكيرن الراسية على مبعدة من جزيرة من جزر الهند الغربية . البدر يتوسط السماء ويلقى ضوءا ساطعا على ظهر السفينة . البحر هادىء والسفينة بغير حراك .

الى اليسار قائمان رافعان من قوائم صارى المقدمة ، وهما مشرعان بزاوية قدرها خمسة واربعون درجة ، وقد بديا سوداوين على صفحة السماء . يلوح فى الخلف الحاجز الايسر للسفينة كخط قائم حاد ، ومن خلفه قطاع مستطيل من شاطىء مرجانى ناصع البياض فى ضوء القمر ، وموشى بالنخيل الذى تبزغ هاماتها بوضوح عند الافق . الى اليمين برج المراقبة وفى منتصفه مدخل مفتوح يقود الى جناح البحارة والوقادين . وعلى كل من جانبى المدخل بابان موصدان وتفضى هذه الابواب إلى غرفة كل من رئيس البحارة ونجار السفينة وامين مخزن الطعام والميكانيكى وهم الذين قد يطلق عليهم ضباط صف السفينة . يوجد الى جوار كل من قائمى السارية ايضا سلم غير مرتفع يبدو كما لو كان جزءا من سلم للحريق ، ويفضى الى سطح برج المراقبة الذى يمكن ان نرى حافته على الجانب الايمن .

يشغل اغلب مساحة السطح المربع المرتفع الذى يتألف منه باب الشحن والتفريغ رقم واحد فى الوسط . وهو مغطى بقماش اشرعة فرش لقضاء الليل .

اغنية حزينة من اغانى الزنوج يجرفها تيار الماء خافتة آتية من بعيد .

وقد تمدد اغلب البحارة والوقادين أو جلسوا على مرتفع باب الشحن بينما استند بول الى الحاجز الايسر ، وقد ارتسم النصف الاعلى من جسمه الربع على صفحة السماء . يجلس سميتى وكوكى على حافة برج المراقبة وقد تدلت ساقاهما . وجلهم يدخنون الغلايين أو السجائر . ويرتدى أغلبهم سترات مرقعة من قماش قطنى خشن . وبعضهم حفاة والبعض الآخر لايرتدون سوى سراويل وقمصان داخلية ، وعلى الاخص الوقادون . كما ان الكثير منهم يرتدى اغطية للرأس .

وبينما ،رفع الستار تنبعث همهمات خفيضة من احاديث مختلفة يتبادلها افراد الجماعات المتفرقة . ثم يتبع ذلك صمت مباغت يسمع خلاله بوضوح الغناء الآتى من الشاطىء .

...

دريسكول : (ايرلندى متين البنيان يجلس على حافة بوابة الشحن ، فى الواجهة ــ منفعلا) هلا اصغيتم

الى هؤلاء الزنوج ؟ وانى لاتساءل الآن عما اذا كانوا يسمون هذا العويل غناء ؟ .

سميتى : (انجليزى شاب ذو شارب اشقر . يجلس على قمة برج المراقبة محدقا فى الماء وقد اسند ذقنه الى يديه) انه لايجعل المرء يحس بكثير من البهجة ، اليس كذلك ؟ (يتنهد) .

كوكى : (رجل كثور اعجف ذو شارب رمادى اشعث يضرب سميتى على ظهره) دع عنك الاحزان ، ياعجوزى العزيز . لاتكن مهموما الى هذا الحد ، ايها الدوق ، انها تحبك .

سميتى : (مكتئبـــا) اسكت ياكوكى (يستدير مبتعدا عن كوكى ويغرق فى خيالاته من جديد محدقا الى تلك البقعة على الشاطىء التى يبدو أن الغناء يأتى منها)

بيج فرانك : (وقاد ضخم الجثة قد تمدد على يمين بوابة الشحن – ملوحا بيده نحو الشاطىء) انهم يدفنون شخصا ما ، وحق عيد الميلاد . هذا ما اعتقده من النحو الذى يبدو عليه الغناء .

يانك : (سليط ، حسن المظهر الى حد ما . يجلس الى

جوار دريسكول) ماذا تعنى بقولك يدفنون ؟ انهم لايدفنونهم هنا ، ايها الهولندى ، بل يأكلونهم حتى يوفروا نفقات الجنازة . احسب ان ذلك الميت انحرفت صحته ، فاصيبوا بعسر فى الهضم .

كوكى : عسر فى الهضم . اوه ، نعم . نعم . الا تعرف ان هؤلاء الناس لهم معدتان ، مثل جمل اعين ؟

دافيز : (رجل اسمر قصير • يجلس على يمين بوابة الشحن) واحسب انك قد رأيت المعدتين ، اليس كذلك ؟ .

كوكى : (باحتقار) لاتظهر جهلك بمحاولتك ان تسخر منى ، انا الذى رأيت من الدنيا اكثر مما ستراه انت فى حياتك كلها .

ماكس : (وقاد سويدى . من مؤخرة بوابة الشحن) هذه حكاية ملفقة يا كوكى .

كوكى : ماقلته لكم هو الحقيقة . سمعتها من زميل وقع فى اسرهم فى جزر سليمان . كنت قد رحلت معه ذات مرة . كانت متعة نادرة ، فقد سمعته يحكى ماحدث له بينهم (شارد الفكر) كان رفيقا مضحكا . اجل كان كذلك . ابحر من مايل ايند . اجل ابحر من هناك .

دريسكول : (ناخرا) لندنى كذاب آخر ، مثلك .

لاميس : (سويدى بدين . يجلس على كرسى من الصنف الذى يطوى ويحمل — يجلس امام بابه ويتجاذب اطراف الحديث مع اتشيبس) اين التقيت به ، يا كوكى ؟

اتشيبس : (اسكتلندى نحيف طويل — بسخرية) فى غينيا الجديدة . اقسم على ذلك .

كوكى : (بتحد) اجل ، فى غينيا الجديدة ، عندما تحطمت بى سفينتى هناك (يثير هذا القول عاصفة شاملة من الضحك والزمجرة)

يانك : (ناهضا) انت تعرف ماقلنا عما ستناله اذا عدت الى قذفنا بأية كذبة من اكاذيبك عن غينيا الجديدة ، اليس كذلك ؟ اغلق تلك المصيدة اذا اردت ان تجنب نفسك ان يلقى بك فى اليم من فوق حاجز السفينة .

كوكى : اوه ، كنت احاول ان اثقفكم بعض الشىء فحسب . (يغوص فى الصمت بكبرياء)

يانك : (يومىء برأسه نحو الشاطىء). الا تعرف ان هذه جزر الهند الغربية ، ايها الاحمق المأفون ؟

ليس ثمة اكلة بشر هنا . انهم زنوج عاديون فحسب .

دريسكول : (منفعلا) مهما كانوا ، فليأخذ الشيطان عويلهم . انه كاف ليصيب المرء بالرعدة حين يصغي اليه ..

يانك : (متجهما) ماذا دهاك يادريسك ؟ انك تغلى غضبا من امر ما .

دريسكول : انى اموت لهفة الى قطرة من الشراب ، وقد اقسمت تلك البائعة الزنجية ان تحضر معها عند عودتها هذه الليلة خمرا تكفينا جميعا .

بيج فرانك : (وقد سمع هذه العبارة عرضا — بصوت مرتفع كله حماسة) تقول ان المرأة البائعة ستجلب شرابا ؟ .

دريسكول : (متهكما) اجل . انقل الخبر الى القبطان العجوز والى رئيس البحارة أيضا (افراد الطاقم كلهم قد اقتربوا من دريسكول ، وأحاطوا به . يصغون الى الحديث وقد كبتوا انفعالهم . يخفض دريسكول صوته ويوجه خطابه اليهم جميعا بطريقة تأثيرية) قالت ان بامكانها ان تهرب الخمور الى ظهر السفينة باخفائها فى اسفل سلال الفاكهة التى ستحضرها مع النسوة لتبيعها الينا .

الميكانيكى : (عجوز اشيب الرأس ذو وجه مجعد تلوح عليه الطيبة . وهو يجلس امام بابه فى الجانب الايمن الامامى على كرسى من النوع الذى يطوى ويحمل) ستحضر معها بعض النسوة السود هذه المرة ، ام ان الاحوال قد تغيرت منذ أن رسيت هنا آخر مرة .

دريسكول : قالت انها ستحضر — اثنتين او ثلاثا — او ربما اكثر . لا ادرى .

(يتقبل الجميع هذا النبأ بحماسة بالغة)

كوكى : يالها من متعة لعينة .

اولسون : والله سنقضى وقتا كالجحيم .

دريسكول : (محذرا) تذكروا ، يجب ان تلزموا الهدوء فى هذا الشأن ياقصيرى الذيل — اعنى فى شأن الشراب — حتى لو كان رئيس البحارة قد نزل الى الشاطىء . لقد امرها القبطان العجوز الا تحضر اى شراب الى ظهر السفينة والا فانه لن يشترى منها شيئا للسفينة .

بادى : (اسكتلندى من ليفربول ، قصير سمين دميم) فليذهب إلى الشيطان .

بيج فرانك : (مستديرا نحوه) اصمت يابادى ، أيها الاحمق اللعين . لن تثير المتاعب (إلى دريسكول) أنته وأنا ، سنحملهم على عدم إثارة المتاعب ، يادريسك .

دريسكول : أصبت ، أيها الهولندى . سأهشم جمجمة أول من يشرع منكم فى الشجار .

(يسمع ناقوس يدق ثلاث دقات)

دافيز : ثلاث دقات . متى ستحضر المرأة يادريسك ؟ .

دريسكول : ستكون هنا بين لحظة وأخرى ، بكل تأكيد . (إلى بول الذى عاد إلى مكانه إلى جوار الحاجز بعد أن سمع أنباء دريسكول) هلا تراهن قادمات يابول ؟ .

بول : لا أرى أية بائعة (يعد كل منهم نفسه للانتظار ، فيشعلون الغلايين والسجائر ، ويتخذون أوضاعاً مريحة . يخيم صمت لايعكره غير الغناء النائح الذى يفد من الزنوج على الشاطىء)

سميتى : (ببطء ــ وقد ارتسمت عليه سمة من الكآبة) أود لو أوقفوا تلك الاغنية . إنها تجعلك تفكر ــ حسن ــ فى اشياء يجدر بك ان تنساها . ماهذه الامور الغريبة التى تجرى ؟ .

كوكى : (يضربه على ظهره) سرعنك أيها الحبيب القديم . سنشرب خمرنا بعد نصف دقيقة ، ايها الدوق .
(ينزل الى السطح تاركا سميّى وحده على سطح برج المراقبة)

بيج فرانك : غن شيئا ، يادريسك ، حتّى لانسمع ذلك العويل .

دافيز : غن لنا اغنية ، يادريسك .

بادى : اغنية نعرفها جميعا .

ماكس : سنغنّى كلنا معا .

اولسن : « ريوجراند» يادريسك ؟

بيج فرانك : كلا ، لانعرف هذه الاغنية . غن «ويسكى جونى»

اتشيبس : «السحابة الطائرة»

كوكى : كلا . غن لنا « فتاة امستردام »

لامبس : «سانتا آنا» اغنية جيدة ؟

دريسكول : اغلقوا افواهكم كلكم (باحتقار) اتريدون اغنية ؟ اراهن باجر يومى كله ان مامن احد فى هذا الجمع ، عدا يانك واولى وانا ، وربما لامبس وكوكى ، يعتبر بحارا اصيلا فيتبين البر من على سارية فى مؤخرة مركب شراعى . لقد

سمعتم أسماء الاغنيات ولكنكم لاتعرفون قط
اية نغمة من النغمات أو سطر من الكلمات .
انه لايكاد يوجد واحد من بحارة اعالى البحار .
انه لأمر مؤسف حقا .

يانك · لنغن « الق بالرجل أرضاً » كلنا يعرف بعض
هذه الأغنية (تتعالى أصوات الاستحسان : أجل
حسناً . لنبدأ هذه الأغنية . ابدأها يا دريسك.. الخ)

دريسكول : هيا إذن ، كلكم (يغنى)
بينما كنت أجول فى شارع الفردوس .

الجميع : اعطنا بعض الوقت لنطرح القبطان أرضاً .

غناء جماعى

اطرحوا القبطان أرضاً ، أيها الفتيان . اوه ، اطرحوا
القبطان أرضاً :
واى ، واى ، اطرحوا القبطان أرضاً .
بينما كنت أجول فى شارع الفردوس .
اعطنا بعض الوقت لنطرح القبطان أرضاً .

ـيسكول : التقيت مصادفة بصبية جميلة .

ـميع : واى ، واى ، اطرحوا القبطان أرضاً .

دريسكول : التقيت مصادفة بصبية جميلة .

الجميع : اعطنا بعض الوقت لنطرح القبطان أرضاً .

غناء جماعى

القوا بالرجل أرضاً ، أيها الفتيان ، اوه ، القوا
بالرجل أرضاً .
واى ، واى ، القوا بالرجل أيضاً .
التقيت مصادفة بصبية جميلة .
اعطنا بعض الوقت لنلقى بالرجل أرضاً .

بـــول : (فى اللحظة التى يجلو دريسكول حنجرته استعدادا ليبدأ المقطع التالى) هاى ، يادريسك . هاهى قادمة ، على ما اعتقد . ثمة قارب يتجه نحونا (يندفع الجميع إلى جانب السفينة ويتطلعون نحو الشاطىء)

يانك : فى القارب خمس أو ست منهن — يبدو ذلك من حركة المجداف .

دريسكول : (بفرحة وحشية) هورو ، يا قصار الذيل ، انهن بعينهن ، هذا واضح .
(يأتى ببضع خطوات راقصة على سطح السفينة)

أولسون : (بعد برهة صمت يرقب الجميع فيها القارب المقترب) بشرفى ، أرى ستا فى القارب ، أجل ، ياسيدى .

دافيد : إنى أتبين السلال . انظر اليهن بين السفن ؟ .

بيج فرانك : مانوع الشراب الذى يحضرونه – ويسكى ؟ .

دريسكول : روم ، من الصنف الممتاز الذى تنتجه جزر الهند الغربية . روم من الذى يجعلك تحس كما لو كان قد رفسك بغل بساقه الخلفية .

لامبس : ربما لا تحضر شيئاً من الشراب ، فقد يكون الربان قد أخافها .

دريسكول : لا تثبط الهمم ، يالامبس . سأقطع رأسها الأسود إذا نكصت عن وعدها .

يانك : ها هن قادمات . استمعوا إلى ضحكاتهن (منادياً) أوه أيتها الصغيرات .

(تسمع أصوات نساء وضحكاتهن)

دريسكول : (منادياً) أأنت أيتها السوداء العجوز ، مسز جو ؟

صوت امرأة : هالو يا مايك (تثير هذه الإجابة . ضحكات نسائية عالية)

دريسكول : حركى قدميك واصعدى إلى السطح بخفة .

صوت امرأة : نحن قادمات .

دريسكول : هيا ، يايانك . من الأفضل أن نذهب معاً لنعاونهن فى حمل بضائعهن . سيرفع ذلك من روحهن المعنوية .

كوكى : (وقد هما بالانصراف من الجانب الأيسر) هوه، انت ثعلب ماكر يا دريسك . لا تشرب الخمر كلها قبل أن نراها .

دريسكول : (ملتفتاً إليه) ستحصل على نصيبك يافتاى المشرق • لاتخش شيئاً (يخرج هو ويانك من الجانب الأيسر)

كوكى : (يلعق شفتيه) لعنى الله • لايمكننى البقاء دون جرعة من الشراب .

دافيس : أنا أيضاً .

تشيبس : أراهن أن ما من أحد فينا سيفرط فى قطرة منه .

بيج فرانك : باستطاعتى أن أشرب وحدى برميلا كاملا وحق عيد الميلاد .

كوكى : أرجو ألا تكون كل الفتيات دميات مثلها . إنها تبدولى مثل قرد طاحونة لعين . حقاً، يا إلهى ،أنى لا أستطيع أن أنسجم مع من كن على شاكلتها .

بادى : ستكون محظوظاً إذا نظرت إليك احداهن أيها الثور الأعور .

كوكى : (غاضباً) هوه أجل ؟ لست بدورك ممن يضرب بك المثل فى الجمال أيها الرجل . إنى أسميك قرداً كثيف الشعر .

بادى : (يمشى نحوه — بشراسة) ما هذا الكلام ؟ قله مرة أخرى ، إذا كنت تجرؤ .

كوكى : (واضعاً يده على غمد مطواته — مزمجراً) قرد كثيف الشعر . هذا ما أقوله .

(يحاول بادى الامساك به ، فيتدخل الآخرون لابعادهما عن بعضهما)

بيج فرانك : (يدفع بادى إلى الخلف) ماذا دهاك يابادى . ألم تسمع ما قاله دريسكول — من أن الشجار ممنوع ؟

بادى : (متذمراً) أنا لا أقبل رداً من ذلك القزم ماسح سطح السفينة .

كوكى : أيها القذر ياداسس الفحم (يظهر دريسكول وقد اكتسى وجهه بابتسامة رضاء . فينسى الجميع أمر الشجار ويحتشدون حوله وقد ندت منهم صيحات الشوق والفضول (كيف الحال يادريسك ؟ هل وفقت؟ ما الذي جلبته يا دريسك ؟ أين الفتيات ؟ الى آخره..)

دريسكول : (يلقى نظرة وجلة إلى غرفة القبطان خلفه) لاترفعوا أصواتكم إلى هذا الحد ، وحق السماء (تخفت الضجة) أجل ، لقد جلبتها معها . ستحضر إلى هنا بعد لحظة ومعها زجاجة أو اثنتان لكل واحد

منكم — ثمن الزجاجة ثلاثة شلنات ، فلا يفرغ صبركم .

كوكى : (مستنكراً) ثلاثة شلنات . يالها من بقرة لعينة .

سميتى : (بابتسامة ساخرة) والله ، إنها لسرقة كبيرة (يلتفت الجميع ويتطلعون إليه وقد أدهشهم أن يسمعوه يتكلم)

أولسون : بشرفى ، لن ندفع كل هذا المبلغ .

بيج فرانك : لعنة الله على اللصة السوداء .

بادى : سنأخذ ما جلبته ، ولن ندفع لها شيئاً .

الجميع : (مزمجرين) اللصة القذرة . هذا صحيح . لن نعطيها شيئاً ولابنساً واحداً .

دريسكول : (مكشراً) بوسعكم أن تأخذوها أو تتركوها ، يافتيانى المشرقين (يلقى نظرة فى اتجاه مقصورة القبطان ، ثم يدس يده فى قميصه ويخرج زجاجة) إنه روم من الصنف الجيد . صنف أصلى (يشرب) اختلست هذه الزجاجة من إحدى السلال عندما كن معرضات عنى (يعطى الزجاجة إلى أولسون أقرب الموجودين إليه) هاك الزجاجة يا أولى . خذ منها رشفة صغيرة ومررها إلى من بعدك . إنها لاتحتوى شراباً كثيراً ، لكنه سيكفى ليزيل المذاق السىء من أفواهكم

لو ترفقتم بها . وهناك أكثر من دلو منه فى الطريق .
(تمر الزجاجة من يد إلى يد . ويرشف كل من الرجال رشفة مطلقاً من شفتيه آهة عميقة من الرضاء)

دافيز : أين هى الآن يادريسك ؟ .

دريسكول : إنها فوق تتكلم مع القبطان وتتحاسب معه ، على ما أعتقد .

دافيز : وأين الفتيات الأخريات ؟ .

دريسكول : معها . هناك خمس أخذتهن معها إلى فوق — اثنتان حلوتان رشيقتان . بشرتاهما قريبتان فى بياضهما من بشرتى وبشرتك ، وهما لذلك الأحمق العجوز أشهب الفودين ولمساعديه ، وربما للمهندسين أيضاً . أما بقيتهن فسيحضرن عندما تحضر .

كوكى : إنه لعصفور مضحك عجوز ، ذلك القبطان . لعنة الله عليه . أتذكرون عندما أبحرنا من الوطن وقد وقف فى مقصورته وبدا مثل قسيس عجوز مرذول ؟ وزوجته تحت على الرصيف الزاخر تقتل نفسها بالعويل ؟ وأولاده يبكون ويلوحون بمناديلهم ؟ (بغضب شديد على ضيعة الأخلاق) وهاهو يراود زنجية لعينة . هاهو قبطانكم . لعنة الله على هذا الخسيس . إنى أسميه « أبو جلمبو »

دريسكول : أسكت ، أيها الحشرة ، فما أنت بكل تأكيد الذى يجدر بك أن تتكلم ، وأنت الذى له فى كل ميناء فى هذا العالم الرحيب زوجة وأولاد يبكون عليك . هذا لوصدقنا ما ترويه لنا بنفسك .

كوكى : (لا زال غاضباً) أنا لست قبطانا زاهراً . ولست متزوجاً — زواجاً شرعياً ، أقصد . أنا لست —

بيج فرانك : (يضع كفاً ضخماً على فم كوكى) لن تمضى فى الثرثرة . سامع ؟ (يفلت منه كوكى مبتعداً عنه) قل لى يا دريسك كيف سندفع ثمن الشراب إلى هذه المرأة ؟ ليس معنا نقود .

دريسكول : الأمر غاية فى السهولة . ستحمل كل فتاة قصاصة من الورق وعندما تشترى منها شيئاً اكتب ما اشتريت وثمنه على تلك الورقة ووقع بامضائك . وإذا كنت لاتعرف الكتابة كلف أحداً ممن يعرفونها أن ينوب عنك . وتذكروا هذا : عندما تشترون زجاجة من الشراب أو (يغمز بعينه) شيئاً آخر ممنوعاً ، عليكم أن تكتبوا أنكم اشتريتم تبغاً أو فاكهة أو أى شىء من هذا القبيل . وعندما تنصرف سيدفع لها القبطان ما هو مكتوب على الورقة ، ويخصمه من أجركم . وضح الأمر لكم الآن ؟

الجميع : أجل ـ واضح كالنهار ـ حسن يادريسك ـ تماماً ـ بالتأكيد . إلى آخره .

دريسكول : ولاتنسوا ماقلته لكم من التزام الهدوء فى الشراب ، والا أطبق مساعد القبطان على أعناقنا وأفسد متعتنا (همهمة جماعية بالموافقة) .

دافيز : (متطلعاً نحو مؤخر السفينة) السن هؤلاء القادمات ؟ (ينظر الجميع فى ذلك الاتجاه تسمع ضحكات نسائية خرقاء) .

دريسكول : أنظروا إلى يانك معهن وقد لف ذراعه حول خصر إحداهن . ذلك الفتى لايضيع دقيقة من وقته . (تدخل النساء الأربع من الجانب الأيسر. يضحكن ضحكات مكتومة ويتهامسن . الثلاث الأوليات تحملن سلالا على رؤوسهن . وتأتى فى المؤخرة أصغرهن سناً وأحسنهن مظهراً ، وقد لف يانك ذراعه على خصرها ، ويحمل سلتها فى يده . تبدو سمات الزنوج بوضوح على النسوة الأربع . يرتدين ثياباً ذات ألوان زاهيـــة وفضفاضة ويعصبن رؤوسهن بمناديل لامعة ذات نقاط صفراء وبيضاء . يضعن سلالهن على الأرض فوق باب الشحن ويجلس إلى جوارها . يتجمع الرجال حولهن مبتسمين)

بيللا : (وهى أكبر الأربع سناً ، وأضخمهن بدناً ، وأقلهن كلفة – ترد على ابتسامات الرجال بابتسامتها) مرحباً بكم ، يا فتيان .

الفتيات الأخريات : مرحباً بكم ، يا فتيان .

الرجال : مرحباً – مســاء الخير – مرحباً – كيف حالكن ؟ الخ . .

بيللا : (بلطف) أرجو أن تكونوا قد قمتم برحلة طيبة . أنا اسمى بيللا ، وهذه سوزى ، وتلك فيوليت ، وتلك التى هناك (مشيرة إلى الفتاة التى مع يانك) بيرل . والآن نحن جميعاً نعرف بعضنا بعضاً .

بادى : (بخشونة) لا تعنينا الفتيات . أين الشراب ؟ .

بيللا : (بحدة) أنت خنزير ، أليس كذلك ؟ لاتتحدث بهذا الصوت المرتفع ، وإلا لن تحصل على شىء منه – لا أنت ولا أى من الرجال . أتعتقد أنى أريد أن يطردنى القبطان من السفينة ، هل تعتقد ذلك ؟ .

يانك : أجل ، حذار من الصياح يا هذا . هل تريد أن تفسد الأمر علينا كلنا ؟

بيللا : (تلقى نظرة سريعة خلفها) والآن . ليجلس بعض الفتيان منكم من ذوى الأجسام الضخمة والعضلات

المفتولة على باب الشحن هناك، حتى لا يرى أولئك الضباط ما نفعل .

(يمضي دريسكول وآخرون إلى الجلوس والوقوف خلف الفتيات على باب الشحن . تستدير بيللا إلى دريسكول) هل أخبرتهم بأن عليهم أن يوقعوا على بيان مشترياتهم — وكيف يوقعون ؟

دريسكول : أخبرتهم — ما اسمك مرة أخرى — أوه ، أجل — يا بيللا ، يا عزيزتى .

بيللا : إذن كل شيء على ما يرام . لكن على كل فتى مكنهم أن يدخل غرفة المراقبة عندما يحصل على زجاجته . فالشراب ممنوع هنا على السطح . لا أضمن الظروف . (تتعالى من الجميع همهمة متلهفة) أليس ذلك صواب ، يا مايك ؟

دريسكول : غاية الصواب ، ياعزيزتى (ينحنى بيج فرانك عليه ويفضى إليه بشيء فى صوت خفيض ، فيضحك دريسكول ، ويضربه على ردفه) اسمعى يابيللا ، عندى سؤال من أجل صديقى الصغير هذا الخجول . الأمر يتعلق بالسيدات ولذلك من الأفضل أن أهمس به إليك لأجنبهم حمرة الحياء . (ينحنى عليها ويسألها) .

بيللا : (بحزم) أربعة شلنات .

دريسكول : (ضاحكاً) هل سمعتم ذلك كلكم ؟ إنه أربعة شلنات .

بادى : (بغضب) ليذهب هذا الحديث إلى الجحيم . أريد شراباً .

بيللا : هل كل شيء على ما يرام يا مايك .

دريسكول : (بعد أن نظر خلفه إلى مقصورة القبطان) بكل تأكيد . إلى الأمام .

بيللا : حسن ، يافتيات (تدس كل فتاة يدها فى سلتها تحت الفاكهة التى على سطح السلة ، وتخرج زجاجة من الشراب . يتزاحم أربعة من الرجال يتناولون الزجاجات . أحضر ضوءاً ، يالامبس ، أيها الفتى (يذهب لامبس إلى غرفته ، ويعود بشمعة . وتمر هذه من فتاة إلى أخرى أثناء توقيع الرجال على الأوراق بشراء الزجاجات) لا تنسوا أيها الفتيان أن تكتبوا أنكم اشتريتم سجائر أو تبغاً أو فاكهة . تذكروا هذا . الثمن ثلاثة شلنات . خذوا الزجاجات إلى جناحكم . وحق الاله لاتقفوا هنا لتشربوا فى ضوء القمر (يمضى الأربعة إلى جناحهم ويحتشد أربعة آخرون محلهم . يتسمر بادى واقفاً

أمام بيرل التى تجلس إلى جوار يانك الذى لازال يحوطها بذراعه) .

بادى : (بخشونة) اعطنى تلك (تناوله زجاجة فينتزعها من يدها . ويستدير منصرفاً)

يانك : (بحدة) على مهلك يا صاح من أين لك هذه . إنك لم توقع بشرائها بعد .

بادى : (ببلادة) لا أعرف أن أكتب اسمى .

يانك : سأكتبه إذن نيابة عنك (يأخذ الورقة من بيرل ويكتب) لا أسمح بأية ألاعيب على هذه الصغيرة ذات العينين الجميلتين — ولا عندما أكون بعيداً . مفهوم ؟ ألست على حق ، يا صغيرتى ؟

بيرل : (بابتسامة) أجل ، بكل تأكيد .

بيللا : (تستوثق من أن الأربعة قد حصلوا على طلباتهم) خذوها إلى جناحكم ، يافتيان .

(يرفع بادى زجاجته متحدياً ويجرع جرعة فى ضوء القمر . تراه بيللا) أنظروا إليه . أنظروا إلى الخنزير القذر . (يدخل بادى إلى جناح البحارة متمهلا) يريد أن يسبب لى المتاعب . هذا يقطع كل شك . بجدر أن نمضى جميعاً إلى الداخل يافتيان ، حيث

نكون فى مأمن من أن نضبط . هيا يا فتيات (تجمع الفتيات سلالهن ويتبعن بيللا . يانك وبيرل هما آخر من يبلغ المدخل . تتمهل بيرل متخلفة عن يانك وقد تركزت عيناها على سميتى الذى مازال يجلس على قمة جناح البحارة ، مسنداً ذقنه إلى يديه محملقاً فى الفضاء) .

بيرل : (تلوح بيدها لتسترعى انتباهه) ادخل أيها الفتى الجميل . إنك تروق لى .

سميتى : (ببرود) أجل ، أريد أن أشترى زجاجة من فضلك (ينزل الدرجات ويتبعها فى جناح البحارة . لا يبقى أحد على السطح إلا الميكانيكى الذى يجلس ويدخن غليونه أمام بابه . تفد همهمات مكتومة من الجمع المحتشد فى الداخل ، الكن الأغنية النائحة تصل إلى الأسماع من جديد فى خفوت . يظهر سميتى من جديد ، ويغلق باب جناح البحارة من خلفه. يرتعد ويهز كتفيه كما لو كان يطرد شيئاً يضايقه . ثم يرفع الزجاجة التى فى يده إلى شفتيه ويجرع جرعة طويلة . يراقبه الميكانيكى ببلادة . يجلس سميتى على باب الشحن . والآن وقد منع الباب المقفل كل الضجيج تقريباً يصل الغناء بوضوح

من الشاطىء سابحاً على اللجة اللامعة فى ضوء القمـــر) .

سميتى : (يصغى للأغنية برهة) لعنة الله على أغنيتهم هذه . (يتناول مرة أخرى جرعة كبيرة) ماقولك ، أيها الميكانيكى .

الميكانيكى : (بهدوء) إنها لطيفة وتجلب النعاس .

سميتى : (بضحكة جافة) تجلب النعاس . إذا أصغيت لها مدة طويلة — وأنا صاح — فلن أذهب لأنام قط .

الميكانيكى : ليست موسيقى رديئة إلى هذا الحد . أليس كذلك ؟ تبدو فى أذنى حلوة ورؤوفة خافتة وحزينة — كأنك تستمع إلى الأرغن خارج الكنيسة فى يوم الأحد .

سميتى : (ضجراً بعض الشىء) لم أقصد أن الموسيقى سيئة . إنها ليست كذلك . بل هى الذكريات الضارية التى يبعثها هذا الشىء اللعين — لسبب أو آخر .
(يرشف رشفة أخرى من الزجاجة)

الميكانيكى : ألم تسمع هذه الموسيقى من قبل ؟

سميتى : كلا ، لم أسمعها قط فى حياتى . السىء فى الأمر هو ذلك الشىء العطن الذى يجعلنى أفكر فى — حسن — أوه ، يا للشيطان .

(يحمل نفسه على الضحك)

الميكانيكى : (يبصق فى هدوء) الذكريات شىء غريب . ماكانت تضايقنى كثيراً .

سميتى : (ينظر إليه بنظرة ثابتة لحظة — ثم باحتقار هادىء) كلا ، ماكان يمكن أن تضايقك .

الميكانيكى : لست أعنى لم أرتكب نصيبى من الخطايا ، لكنى كنت أطردها من عقلى وأنساها .

سميتى : لكن لنفرض أنك ماكنت قادراً على أن تطردها من دماغك ؟ لنفرض أنها طاردتك فى صحوك ومنامك — ماذا كنت تفعل ؟

الميكانيكى : (بهدوء) كنت أسكر ، كما تفعل أنت .

سميتى : (بضحكة خشنة) نصيحة طيبة (يجرع جرعة أخرى . ويبدأ تأثير الشراب يبدو عليه ، فيحمر وجهه، وتميل لهجته إلى الانفعال) نحن حملان صغيرة مسكينة ضلت طريقها ، إيه أيها الميكانيكى ؟ ملعونون من هنا إلى الأبدية . أليس كذلك ؟ فليرحم الله أمثالنا . أليس ذلك صحيحا ، أيها الميكانيكى ؟

الميكانيكى : ربما ، لا أعرف . (بعد برهة صمت وجيزة) ما الذى جعلك تركب البحر ، إنك لم تخلق له .

سميث : (يضحك بوحشية) صديقى القديم فى هذه الزجاجة ، أيها الميكانيكى .

الميكانيكى : أخذت نصيبى من الشراب فى أيامى . (بحسرة) كانت أياماً طيبة ، تلك الأيام . ماعدت أقوى على الشراب . قال لى الطبيب إن على أن أكف عنه وإلا مت . (يبصق راضياً) ومن ثم كففت .

سميث : (بابتسامة حمقاء) إذن ، سأشرب نخبك . فى صحتك ، أيها التائب العجوز . (يشرب)

الميكانيكى : (بعد برهة صمت) أعتقدأن ثمة فتاة تختلط بذكرياتك. أليس كذلك ؟

سميث : (بجفاء) ما الذى يجعلك تعتقد ذلك ؟

الميكانيكى : هذا هوالأمر كلما ترك رجل الموسيقى تقض مضجعه . (يدخن غليونه برهة) وقالت أنها هجرتك . لأنك سكير ، وقلت أنت أنك تدمن الشراب لأنها هجرتك (يبصق على مهل) الحب شىء غريب ، أليس كذلك ؟

سميث : (ناهضاً على قدميه مخموراً وقد تملكته عزة نفس) سأستميحك ألا تتدخل فى شئونى ، أيها الميكانيكى :

الميكانيكى : (رابط الجأش) يحدث هذا الذى قلته للجميع . حدث

لى أنا شخصياً أكثر من مرة . (بمرح) إنى أضربهن على آذانهن دائماً وأخرج لأغرق نفسى فى الشراب . وعندما أعود إلى البيت أجدهن على الدوام قد طبخن لى طبقاً شهياً من الطعام . (يدخن غليونه) هذه هى الطريقة الوحيدة لكبح جماحهن عندما يتعاظمن . لا أعتقد أنك حاولت ذلك ؟

سميتى : (بأنفة) الرجال المهذبون لا يضربون النساء .

الميكانيكى : (برصانة) كلا ، وذلك هو السبب فى أن الذكريات تؤرقهم عندما يسمعون الموسيقى .

(لا يكترث سميتى بالإجابة على هذا ، ولكنه يغوص فى الصمت باحتقار . يخرج دافيز والفتاة فيوليت من جناح البحارة ، ويغلق الباب وراءهما . وهو يترنح بعض الشىء وهى تضحك بصوت حاد)

دافيز : (مستديراً إلى اليسار) من هذا الطريق ، ياوردة ، أو يا بانسيه ، أو ياياسمينة أو أيتها الزنبقة السوداء . أو يا بنفسج ، أو أية زهرة من زهرات الجحيم تتسمين بها . ان يرانا أحد هنا . (يمضيان يساراً ويغيبان عن الأنظار)

الميكانيكى : هاك حب من أول نظرة — وهناك الكثير من هذا فى جناح البحارة . ولا ذكريات تقترن بذلك .

سمى : (وقد سبب ذلك اشمئزازه بحق) اصمت ، أيها الميكانيكى . أنت تثير التقزز . (يرشف رشفة طويلة من الشراب)

الميكانيكى : (متفلسفاً) يتوقف كل شيء على النحو الذى ربيت عليه ، فيما أعتقد . (تأتى بيرل خارجة من جناح البحارة . وتفد عاصفة من الأصوات من الداخل . تغلق الباب خلفها وترى سميّى على باب الشحن فتمضى إليه وتجلس بجواره واضعة ذراعها على كتفه) .

الميكانيكى : (يضحك ضحكة مكتومة) ها هو الحب قد جاءك ، أيها الدوق .

بيرل : (تربت بيدها على وجه سميّى) مرحباً ، أيها الفتى الوسيم . (يبعد سميّى يدها بفتور) ماالذى تفعله هنا وحدك ؟

سميّى : (بابتسامة ملوية) أفكر و — (مشيراً إلى الزجاجة التى فى يده) اشرب حتى أوقف التفكير (يضحك نشواناً ، وقد أفرغ ثلاثة أرباع الزجاجة) .

بيرل : لا يجب أن تفرط فى الشراب ، أيها الفتى الوسيم . ألا تعرف ذلك ؟ الصداع الكبير سيملأ رأسك بالطنين .

سميتى : (بجفاء) حقاً ؟

بيرل : هذا صحيح . أعرف ما أقوله . (بوله) لماذا تفر منى ، أيها الفتى الوسيم ؟ إنى أميل إليك . ولا أميل إلى الرفاق الآخرين . إنهم يتصرفون بخشونة مفرطة . أما أنت فلست خشناً ، بل رجل مهذب . أعلم ذلك . أستطيع أن أعرف الرجل المهذب أول ما أراه

سميتى : أشكرك على المديح ، لكنك ترين أنك مخطئة إنى مجرد سكير (يضيف بمرارة) ونتن .

بيرل : (تربت على ذراعه) كلا ، لست كما تقول . أنا أعرف خيراً منك . أنت رجل مهذب (ملحة) لا أريد أن يكون لى شأن مع الرجال الآخرين ، لكن (تبتسم إليه مغرية) الأمر معك أنت يختلف . يدفعها بعيداً عنه باشمئزاز ، فتتجهم) ألا تميل إلى ، أيها الفتى الوسيم ؟

سميتى : (خجلا بعض الشيء) معذرة ، لم أقصد أن أكون فظاً فى الواقع ، كما تعلمين (يبدو أدبه مبالغاً فيه تحت تأثير الشراب) خرجت عن طورى بعض الشىء .

بيرل : (مبتهجة) إذن ، تميل إلى – بعض الشىء ؟

سميتى : (بغير اكتراث) أجل ، أجل ، لم لا أميل إليك ؟

(يضحك فجأة بعنف ويحيط خصرها بذراعه ويضمها إليه) لم لا ؟ (يسحب ذراعه بسرعة وقد انتابته رعشة من الاشمئزاز ، ويجرع جرعة من الشراب . تنظر إليه بيرل بتعجب ، وقد حيرتها تصرفاته الغريبة . يفتح الباب المفضى إلى مقصورة البحارة بركلة من قدم ويخرج يانك . يزداد ضجيج الصيحات والضحكات والغناء شدة . يمضى يانك مترنحاً نحو سميتى وبيرل) .

يانك : (غامزاً إليهما بعينه) ماذا ، وحق الجحيم — أوه ، إنه أنت . سميتى الدوق . كنت سأهوى بقبضتى على فك من سولت له نفسه أن يأخذ منى امرأتى ، لكن مادمت أراك أنت — (بعاطفية) الزمالة هى الزمالة ، وأى زميل لى يمكنه أن يأخذ كل ما هو لى . أترى ؟ (مادأ يداه) لنتصافح ، أيها الدوق . (يأخذ سميتى يده ويهزها مصافحاً) نحن صديقان . ألست على حق ؟

سميتى : أنت على حق فى هذا ، لكنك مخطىء بالنسبة لهذه الفتاة . إنها ليست فى صحبتى . كانت فى طريقها عائدة إلى مقصورة البحارة ، إليك . (تنظر إليه بيرل وقد تجمعت الكراهية فى عينيها) .

يانك : أهذا صحيح ؟
سميتى : أقسم لك .
يانك : (يجذب ذراعها) إذن ، هيا يا بيرل ، فلنتناول قدحاً من الشراب مع الثلة . (يجذبها إلى المدخل حيث تنفض عنها ذراعه بالقدر الذى يسمح لها أن تستدير راجعة إلى سميتى ثائرة) .
بيرل : أيها الخنزير ، فلتذهب إلى الجحيم . (تمضى إلى مقصورة البحارة وتغلق الباب وراءها بعنف) .

الميكانيكى : (يبصق بهدوء) ها أنت ترى الحب . كلهن سواء — البيض والسمر والصفر والسود . ضربة على الأذن هى الطريقة الوحيدة لتأديبهن . (لا يجيب سميتى بشيء . يضحك بخشونة ويتناول جرعة أخرى من الشراب . ثم يجلس محدقاً فيما أمامه ، وقد أطبقت قبضته بشدة على الزجاجة التى كادت تفرغ . يتزايد مقدار الصخب المكتوم الوافد من مقصورة البحارة . ثم بعد برهة يفتح الباب بعنف وتتدفق الطغمة كلها بقيادة دريسكول إلى ظهر السفينة ، وقد أفرطوا جميعاً فى الشراب ، ويحمل الكثير منهم زجاجات فى أيديهم . بيللا هى المرأة الوحيدة التى ما زالت فى وعيها تماماً . وهى تحاول عبثاً أن تحمل الرجال على

التزام الهدوء . تشرب بيرل من زجاجة يانك بين الفينة والفينة ، وتجلجل ضاحكة متكئة إلى يانك الذى يحوط خصرها بذراعه . ويخرج فى أعقاب الثلة بول حاملا « أكورديون » ويمضى مترنحاً ليقف على سطح باب الشحن ، متأبطاً آلته الموسيقية)

دريسكول : اعزف لنا مقطوعة راقصة ، أيها السكندنافى القذر . مقطوعة حقيقية مباركة من ألحان « التيركى تروت » مفعمة بالحيوية .

يانك : مقطوعة من « ساحل البرابرة » العتيق فى فرنسكو .

بول : لا أعرف . سأحاول . (يشرع فى العزف) .

يانك : هيا ، أيها الفتى ، فليصبح عزفك أكثر حماسة . (يعود دافيز وفيوليت وينضمان إلى الجمع . ينظر الميكانيكى إليهم بنظرة متغاضية منفصلة عنهم . يحملق سميثى أمامه ولا يبدو عليه أنه قد تبين أن ثمة آخرين غيره على سطح السفينة) .

بيج فرانك : الرقص ؟ أنا لا أرقص ، إنما أشرب . (يقرن القول بالفعل ويزمجر بضحكة خالية من المعنى) .

دريسكول : إذن ، تنح عن الطريق ، أيها البدين ، وافسح لنا المكان . (يجلس بيج فرانك على باب الشحن ،

يميناً . ويحذو كل الآخرين حذوة أو يتكئون إلى حاجز السفينة الأيسر)

بيللا : (على شفا البكاء لعجزها عن احتجازهم فى مقصورتهم أو حملهم على التزام الهدوء وقد خرجوا إلى سطح السفينة) وحق الاله ، أيها الفتيان ، لا تصيحوا بهذا الصوت الجهورى . أتريدون أن تسببوا لى المتاعب ؟

دريسكول : (جاذباً إياها) ارقصى معى ، يا ملكتى الزنجية
(يسقط أحدهم زجاجته على الأرض فتتحطم)

بيللا : (بعصبية) ها هم قادمون . ها هم قادمون . سيسمع القبطان ذلك . أوه ، يا إلهى .

دريسكول : عليه اللعنة . . ها هى الموسيقى . إلى الأمام .
(يشرع بول فى عزف « أنت أيتها الدمية الجميلة الكبيرة العظيمة » مسقطاًنغمة من نغماتها من وقت إلى آخر . يبدأ الأزواج الأربعة فى الرقص . ويؤدون الرقصة بهزة من الكتف على النحو الذى تؤدى به « التيركى تروت » القديمة فى حانات المدن التى يؤمها البحارة . وقد زاد من طابعها المضحك أن أزواج الراقصين كلهم قد لعبت الخمر بعقولهم ويتخبطون ببعضهم طوال الوقت . ويشرع

اثنان من الرجال فى الرقص سوياً ، ويتعمدان الاصطدام بالآخرين . يأتى يانك وبيرل وعمران أمام سميتى . وفى مرورهما به تصفعه بيرل على صدغه بكل قوتها ، وتضحك ضحكة فاجرة . ينهض واقفاً على قدميه ، وقد أطبق قبضتيه . لكنه يرى من صفعه فيعاود الجلوس ، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة . يضحك يانك ضحكة صاخبة)

يانك : أوه ، بعض الضربات الشديدة . ها هى واحدة تهوى عليك ، أيها الدوق .

دريسكول : (مطوحاً بقبعته إلى بول) زد سرعتك ، أيها الضفدع . (يبذل بول جهداً جنونياً ليسرع فى العزف ، فتعانى الموسيقى من ذلك أشد العناء) .

بيللا : (لاهثة) دعنى . لقد أجهدتنى بدوسك على أصابع قدمى ، أيها الجرم الغبى .
(تجاهد للافلات منه ولكن دريسكول يمسك بها بقوة) .

دريسكول : لعنة الله عليك ، فانت ذات قدم ضخمة ، اذن . هونى عليك ، هونى ، يامسز جو السوداء العجوز . هذا الرقص سيجعلك تتصببين عرقا .

(يدور بها دورات سريعة على ظهر السفينة رغما عنها . يراقص كوكي موزي على مقربة من باب الشحن ، الى اليمين ، فيمد بادي الذي يجلس على الحافة مع بيج فرانك — يمد ساقه فيتعثر بها الراقصان المترنحان ويسقطان ارضا . تتصاعد عاصفة من الضحك . ينهض كوكي واقفا على قدميه ، وقد احتقن وجهه غضبا ، ويثب على بادي الذي يلكمه على الفور لكمة قاضية . يضرب دريسكول بادي ، ويضرب بيج فرانج دريسكول . وفي غمضة عين ينشب شجار شامل ، ويزخر سطح السفينة بجمع من الرجال الذين اطاح السكر بصوابهم ، ويضربون بعضهم بعضا على غير هدى ، وان كان يبدو بصفة عامة ان المعركة قد استحالت الى معركة بين البحارة والوقادين . تصرخ النسوة ويلجأن الى باب الشحن المرتفع حيث يتجمعن عليه وقد استبد بهن الذعر . وفي النهاية تلمع ومضة مطواه اشهرت عاليا في ضوء القمر وتنبعث صرخة الم).

دافيز : (في مكان ما من الحشد) ها هو مساعد القبطان آت : فلنخرج من هنا . (يهرول الجميع الى

مقصورتهم . وفى لحظة لا يبقى على ظهر السفينة سوى رهط النسوة على المرتفع ، وسميتى الذى مازال يدعك صدغه وقد دوخته الصفعة ، والميكانيكى الذى يجلس على مقعده يدخن غليونه فى هدوء ، ويانك ودريسكول اللذان بدت اثار المعركة على وجهيهما بجلاء وتمزق قميصاهما اربا اربا ، وقد انحنيا على جثة يادى المسجاة بينهما على السطح بلا حراك . وينبعث فى السكون الغناء الحزين زاحفا ببطء الى السفينة)

دريسكول : (بسرعة — فى صوت خفيض) من الذى طعنه ؟

يانك : (بغباء) لم ار شيئا . انى لى ان اعرف ؟ انه كوكى . اراهن على ذلك . (يدخل الضابط الأول من اليسار . وهو رجل طويل متين البنيان يرتدى سترة زرقاء خالصة)

الضابط : (بغضب) علام هذه الضجة كلها ؟ (يرى الرجل المسجى على الارض) هالو ، ماهذا (يثنى ركبته راكعا الى جوار يادى)

دريسكول : (متلعثما) كلنا — كنا فى شجار لا ضرر منه ، ياسيدى — و — لا ادرى — (يقلب الضابط يادى

على وجهه فيرى جرحا فى كتفه من جراء طعنة مطواة)

الضابط : لقد طعن بمطواة ، والله (يخرج مصباحا كهربيا من جيبه ويتفحص الجرح) من حسن حظه انه مجرد جرح سطحى . لابد ان رأسه قد ارتطمت بالارض عندما وقع . ذلك ما افقده وعيه . هذا مجرد خدش . احملاه الى مؤخر السفينة، وسأضمد له جرحه .

دريسكول : سمعا،ياسيدى (يحملان بادى من قدميه وكتفيه ويخرجان به من اليسار . يرفع الضابط عينيه فيلمح النسوة على المرتفع لأول مرة)

الضابط : (دهشا) هالو (يمضى اليهن) اذهبن الى غرفة الربان لتصرفن نقودكم وانصرفن.لو كان الأمر بيدى لما سمحت لكن ابدا بـ —
(تصطدم قدمه بزجاجة ، فينحنى ويلتقطها ويشمها) انه روم وحق الاله . اذن هذه هى المشكلة . خيل الى ان انفاسهم تفوح برائحة غريبة (موجها كلامه الى النسوة بخشونة) لا داعى للذهاب الى الربان لصرف نقودكن ، فلن يصرف

لكن شيئا . وذلك حتى تؤدبكن على تهريب الخمور الى السفينة، واثارتكن للشغب .

بيللا : لكن ، ياسيدى —

الضابط : (بخشونة) تعرفن الاتفاق — روم — لا نقود .

بيللا : (بغيظ) شرفا ، والله ، يا سيدى ، لم احضر شيئا من —

الضابط : (بعنف) انت كذابة . ولا اريدك ان تنبس شفتاك بكلمة ، والا قدمت فيك شكوى الى السلطات على الشاطىء غدا وزججت بك الى السجن .

بيللا : (مغلوبة على امرها) من فضلك ، ياسيدى .

الضابط : انصرفن من هنا ، الان . لا اريد كلمة اخرى منكن . اغربن عن السفينة بسرعة . الاخريان فى انتظاركن . هيا، اقفزن ، هيا (يسرن مسرعات — يكدن يجرين — ويخرجن من اليسار . يمضى الضابط فى اعقابهن ، مومئا برأسه الى الميكانيكى ، متجاهلا سميتى شارد اللب)

(يطبق الصمت على السفينة بضع لحظات . تسرى اغنية الزنوج الحزينة على المياه لينة خفيفة : يصغى سميتى اليها بانتباه بعض الوقت ، ثم

يتنهد بحرقة كما لو كان يبكي)

سميق : يالهي . (يجرع النقطة الاخيرة في الزجاجة ويلقي بها وراءه على المرتفع)

الميكانيكي : (يبصق في هدوء) مزيد من الذكريات ؟ لا يجيبه سميق : يدق جرس السفينة اربع دقات . (يفرغ الميكانيكي غليونه) اعتقد انى ساهجع الى فراشي (يفتح الباب المفضي الى غرفته ، لكنه يستدير متطلعا الى سميق — بطيبة) لن تسمعها في جناح البحارة — اقصد الموسيقى. وربما كان ثمة مزيد من الشراب ، ايضا . طابت ليلتك :

(يدخل ويغلق الباب)

سميق : طابت ليلتك ، ايها الميكانيكي. (ينهض واقفا على قدميه ضجرا ويمضي محنى المنكبين مترنحا بعض الشيء الى الباب المفضي الى جناح البحارة ويدخل منه . يخيم الصمت ثانية او بضع ثوان ولا يقطعه الا صوت تلك الموسيقى المتلهدة المفعمة بالكآبة وبروح خفية ، آتية من بعيد كما لو كانت احاسيس القمر تفد الى آذاننا)

(يسدل الستار)

شرقا الى كارديف :

Bound East For Cardiff

الشخصيات

Yank	يانك
Driscoll	دريسكول
Cocky	كوكي
Davis	دافيز
Scotty	سكوتي
Olson	أولسون
Paul	بول
Smitty	سميتي
Ivan	ايفان
The captain	القبطان
The second mate	مساعد القبطان

المنظر :

قمرة البحارة على ناقلة البضائع البخارية الانجليزية «جلينكيرن» فى ليلة ملبدة بالضباب ، فى منتصف الطريق بين نيويورك وكارديف . القمرة عبارة عن غرفة ذات ابعاد غير منتظمة وجانباها يكادان يلتقيان فى نهايتهما لتتخذ القمرة شكل مثلث . وعلى الجوانب شيدت اسرة للنوم كل منها طوله ستة أقدام تقريبا ، وصفت ثلاثة أسرة بعضها فوق بعض ، ويفصل بين كل منها والاخر فراغ قدره ثلاثة اقدام . وفوق الاسرة فى ناحية اليمين ترى ثلاث أو أربع كوات . وأمام الاسرة مقاعد خشبية خشنة . وبأعلى الاسرة الى اليسار مصباح محاط بدعائم . وفى المقدمة اليسرى باب . وعلى الارض بالقرب منه دلو به اناء من الصفيح وتتدلى معاطف مشمعية معلقة على خطاف الى جوار الباب .

الجانب القصى من القمرة جد ضيق حتى انه لا يحتوى الا على مجموعة واحدة من الاسرة فحسب .

وتحت الاسرة يمكنك أن تلمح حقائب وصناديق ملابس وأحذية من النوع الذى يستعمله البحارة وغير ذلك من الاشياء التى تزحم المكان فى غير ما نظام .

وبين دقيقة أو حوالى دقيقة وأخرى يسمع صوت صفارة الباخرة يعلو فى نوبات منتظمة على كافة الاصوات الاخرى .

يجلس خمسة رجال على المقاعد يتجاذبون اطراف الحديث . ويرتدون حللا قذرة مرقعة من قماش خشن ، واقمصة صوفية . والجميع يرتدون جواربهم فحسب . أربعة من الرجال يدخنون غلايينهم . والهواء من حولهم مثقل برائحة طباق زنخة .وعلى السرير العلوى فى المقدمة اليسرى نرويجى « بول » يعزف فى نغمات خفيضة بعض الاغانى الشعبية على اكورديون مستهلك ، ويتوقف بين الفينة والفينة لينصت الى الحديث .

وفى السرير السفلى فى المؤخرة يرقد رجل اسود الشعر جامد القسمات ، يبدو عليه انه ربما كان نائما . واحد ذراعيه ممدودة فى استرخاء على حافة السرير . ووجهه شاحب غاية فى الشحوب ، وتسيل على جبينه فى تراخ قطرات من العرق .

الوقت يقترب من نهاية نوبة الحراسة ؛ حوالى الساعة الثامنة وعشر دقائق مساء .

كوكى : (رجل ضئيل القد منكمش الجسم . يحكى قصة ينصت الآخرون اليها ، وقد بدا على وجوههم انهم يتلهون بالاصغاء اليه غير مصدقين مايقوله ، ويقاطعونه عند نهاية كل جملة بقهقه صاخبة مستهزئة) كانت تغازلنى ، فعلا.انها الحقيقة،والله. كانت بربرية متفجرة الحيوية ، دهنت جسمها بزيت جوز الهند . سحقا لى ، لم أكن استطيع

أن أطيقها . وقلت لها ، أيتها البقرة العجوز القبيحة ، وناولتها صفعة على اذنها ، اطارت صوابها ، و ... (يقاطع بعاصفة من الضحك من قبل الآخرين) .

دافيز : (رجل فى منتصف العمر ، ذو شعر وشارب اسود) انت كذاب يا كوكى .

سكوتى : (شاب اسمر) هو — هو ، انك لم تذهب الى غينيا الجديدة فى حياتك قط ، على ما اعتقد .

دريسكول : (ايرلندى قوى البنية مهشم القسمات ، كالمصارع المحترف) كيف يمكنك ان تشك فى ذلك ، يا اولى . لابد انها كانت احدى ملكات البربر . ومن سواها يمكن ان تتوسم فى نفسها انها اهل لان تقع فى حب رجل وسيم ماجن طائش مثل كوكى ؟ (انفجار فى الضحك من الجميع) .

كوكى : (حانقا) فليصرعنى الله ميتا لو لم يكن ما قلته صحيحا ، كل كلمة قذرة من كلماتى صحيحة . ستكون قد مضت على ذلك عشر سنوات فى عيد الميلاد القادم .

سكوتى : لابد انها كانت تطمع فى عشاء طيب ليلة عيد الميلاد .

دافيز : لابد انك قد تصرفت كطائر شرس عتيق .

دريسكول : من حسن حظ كليكما انكما هربتما ، فإن ملكة آكلة لحوم البشر كانت لابد ستموت من وجع البطن فى اليوم التالى على عيد الميلاد . لايشك حتى الشيطان فى ذلك (يقابل هذا الكلام بقهقهة صاخبة طويلة) .

كوكى : (متجهما) لعنة الله على عقولكم الغليظة (يئن الرجل المريض فى السرير السفلى فى المؤخرة . ويتقلب متوجعا . يخيم الصمت فجأة . ويستدير جميع الرجال نحوه ، ويحدقون فيه) .

دريسكول : (فى همسة خفيضة) من الافضل الا تمضى فى الكلام بهذا الصوت المرتفع ، بينما هو يحاول ان يحصل على قليل من النوم (يمضى على اطراف قدميه فى هدوء الى جوار السرير) يانك ، ربما كنت فى حاجة الى جرعة من الماء ؟ (لا يجيب يانك بشيء ، فينحنى دريسكول وينظر اليه) انه نائم ولا شك . ان انفاسه تتحشرج فى حلقه مثل خرير الماء فى ميزاب . (يقفل راجعا فى هدوء ويجلس الكل وقد خيم عليهم الصمت ، ومضوا يتحاشون ان تلتقى عيونهم بعيون البعض) .

كوكى : (بعد برهة صمت) ياللشيطان المسكين . لقد انتهى امره ، كان الله فى عونه .

دريسكول : كفاك نعيقا . انه لم يمت بعد . وسوف تكون الايام مديدة امامه باذن الله .

سكوتى : (هازا رأسه متشككا) انه فى حالة سيئة ، يارجل سيئة للغاية .

دافيز : من حسن حظه انه ما زال حيا . كثير من الرجال قد انطفأ نورهم على اثر سقطة كتلك .

اولسون : هل رأيته يسقط ؟ .

دافيز : لقد كان الى جوارى تماما . وكنا ، أنا وهو ، نازلين الى رقم اثنين لنقوم ببعض اعمال التنظيف التى كلفنا بها . واذا هو ينقل قدمه فى غير ما انتباه . فيخطىء السلم ويهوى رأسا الى القاع . ولبرهة كنت خائفا ان التى نظرة عليه ، ثم سمعته يئن ، فهرعت نازلا اليه . لقد كان مصابا اصابة سيئة فى داخله ، لان الدماء كانت تقطر من جانب فمه . كان يئن بشدة ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ولم ينطق بكلمة واحدة .

كوكى : وتذكرون انتم أيها الاغبياء عندما حملناه الى هنا ،

أوه ، ياللجحيم ، كان يقول أوه ياللجحيم– هكذا ، ولا شيء غير ذلك .

اولسن : هل يعرف القبطان أنه أصيب ؟

كوكي : ذلك الدعى العجوز الغبي . ما الذى يمكن أن يعرفه عن أى شيء ؟

سكوتى : (فى احتقار) انه يتظاهر بكثير من المعرفة وهو لايفقه شيئا .

دريسكول : (بغضب) انها حياة الشيطان ولاشك أن تكون فى عرض البحر الموحش دون أن يفصل بينك وبين قبر فى أعماق المحيط سوى غبي طويل الساقين أشيب الفودين مثله . ان فى ذلك الكفاية لأن يجعل أى قديس لا يتمالك نفسه فيطلق السباب عندما يراه ممسكا بساعته الذهبية فى يده ، محاولا أن يبدو فى حكمة بومة على شجرة ، بينما هو كل الوقت لا يعرف أبدا ما اذا كان ما أصاب يانك هو الكوليرا أم أتفه الامراض .

سكوتى : (فى لهجة ساخرة) لاشك أنه قد اعطاه شربة ملح . أليس كذلك ؟

دريسكول : عليه اللعنة ، انه لم يعطه شيئا على الاطلاق، بل ان

كل ما فعله هو أن نظر الى الكتاب الذى كان معه ، وهز رأسه ، ومضى خارجا دون أن يقول كلمة ، والمساعد فى أعقابه لايزيد عنه حكمة فى شىء . لعنة الله على كليهما .

كوكى : (بعد برهة صمت) كان يانلك زميلا طيبا ، ذلك البائس المسكين . لقد أقرضنى أربعة شلنات فى نيويورك ، أجزم لكم .

دريسكول : (بحرارة) كان زميلا طيبا ، ولا يوجد من هو أفضل منه قط . انك لم تقل سوى الحقيقة يا كوكى . لقد مضت أكثر من خمس سنوات منذ أن أبحرت معه لاول مرة ولم نفترق قط منذ ذلك الحين ، لا فى السراء ولا فى الضراء . لقد تشاجرنا مرارا ، سامحنا الله ، ولكن لم يكن ليحدث ذلك الا ونحن ثملون، وكنا دائما نتصافح فى صبيحة اليوم التالى . وكل ما كان له كان لى ، وكم من مرة على الشاطىء كان سيعتدى على بالضرب أو بما هو أسوأ منه لولاه . والآن — (يرتعش صوته بينما يكافح للسيطرة على عواطفه) فليأخذنى الشيطان لو لم اكن أهم بالانخراط فى البكاء كامرأة عجوز ، على حين أنه لن يموت قط ، بل لعله سيعيش أعواما طوالا كثيرة .

دافيز : سيفيده النوم . إنه يبدو أفضل الآن .

اولسون : لو كان يأكل شيئا ..

دريسكول : هل يمكنك أن تجعله يأكل وهو فى حالته هذه ؟ من المؤكد أنه من الصعب جدا ، حتى علينا نحن الذين سلمت أمعاؤنا أن نهضم تلك النفايات التى توجد على هذه السفينة الصدئة التى تستنفد قوتنا .

سكوتى : (متقززا) إنها سفينة الجوع .

دافيز : الكثير من العمل ولا طعام ــ وأصحابها يتجولون راكبين العربات .

اولسون : لحم مفروم نتن . لحم مفروم نتن . طعام مسلوق . طعام مسلوق . مربى كريهة . لعنة الله عليها (يبصق مشمئزا) .

كوكى : إنها نفايات مقيتة لاتليق الا بالخنازير ، هذا رأيى .

دريسكول : وغسيل الاطباق الذى يسمونه شايا ، والمعجون الصلب الذى يطلقون عليه خبزا . ان بطنى تحس كاننى قد ابتلعت دستة من المسامير الغليظة بمجرد التفكير فى ذلك ، والكعك الذى يكسر ضرس الاسد اذا كان من سوء طالعه أن يقضم واحدة منه (وبلا وعى منهم يكون الجميع قد ارتفعت

أصواتهم ناسين الرجل المريض فى غمرة الطرب الذى يألفه البحارة عندما يجدون شيئا يعلنون تذمرهم منه) .

بول : (يهز قدميه جالسا على أحد جانبى سريره ، ويتوقف عن العزف على الاكورديون ويقول ببطء) والبطاطس الفاسدة (يعاود العزف من جديد . تند من الرجل المريض أنة متوجعة) .

دريسكول : (يرفع يده عاليا) اغلقوا أفواهكم ، جميعا . انه لشىء فظيع أن نمضى فى شكوانا عن أمعائنا ، بينما ينصت الينا رجل مريض ، ربما كان على وشك الموت (ينهض ويلوح بقبضته نحو النرويجى) سحقا لك ، أيها الحيوان الغبى . الق جانبا بآلتك تلك ، والا حطمت لك وجهك القبيح . هل هذه الجلبة النشاز موسيقى لائقة فى حضرة رجل مريض ؟ (يضع النرويجى آلته على السرير ويستلقى مغلقا عينيه . يذهب دريسكول ويقف الى جوار يانك . يسمع صوت صفارة الباخرة بشكل واضح جدا فى السكون) .

دافيز : لعنة الله على هذا الضباب (يمد يده تحت أحد الاسرة ويجذب حذائين بحريين يعمد الى لبسهما)

:١١١٠٩

ازفت نوبتى فى الحراسة ايضا . لابد ان الساعة حوالى الثامنة يافتيان .

(ينتصب الرجال جميعا جالسين ماعدا اولسون ويرتدون معاطف مشمعية ، وأغطية للرأس للوقاية من المطر ، واحذية طويلة سميكة الخ ... استعدادا منهم للصعود الى السطح لتولى الحراسة . اما أولسون فيزحف فى سرير خفيض الى اليمين) .

سكوتى : انها نوبتى امام عجلة القيادة .

اولسون : (متأففا) لاشىء سوى طقس قذر طوال هذه الرحلة . لا يمكننى ان انام عندما تدوى الصفارة (يدير ظهره للنور وسرعان مايغرق فى النوم ، ويتعالى غطيطه) .

سكوتى : اذا استمر هذا الضباب فاننى اقرر لكم اننا لن نكون فى كارديف قبل اسبوع على الأقل .

دريسكول : فى ليلة مثل هذه الليلة تماما غرقت « دوفر » العتيقة . وتماما فى مثل هذا الوقت ايضا . كنا نجلس جميعا فى برج المراقبة ، ويانك الى جوارى ، عندما سمعنا فجأة صدمة شقت من هولها السفينة ، ثم اخذت تميل بنا حتى تكدسنا فوق بعضنا فى

جانب منها . اما ما حدث بعد ذلك فلا اذكره بالضبط ، اللهم الا اننا توصلنا بشق الأنفس الى انزال قوارب النجاة على جانب السفينة قبل ان يغوص حطامها العتيق فى الاعماق . وكان يانك معى فى قارب واحد ، ومضينا نتخبط سبعة ايام مميتة ، ونكاد لانجد قطرة من الماء ، أو لقمة نمضغها . وكان يانك هذا هو الذى امسك بى عندما أردت ان أقفز الى المحيط ، وانا اصرخ فى جنون من فرط العطش . وقد انتشلنا فى اليوم ذاته ، وكان يانك هو الوحيد منا الذى احتفظ بحواسه ، ومضى يقود القارب .

كوكى : (محتجا) تبا لى . انت مأفون مفرط فى المزاح ، يادريسكول حين تمضى فى الكلام عن السفن الغارقة فى هذا الضباب المقيم . (يئن يانك ، ويتقلب متوجعا فاتحا عينيه . يهرع دريسكول الى جانبه) .

دريسكول : هل تشعر بتحسن يا يانك ؟

يانك : (فى صوت خفيض) كلا .

دريسكول : مؤكد لابد انك تشعر بتحسن . انك تبدو فى قوة ثور (مستشهدا بالاخرين) أأنا اكذب عليه ؟

دافيز : لقد أفادك النوم .

كوكى : ستتناول قدحك من الجعة فى كارديف فى مثل هذا اليوم بعد أسبوع .

سكوتى : وسمكا وبطاطس مقلية ، يا رجل .

يانك : (متبرما) ما الذى يجعلكم تكذبون جميعا ؟ هل تظنون انني خائف من ان (يتردد كما لو كانت الكلمة التى يريد ان ينطق بها قد روعته) .

دريسكول : لا تفكر فى مثل هذه الاشياء (يسمع ناقوس السفينة يدق ببطء ثمانى مرات . ومن برج السفينة القائم فوقهم ينحدر صوت الرقيب فى صيحة طويلة : « كل شيء على مايرام » ينظر الرجال نظرات مترددة الى يانك ، كما لو كانوا غير متأكدين من انه يجدر بهم ان يتركوه) .

يانك : (فى حشرجة خائفة) لا تتركنى يا دريسك ، انى اموت . اقول لك لن ابقى هنا وحيدا أصغى الى غطيط كل هؤلاء النيام . سأخرج الى السطح . (يبذل محاولة خائرة للنهوض ولكنه يسقط على ظهره ، وتند منه أنة حادة ، وتخرج انفاسه فى شهقات متحشرجة) لاتتركنى ، يادريسك (يدب

فى وجهه الشحوب ويسقط رأسه الى الوراء مرتجا)

دريسكول : لا تقلق يايانك ، لن اخطو خطوة خارجا من هنا . ودع ذلك الشيطان رئيس البحارة يطلق اللعنات حتى ينفجر دماغه الاسود . ياكوكى ، كلم رئيس البحارة . خبره ان يانك قد انتابته نوبة سيئة ، وان على ان ابقى معه برهة اخرى .

كوكى : سأفعل (يخرج كوكى ودافيز وسكوتى فى هدوء).

كوكى : (من الممشى) ياللعنة ، ضباب كثيف كالحساء .

دريسكول : هل انت راض الان يا يانك ؟ (واذ لا يتلقى اية اجابة ينحنى على الجسد الذى لا حراك فيه) لقد اغمى عليه . كان الله فى عونه (يتناول اناء من الصفيح من الدلو ، ويبلل جبين يانك بالماء . يرتعد يانك ويفتح عينيه)

يانك : (ببطء) اعتقدت انى ذاهب . ما الذى جعلك توقظنى .

دريسكول : (بمرح مفتعل) أأنت جد مشوق الى الفردوس ؟

يانك : (مكتئبا) مصيرى الجحيم . على ما اعتقد .

دريسكول : (يرسم علامة الصليب رغما عنه) وحق القديسين ،

لا تمض فى الكلام على هذا النحو . انك تجعل بدنى يقشعر . بعد يوم أو يومين ستكون على السطح تنظف الصدأ مع اكثرنا صحة (لا يجيب يانك ، ولكنه يطبق جفنيه منهكا . يدخل البحار الذى كان قائما بالمراقبة ، وهو شاب انجليزى اسمه سميتى ، ويخلع رداءة المشمعى الذى يقطر ماء ، على حين يدخل الرجل الذى انتهت نوبته امام عجلة القيادة . وهو شخص أسمر ضخم ذو وجه مستدير غبى . يخطو الانجليزى بضعة خطوات بلا جلبة الى دريسكول . يزحف الاخر الى سرير أوطأ) .

سميتى : (هامسا) كيف حال يانك ؟

دريسكول : احسن . اسأله بنفسك . انه مستيقظ .

يانك : انا بخير ، يا سميتى .

سميتى : أنا سعيد أن أسمع ذلك، يايانك (يزحف الى سرير علوى ، وسرعان مايروح فى النوم) .

ايفان : (يدير البحار ذو الوجه الغبى الذى دخل فى اعقاب سميتى رأسه فى اتجاه الرجل المريض) هل تشعر انك على ما يرام ، يا يانك ؟

يانك : (بضعف) اجل ، يا ايفان .

ايفان : هذا حسن . (يتقلب على جنبه ويغيب فى النوم توا)

يانك : ان الالم كالجحيم – هنا (يشير الى الجزء السفلى من صدره عند الجانب الايسر) اظن ان قلبى العتيق قد انفجر . أو و وه ...

(تتقلص قسمات وجهه الشاحب من فرط الالم . يضغط يده على جنبه ويتلوى على حشبة سريره الرقيقة . وقد نفرت حبات العرق على جبينه .)

دريسكول : (مرتعبا) يانك ، يانك ، ماذا دهاك ؟ (يقفز واقفا على قدميه) ساذهب جريا الى القبطان . (يشرع فى المضى الى الباب) .

يانك : (ينتصب جالسا فى سريره وقد استبد به الفزع) لاتتركنى يادريسك . بالله لا تتركنى وحيدا (يميل جانبا ويبصق . يعود دريسكول اليه) دماء .. أوجه ..

دريسكول : دماء مرة اخرى . من الافضل ان استدعى القبطان .

يانك : كلا ، كلا ، لا تتركنى . لو فعلت سانهض واتبعاك . لست جبانا ولكننى اخاف البقاء هنا ، مع كل هؤلاء الذين يغطون فى النوم .

(واذ لايدرى دريسكول ماذا يفعل يجلس على المقعد الى جواره . يضحى يانك اكثر هدوءا ويغوص راقدا على الحشية) ليس فى استطاعة القبطان ان يفعل لى شيئا . انت نفسك تعرف ذلك . ان الالم ليس سيئا للغاية الآن، ولكننى اعتقدت انه قد قضى على حينذاك . لقد كان كمنشار مدو يقطع اعماقى .

دريسكول : (بشراسة) لعنة الله عليه .

(يدخل قبطان الباخرة ومساعدة . القبطان رجل عجوز ذو شارب ، وشعر ممتد على فوديه وقد وخطه الشيب . والمساعد حليق الوجه فى منتصف العمر . كلاهما يرتدى بزة زرقاء بسيطة)

القبطان : (مخرجاً ساعته وجاساً نبض يانك) كيف حال الرجل المريض ؟

يانك : (بضعف) على ما يرام، يا سيدى .

القبطان : والوجع الذى فى الصدر ؟

يانك : لازال يؤلمنى يا سيدى . أسوأ من أى وقت مضى .

القبطان : (يخرج ميزاناً للحرارة من جيبه ويضعه فى فم يانك)

هاك ميزان الحرارة . لا تتحرك وابقه في فمك تحت لسانك لا فوقه .

المساعد : (بعد برهة صمت) أليست هذه نوبتك في الحراسة على ظهر السفينة ، يا دريسكول ؟

دريسكول : أجل ، ياسيدى ، ولكن يانك كان يخاف البقاء وحيداً ، و —

القبطان : وهو كذلك يا دريسكول .

دريسكول : شكراً لك ، يا سيدى .

القطبان : (يتطلع إلى ساعته دقيقة أو ما قاربها ، ثم يخرج ميزان الحرارة من فم يانك ، ويذهب إلى المصباح لقراءته . ثم تبدو على وجهه إمارات الضيق . يدعو المساعد ودريسكول إلى الركن بجوار الباب ، بينما يختلس يانك النظرات إليهم . يتحدث القبطان في صوت خفيض إلى مساعده) كلاهما في ارتفاع ، حرارته ونبضه (موجهاً حديثـــه إلى دريسكول) هل كان يبصق دماً مرة أخرى ؟

دريسكول : ليس كثيراً طوال الساعة المنقضية ، ياسيدى، ولكن قبل ذلك كان يبصق .

القبان : كمية كبيرة ؟

دريسكول : أجل ، يا سيدى .

القبطان : لعله تناول طعاماً ما ؟

دريسكول : كلا يا سيدى .

القبطان : هل شرب ذلك الدواء الذى أرسلته إليه ؟

دريسكول : أجل ،يا سيدى ، ولكنه لم يبق فى معدته طويلا .

القبطان : (هازا رأسه) أنا خائف ا . إنه على غاية من الوهن . ولا يمكننى أن أفعل شيئاً آخر له . إن الأمر أعوص مما أقدر عليه . لو كان هذا قد تأخر حدوثه أسبوعاً فحسب ، لوصلنا إلى كارديف فى الوقت المناسب لأن

دريسكول : من فضلك ساعده بطريقة ما ، يا سيدى !

القبطان : (وقد عيل صبره) لكننى ، يارجلى الطيب ، لست طبيباً (بلهجة أكثر حلماً إزاء ما يراه من حزن دريسكول) انت وهو كنتما زميلين على ظهر السفن منذ وقت طويل ؟

دريسكول : خمس سنوات أو أكثر يا سيدى .

القبطان : أرى ذلك . حسناً ، لا تدعه يتحرك . اجعله يلزم الهدوء ، ولنأمل خيراً . سأعاود قراءة كتاب العقاقير وأرسل إليه دواء ما ، شيئاً ما يخفف الألم بأى حال . (يمضى إلى يانك) تجلد ، يايانك. ستتحسن باكر . (يتخاذل مرتبكاً إزاء نظرات يانك الثابتة) سنساعدك

على أن تستعيد كامل صحتك على خير وجه ــ و ــ حسناً ، هل أنت آت ، يا روبنسون ؟ لعنة الله !

(يخرج مهرولا ويتبعه المساعد)

دريسكول : (محاولا أن يخفى قلقه) ألم أخبرك أنك لست مريضاً ولا حتى نصف المرض الذى خيل إليك ؟ لن ينصرم الأسبوع إلا ويسمح لك القبطان بأن تصعد إلى ظهر السفينة لتمضى فى الشتائم واللعنات كفارس خيال .

يانك : لا تكذب ، يادريسك . لقد سمعت ما قاله ، وحتى لو لم أكن قد سمعته يمكننى أن أخبرك من واقع ما أحس به . أنا أعرف ماذا سيحدث ــ (يتردد وهلة ــ ثم بثبات) سأموت . ذلك هو الأمر ، وكلما كان أسرع كلما كان أفضل !

دريسكول : (بعنف) كلا ، عليك اللعنة ، لن تموت. لن أدعك.

يانك : لا فائدة ، يا دريسك ، ولكننى لست خائفاً . أعطنى جرعة من الماء ، هلا سمحت ، يا دريسك ؟ إن حلقى ملتهب (يحضر دريسكول الإناء مليئاً بالماء ويسند رأس يانك الذى يشرب فى جرعات كبيرة) .

دريسكول : (باحثاً عبثاً عن كلمة ما ليطمأنه) هل تشعر بأنك أكثر ارتياحاً الآن ؟

يانك : أجل ـ الآن ـ عندما أعرف أن كل شيء قد انتهى . (برهة صمت) لا يجب أن تأخذ الأمر بهذا العناء ، يا دريسك . لقد كنت أفكر توا فى أن الموت ليس على ذلك القدر من السوء الذى يتصوره الناس . إننى لم أومن مطلقاً بما يتشدق به رجال الدين ربابنة السماء من مواعظ . لم أكن ذا عقيدة فى وقت من الأوقات ، ولكننى أعرف أنه مهما سيجيء بعد هذه الحياة ، فلا يمكن أن يكون أسوأ منها . إننى لا أود أن أفارقك ، يا دريسك ، ولكن ـ ذلك هو كل شيء .

دريسكول : (متوجعاً) يا فتى ، يا فتى ، لا تنبس بمثل هذا الكلام .

يانك : حياة البحار هذه ليست شيئاً يبكى على مفارقته كثيراً ـ مجرد سفينة وراء أخرى ، عمل شاق ، أجر ضئيل ، وطعام حقير . وعندما تنزل فى ميناء فلا شيء سوى مجرد سكرة تنتهى بمشاجرة وتضييع كل نقودك . ثم بعد ذلك إبحار من جديد . ما من مرة تقابل فيها أناساً دمثى الأخلاق ، ما من مرة تخرج فى أى ميناء عن المنطقة المصرح للبحارة بارتيادها . تطوف العالم كله دون أن ترى منه شيئاً

قط ، ودون أن يكون ثمة من يكترث لك أكنت حياً أم ميتاً (بابتسامة مريرة) ليس فى كل ذلك ما يجعلك تأسف على فقدك إياه ، يا دريسك .

دريسكول : (مكتئباً) إنها الجحيم حياة البحر :

يانك : (سارح الفكر) لابد أنه لرائع أن تبقى على البر كل حياتك ، وأن يكون لك بيت ومزرعة بها أبقار وخنازير ودجاج ، بعيداً فى وسط اليابسة حيث لا تشم رائحة البحر أو ترى سفينة أبداً . إنه لرائع حقا أن يكون لك زوجة وأولاد تلعب معهم بالليل عقب العشاء عندما تكون قد فرغت من عملك . إنه لرائع حقاً أن يكون لك بيت ، يا دريسك .

دريسكول : (متنهداً بشدة) لابد ، مامن شك فى ذلك . ولكن ما فائدة التفكير فيه ؟ مثل هذه الأشياء ليست لمن كانوا على شاكلتنا .

يانك : إن ركوب البحر لا بأس به عندما تكون شاباً خلى البال ، ولكننا لم نعد شباناً . وإلى حد ما ، لا أدرى ، هذا العام الأخير بدا عطنا ، وتملكتنى رغبة فى أن أعتزل — معك بالطبع ، وأن نوفر نقودنا ، ونذهب إلى كندا أو إلى الأرجنتين أو أى مكان ، وأن نقتنى مزرعة ، مجرد مزرعة صغيرة تكفى فحسب لأن

نحيا فيها . إننى لم أخبرك قط بهذا لأننى أعتقدت أنك قد تسخر منى .

دريسكول : (باهتمام) أسخر منك ؟ بينما أنا نفسى كنت أفكر الأفكار ذاتها المرة تلو المرة . إنها فكرة رائعة وسننفذها بلا أدنى شك لو أنك تخليت عن ظنونك المخبولة عن ـــ عن كونك مريضاً إلى ذلك الحد .

يانك : (بحزن) الوقت جد متأخر . ما كان يجب أن نقوم بهذه الرحلة ، وعندئذ ـــ كيف أمكن لكل هذا الضباب أن يدخل إلى هنا ؟

دريسكول : الضباب ؟

يانك : كل شىء يبدو معتماً . إن عينى قد دب فيهما الوهن على ما أظن . عما كنا نتكلم منذ دقيقة مضت ؟ أوه ، أجل مزرعة . الوقت جد متأخر . (يشرد عقله) الأرجنتين ، قلت ؟ هل تذكر الأوقات التى أمضيناها فى بيونس ايرس؟ ودور السينما التى ارتدناها فى باراكاس ؟ كان بعضها فى مستوى طيب ، هل تذكر ؟

دريسكول : (برضاء) أذكر ذلك ، وكذلك يذكر عازف البيان . إنه لن ينسى اللكمة التى سددتها له فى عينه ، ونحن نهرع هاربين .

يانك : تذكر المرة التى كنا فيها على الشاطىء . وكان علينا أن نذهب إلى منزل تومى مور استعداداً للإبحار ؟ وباعنا تومى معاطف تالفة وأحذية مليئة بالثقوب ورحلنا على ظهر سفينة شراعية أقلعت بنا فى رحلة حول رأس هورن وتقاضى منا لقاء ذلك مرتب شهرين . والأيام التى كنا نجلس فيها على مقاعد المتنزه على طوال باسيو كولون والخفراء يسلطون علينا أنظارهم الحادة ؟ والأغانى فى حانة « أوبرا البحارة » حيث كان الفتى يعزف ألحاناً ساخنة — أتذكرها ؟

دريسكول : أذكرها بلا شك .

يانك : ولابلاتا — أوف ، رائحة المدابغ الكريهة . لقد كنت أحب الأرجنتين — كلها ما عدا تلك الحانة التى تقدم فيها الخمور الحامية . كم ألفنا أن نسكر فيها ، أتذكر ؟

دريسكول : وهل يمكننى أن أنساها ؟ إن رأسى تؤلمنى لمجرد ذكر حانة الشيطان تلك .

يانك : أتذكر الليلة التى جن فيها جنونى من الحر فى سينغافورة ؟ والمرة التى قبض رجال البوليس فيها عليك فى بورسعيد ، والمرة التى زج بكلينا فيها إلى السجن فى سيدنى بسبب الشجار ؟

دريسكول : أذكر جيداً .

يانك : وتلك المشاجرة فى المرفأ فى رأس الرجاء الصالح — (ينم صوته عن اضطراب داخلى كبير) .

دريسكول : (على عجل) لا تفكر فى ذلك الآن ، لقد مضى وراح .

يانك : هل تعتقد أنه سيحملها لى .

دريسكول : (وقد التبس عليه الأمر) من ؟

يانك : الله . إنهم يقولون أنه يرى كل شىء . لابد أنه يعلم أن ما حدث قد حدث فى معركة لاغش فيها ، فى حالة دفاع عن النفس ، ألا تعتقد ذلك ؟

دريسكول : بالطبع ، لقد طعنته وكان يستحق هذه الطعنة ، ذلك الخنزير الخبيث بعد أن حاول هو أن يطعنك فى ظهرك غدراً . فليكن ضميرك مرتاحاً . كان بودى ألا يكون لاصقاً بروحى ما هو أشد سواداً من ذلك ، إذن ما كنت أخاف الملاك جبريل ذاته .

يانك : (مرتعداً) نقد كنت أراه منذ دقيقة وقد انبثقت الدماء من رقبته . أجه .

دريسكول : إنها الحمى التى تجعلك ترى مثل هذه الأشياء ، لا تلق بالا إليها .

يانك : (غير متأكد) أنت لا تعتقد أنه سيحملها لى — الله ، أقصد .

دريسكول : كلا ، إذا كانت هناك عدالة فى السماء (يبدو يانك مرتاحاً إزاء هذا التأكيد) .

يانك : (بعد برهة صمت) إننا لن نصل إلى كارديف قبل أسبوع على الأقل . سأدفن فى البحر .

دريسكول : (واضعاً يده على أذنيه) صه . لن أصغى إليك .

يانك : (كما لو كان لم يستمع إليه) إنه مكان طيب مثل أى مكان آخر على ما أعتقد — غير أنى كنت أود دائماً أن أدفن على أرض يابسة . ولكن ما الذى سيعنينى أنا — إذ ذاك ؟ (متبرماً) لو لم تكن الليلة على هذه الرداءة وتلك الصفارة تدوى والناس يغطون من حولى ؟ كان بودى أن تكون النجوم طالعة والقمر أيضاً حتى أرقد على سطح السفينة وأتطلع إليها . كان ذلك من شأنه أن يخفف من وقع الرحيل إلى حد ما .

دريسكول : بربك لا تتكلم على هذا النحو .

يانك : أى أجر سيدفعونه لى يمكنك أن تقتسمه مع بقية الفتيان . وخذ أنت ساعتى إنها لا تساوى الكثير ولكنها كل ما أملك .

دريسكول : ولكن أليس لك أقارب على الإطلاق ؟

يانك : كلا ، على ما أعلم . شي واحد نسيته . أنت تعرف الساقية فى حانة « اللقلق الأحمر » ، فى كارديف ؟

دريسكول : بكل تأكيد ومن ذا الذى لا يعرفها ؟

يانك : لقد كانت طيبة معى . حاولت أن تقرضنى نصف كراون عندما نفدت كل نقودى فى الرحلة الماضية . أشتر لها أكبر صندوق حلوى يمكنك العثور عليه فى كارديف (منهاراً بصوت مخنوق) من الصعب أن أبحر فى هذه الرحلة التى أنا ذاهب إليها ، وحيداً . (يمد دريسكول يده ويمسك بها يد يانك . تخيم برهة صمت ، يجاهد كل منهما خلالها أن يتمالك نفسه) أن حلقى مثل أتون (يلهث فى طلب الهواء) أعطنى جرعة من الماء ، هلا سمحت يا دريسك . (يجلب له دريسك إناء من الماء) وددت لو كان ذلك قدحاً من الجعة . أووه (يشرق بالماء ، ويتشنج وجهه محتضراً بينما امتدت يداه تشق مقدمة قميصه . يسقط الإناء من بين أصابعه الهامدة) .

دريسكول : بربك ماذا دهاك ، يا يانك ؟

يانك : (متحدثاً بصعوبة هائلة) الوداع ، يادريسك . (يحملق

أمامه بعينين جاحظتين) من هذه ؟

دريسكول : من ؟ ماذا ؟

يانك : (خائراً) سيدة وسيمة ترتدى السواد (يختلج وجهه ، ويتلوى جسده فى نوبة نشيج أخيرة . ثم يتمدد متصلباً)

دريسكول : (وقد شحب وجهه رعبا) يانك . يانك . قل لى كلمة ، وحق السماء (ينكمش مبتعداً عن السرير ، راسماً علامة الصليب . ثم يعاود الاقتراب ويضع يده المرتعشة على صدر يانك وينحنى عن كثب على الجثة .)

كوكى : (من الطرقة) أوه يا دريسكول . هل يمكننك أن تترك يانك لمدة نصف دقيقة وتأتى لمساعدتى ؟

دريسكول : (غارقاً فى البكاء) يانك (يغوص راكعاً على ركبتيه إلى جوار السرير وقد أسند رأسه على راحته . تتمتم شفتاه بصلابة لا يذكرها جيداً) .

كوكى : (يدخل والماء يقطر من معطفه المشمعى وغطاء رأسه) لقد انقشع الضباب (يلمح كوكى دريسكول فيقف متطلعاً إليه فاغراً فاه . يرسم دريسكول علامة الصليب من جديد) .

كوكى : (ساخراً) يتلو صلاته (يقع بصره على الجسد الساكن
في الفراش ، ويعلو وجهه تعبير من الفهم الذى
تخالطه الرهبة . يخلع غطاء رأسه ويقف حاكاً رأسه) .

كوكى : (فى همسة خفيضة) تبا لى ، يا إلهى .

يسدل الستار



رحلة العودة الطويلة

The Long Voyage Home

الشخصيات

جو البدين	صاحب حانة منحطة	Fat Joe
نيك	قواد	Nick
ماج	ساقية	Mag
أولسون	بحارة باخرة الشحن التجارية جلينكيرن	Olson
دريسكول		Driscoll
كوكي		Cocky
ايفان		Ivan
كات		Kate
فريدا		Freda
صعلوكان		Two Roughs

المنظر : حانة وضيعة على ساحل لندن المكان قذر كئيب مضاء بمصابيح غاز خافتة الضوء . ، مثبتة بدعائم فى الحائط . إلى اليسار البار وأمامه باب يؤدى إلى غرفة جانبية .

تمسح البار ساقية رثة الثياب ذات وجه غبى مبلل بالشراب ، تروح ذراعها وتجىء إلى الأمام وإلى الخلف بطريقة آلية ، وتكاد تكون عيناها مغلقتين .

وفى أقصى البار جو البدين مالك الحانة . وهو رجل سمين ضخم ذو بطن هائلة . وجهه أحمر منتفخ ، وعيناه الصغيرتان اللتان تشبهان عينى خنزير تكاد تحجبهما طيات من الشحم ، وأصابع يديه الكبيرتين غليظة محملة بخواتم رخيصة . كما تمتد عبر صديريه الضيق سلسلة ساعة

ذهبية أشبه فى ضخامتها بأسلاك
البرق .

يجلس إلى إحدى الموائد فى المقدمة
شاب مقوس المنكبين يدخن سيجارة.
وجهه لين وفمه واهن ، وعيناه مراوغتان
قاسيتان . يرتدى حلة رثة كانت ولا شك
فيما مضى ذات اون زاه رخيص . ويتدثر
بشال ، ويلبس قلنسوة .

الوقت حوالى التاسعة مساء .

جـــو : (متثائباً) ياللعنة . إن العمل يسير ببطء الليلة . لا أعرف ماذا حدث . إن المكان كالقبر المقفر . أين البحارة جميعاً ؟ أود أن أعرف . (رافعاً صوته) هو ، أنت يانيلك (يستدير إليه فاتر الهمة) ما اسم تلك السفينة التى رست هنا ، بالمرفأ ، بعد الظهيرة .

نيلك : (باقتضاب) جلينكيرن . من بيونيس أيريس .

جـــو : ألم يقبض البحارة أجورهم بعد ؟

نيلك : أخبرونى أنهم سيقبضونها بعد ظهر اليوم ، فقد تسللت إلى ظهرها وقابلتهم ، ووزعت عليهم بعض بطاقاتك ، فعلا . ووعدونى وعداً قاطعاً أن يحضروا

إلى هنا — بمجرد أن تنتهى ساعات العمل .

جـــو : أليس من بينهم من يحمل أجره كاملا عن عامين ؟

نيلك : أربعة — ثلاثة انجليز وواحد اسكندنافى .

جـــو : (باستنكار) ونزلت وتركتهم ، وأنا انقدك أجرك كى تعاونى وتجلبهم إلى هنا .

نيلك : (متذمراً) وياله من أجر . إنى انقب لك فى أرجاء المدينة المقفرة عن كل رجل جديد . فاهم ؟

جـــو : إنى لا أتكلم لمصلحتى فحسب . ألم أعطك نصيبك بالعدل القسطاس دائماً ، كرجل يعامل رجلا ؟

نيلك : (متهكماً) أجل ، لأنك مضطر إلى ذلك .

جـــو : مضطر إلى ذلك ؟ اصغ إلى ، هناك كثيرون يسرهم أن يحصلوا على وظيفتك .

نيلك : حقاً ؟ وماذا عن تعرضى لأن يزج بى رجال الشرطة فى السجن المقيت جزاء ما نرتكب من إغواء ؟

جـــو : (غاضباً) إننا لا نرتكب أى إغواء .

نيلك : (متهكماً) هــو ، حقاً .

جـــو : (محرجاً بعض الشىء) حسناً ، قليل منه فحسب من وقت لآخر عندما لا تسير المهنة على ما يرام (يستدير إلى الساقية غاضباً لكى يخفى ارتباكه) هيا يا فتاتى .

كفانا ذلك ، لقد أمضيت ساعة بأكملها تمسحين هذا البار اللعين . أخرجي من هنا . إنك تثيرين الاشمئزاز في نفس أي رجل يراك :

ماج : (تبدأ في النشيج) أوه ، إنك تخيفني عندما تصيح في ياجو . إنني لست فتاة سيئة . ويعلم الله أنني أبذل قصارى جهدي من أجلك (تنفجر في عاصفة من البكاء) .

جـــو : (بخشونة) كفاك عويلا . واخرجي من هنا .

نيك : (يضحك ضحكاً مكتوماً) إنها مخمورة يا جو : لقد كنت تركزين إهتمامك على الجين ، إيه يا ماج ؟

ماج : (تتوقف عن البكاء توا . وتستدير إليه في ثورة من الغضب) أنت أيها العقرب الحقير . يجدر بهم أن يكمموك أيها القذر . تفتح فمك الكريه في حق إمرأة شريفة لم تمسك قط بسوء (تبدأ في البكاء من جديد) أنت تمتهنني ككلب لأنني مريضة ولاحول لي.

جـــو : هيا أخرجي يا فتاتي . اصعدي إلى الطابق العلوي ونامي . سأوقظك إذا ما احتجت إليك . وايقظي الفتاتين عندما تصعدين . إن الساعة التاسعة والنصف ، وقد أزف الوقت الذي قد يحضر فيه أحد . أخبريهن بذلك ، هل تسمعين ؟

ماج : (متعثرة حول البار فى طريقها إلى الباب الأيسر باكية) أجل ، أجل ، أسمع . يعلم الله ماذا سيحدث لى وأنا مريضة إلى هذا الحد . إنه لا يعنيك كثيراً او مت . أليس كذلك . (تخرج) .

جـو : (ما زال يركز اهتمامه على تقصير نيك فى مهمته ، بعد برهة صمت) أربعة رجال قبضوا أجورهم عن سنتين ، وجيوبهم اللعينة عامرة بالجنيهات الذهبية ، وتضيعهم أنت (يهز رأسه متحسراً) .

نياك : (وقد عيل صبره) كفى . أقول لك أنهم وعدوا وعداً جازماً بأنهم سيحضرون . فى ظرف نصف دقيقة سيدخلون إلى هنا . لا زال الوقت متسعاً . (فى صوت خفيض) هل أحضرت المخدر ، قد نحتاج إلى إلى استخدامه .

جـو : (متناولا قارورة صغيرة من خلف البار) أجل ، ها هو ذا .

نيك : (برضاء) عظيم (تجول عيناه الماكرتان فى أرجاء الغرفة منقباً ، ثم يومىء إلى جو الذى يجىء إلى المنضدة ويجلس إليها) إن السبب الذى يجعلنى أسألك عن المخدر هو أننى رأيت قبطان « الاميندرا » بعد ظهر اليوم ؟

جـو : الاميندرا ؟ ما نوع هذه السفينة ؟

نيك : سفينة تجارية بغيضة — ذات أشرعة جاهزة للإبحار مطلية باللون الأبيض . راسية هناك فى المرفأ ، منذ شهر . أنت تعرفها .

جـو : هو . أجل عرفتها الآن .

نيك : يقول القبطان أنه فى مسيس الحاجة إلى رجل الليلة . إنهم سيبحرون عند الفجر ، باكر .

جـو : هناك عدد وفير من البحارة ينتظرون العمل على السفن على ما أعتقد .

نيك : ليس على هذه السفينة ، أيها الجدى العجوز . إن القبطان ومساعده مشهوران بقسوتهما وحطتهما . وجهتهما الكاب هورن . ولقد أهلكا الطاقم جوعاً فى الرحلة الماضية ، وما من إنسان يجرؤ على الإبحار على السفينة (بعد برهة صمت) لقد وعدت القبطان بأنى سأدبر له بحاراً الليلة .

جـو : (متشككاً) وكيف ستجلبه ؟

نيك : (بغمزة عين) فكرت أن واحداً من بحارة الجلينكرن الذين قبضوا أجورهم وسيحضرون إلى هنا يمكن أن يفى بالغرض .

جـو : (جازاً على أسنانه) سيكون الصيد دسماً . تلك هى

الحقيقة (مقطباً) إذا حضروا إلى هنا .

نيك : سيحضرون ، وسيفرطون فى الشراب . انتظر وسترى.
(تفد من الشارع جلبة وغناء صاخب عال) يبدو كما لو كانوا هم (يفتح باب الشارع ويطل منـــه خارجاً) لعنة الله على إذا لم يكونوا هم الأربعة : (يلتفت إلى جو فى انتصار) والآن ماذا تقول ؟ إنهم يبحثون عن المحل وسأذهب إليهم وأرشدهم . (يخرج ويتخذ جو مركزه وراء البار وقد انتحل أكثر ابتساماته رياء . يفتح الباب بعد برهة ويدخل منه دريسكول وكوكى وإيفان وأولسون . دريسكول إيرلندى طويل القامة قوى البنية . وكوكى رجل أشبه بثور أعجف ، ذو شارب رمادى أشعث . أما إيفان فهو فلاح أحمق ضخم الجثة وأولسون سويدى قصير ممتلىء ، فى منتصف العمر ذو عينين صبيانيتين مستديرتين زرقاوين . الثلاثة الأول قد أفرطوا فى الشراب ، وعلى الأخص إيفان الذى لايكاد يقف على قدميه إلا بصعوبة . إما أولسون فهو متمالك لوعيه تماماً . يرتدى الجميع ملابسهم المدنية التى لاتناسبهم ويبدون غير مرتاحين فيها . وقد فك دريسكول ياقته الضيقة ونفرت أطرافها من كل ناحية . كما أنه فقد

رباط عنقه . ينسل نيك إلى الحجرة فى أعقابهم ويجلس إلى منضدة فى المؤخرة . أما البحارة فيجلسون إلى منضدة فى المقدمة .

جـــو : (بحرارة مصطنعة) مرحباً بكم أيها الرفاق . إنى سعيد أن أراكم ، وقد عدتم إلى البر أصحاء سالمين .

دريسكول : (يستدير مترنحاً بعض الشىء ويرمقه عبر البار) إذن ، هو أنت ، أليس كذلك ؟ (يجيل بصره فى أرجاء المكان وقد بدا أنه قد تعرف عليه) وهذا هو المكان . جحر الفيران اللعين ذاته . بكل تأكيد ، أذكر أننى منذ خمس أو ست سنوات مضت جردت هنا من آخر شلن كان معى ، وأنا غارق فى النوم (بغضب مفاجىء) لعنة الله عليك. الويل لك إذا عدت هذه المرة إلى الاعيب الكلاب التى ألفتها . (يلوح بقبضته فى وجه جو) .

جـــو : (يقاطعه بسرعة) لابد أنك مخطىء . هذا محل شريف .

كوكى : (متهكماً) أوه ، أجل . وانت أحد الملائكة ، على ما أعتقد .

إيفان : (يخلع قبعته تائهاً . ثم يعود إلى ارتدائها شاكياً) إنى لا أحب هذا المكان .

دريسكول : (ذاهباً إلى البار . مرحاً بقدر ما كان غاضباً منذ لحظة خلت) حسناً ، لا أهمية للأمر . لقد مضى وولى ، وأصبح فى طى النسيان . لست الرجل الذى يضمر مشاعر البغض فى قلبه ، فى أول ليلة ينزل فيها إلى الشاطىء ، وهو سكران كاورد (يمد يده إلى جو الذى يتناولها بحماس شديد) سنتناول جميعاً كأساً من الشراب ، على ما أظن . ويسكى لثلاثتنا ، ويسكى إيرلندى .

كوكى : (متهكماً) وزجاجة من الجعة الخفيفة لطفلنا الحبيب هذا ، عليه اللعنة (يشير بإبهامه إلى أولسون) .

أولسون : (بابتسامة مؤدبة) لقد كنت ولداً طيباً هذه الليلة ، لأول مرة .

دريسكول : (صائحاً ومشيراً إلى نيك ، بينما يحضر جو أقداح الشراب إلى المائدة) وانظر ماذا يريد ذلك الفاجر ابن الفاجر أن يشرب : وخذ أنت ما تتوق إليه نفسك . (ينتزع جنيهاً ذهبياً من جيبه ويقذف به إلى البار) .

نيك : اعطنى قدحاً من الجعة يا جو . (يسحب جو قدح الجعة ، ويأخذه إلى الطرف القصى من البار .

يأتى نيك ليتناوله فيغمز له جو غمزة ذات مغزى ، ويومىء إلى الباب الأيسر فيرد عليه نيك بإشارة تفيد أنه فاهم) .

كوكى : (ممسكاً بقدحه فى يده ، بفروغ صبر) كم أنا عطشان (يرفع القدح إلى دريسكول) فى صحتك يا عزيزى العجوز . فى صحتك .

دريسكول : (يدس باقى النقود فى جيبه دون نظر إليها) ها كم ، هذا النخب ، فليحرق الله مساعد القبطان فى سعير جهنم (يشرب) .

كوكى : صدقت ، أو ليفقأ الله عينيه . (يجرع قدحه حتى الثمالة) .

إيفان : (نصف نائم) هذا أحسن (يفرغ قدحه فى جوفه دفعة واحدة ، أما أولسون فيرشف جرعته على مهل . بينما يتناول نيك جرعة من قدحه ، ثم يدور حول البار ويخرج من الباب الأيسر) .

كوكى : (يبرز جنيهاً) أنت أيها البدين ، اعطنا دوراً آخر من الشراب .

جـــو : من نفس الصنف أيها الرفاق ؟

كوكى : أجل .

دريسكول : كلا ، يا قصير الذيل ، سآخذ قدحاً من الجعة ، فحلقي جاف مثل قمينة الجير .

ايفان : (يهب فجأة واقفاً على قدميه بطريقة خشنة ، ويكاد يقلب المنضدة) أنا لا أحب هذا المكان . أريد أن أرى فتيات ... فتيات كثيرات (بطريقة عاطفية) أنا لا أحب هذا المكان . أريد أن أرقص مع فتاة .

دريسكول : (يدفعه إلى الجلوس على مقعده ، فيهوى فيه محدثاً ضجة) اسكت ، أيها القرد . ستكون أروع روميو ، وأنت على هذه الحالة (يدمدم إيفان ببعض كلمات الاحتجاج غير المتماسكة ، ثم يروح فجأة فى النوم)

جـــو : (يحضر المشروبات . ثم ينظر إلى أولسون) وأنت أيها الرفيق .

أولسون : (هازاً رأسه) لا شيء هذه المرة . شكراً .

كوكى : (متهكما) انه يوفر نقوده ، فهو عائد الى بيته وأمه . وسيشترى مزرعة زاهرة ويحرث التربة القذرة . هذا ما سيفعله (يبصق متأففا) هاك بحار يستحيل الى عصفور مضحك ، ياللعنة .

أولسون : (تكسو شفتيه ذات الابتسامة المؤدبة) هذا

ما أحبه ، ياكوكى . لقد عشت زمنا طويلا فى المزارع عندما كنت صبيا .

دريسكول : دعه وشأنه ، أنت أيتها الحشرة اللعينة . من الجميل أن نرى رجلا لديه بعض الصواب فى رأسه ، بدلا من أغبياء بغيضين على شاكلتنا . كنت أود أن تكون لى أم على قيد الحياة ، فربما ما أغرقت نفسى فى الشراب فى جحر الشيطان هذا .

كوكى : (يشرع فى البكاء بحرقة) أوه ، اسكت يادريسك . لا أحتمل أن أسمعك . لم تكن لى أم قط .

دريسكول : اصمت ، أيها القرد ، ولا تصرخ هذا الصراخ . لو أمكنك أن ترى وجهك القبيح بأنفه الاحمر الضخم ، وقد تقلص كالانشوطة ، فانك لن تذرف دمعة واحدة بقية حياتك . (يرفع عقيرته بالغناء) نحن ابناء اكسفورد الذين حاربنا بقلوبنا وأيدينا (متكلما) نخب صحتكم . (يجرع قدحه ويحذو الآخرين حذوه) وسأسلخ أى رجل فى مدينة لندن يأبى ان يشرب ذلك النخب . (يتطلع بشراسة الى جو الذى يبادر الى خفض قدحه فورا . يعود نيك الى الدخول من الباب الايسر ويأتى الى

جو ويهمس فى أذنه بعض الكلمات ، فيومىء اليه هذا الاخير برأسه راضيا)

دريسكول : (محدقا فيهما) والآن ، أية خدعة شيطانية تدبرانها ، انتما الاثنان (يشرع قبضته القوية) كونا صريحين معنا ، والا فانى سأتولى أمركما .

جو : (بسرعة) ليس هناك أية خدعة أيها البحار . فليصرعنى الله اذا لم تكن هذه هى الحقيقة .

نيك : (مشيرا الى ايفان الذى تعالى شخيره) كل مافى الامر ان زميلك ذاك كان يسأل عن الفتيات ، ففكرت انكم قد تحبون أن ينزلن اليكم ، ويتناولن معكم بعض الشراب .

جو : (بغمزة متظارفة) فتيات يفضن جمالا وصحة ، أليس كذلك ، يانيك ؟

نيك : أجل ؛

كوكى : هراء . أنا أعرف ماعندك من فتيات . إنهن قبيحات الى درجة بشعة . لا أريد شيئا من فتياتك الناضرات لنفسى أيها البدين العجوز . انا ودريسك نعرف محلا آخر . أليس كذلك يادريسك ؟

دريسكول : هذا صحيح . وسنذهب هناك بعد لحظة ، هناك موسيقى ورقص ينعش الرجال .

جو : يستطيع نيك هنا أن يعزف لكم بعض الموسيقى . ألا تستطيع يانيك ؟

نيك : أجل .

جو : ويمكنكم ان ترقصوا فى هذه الغرفة الجاذبية .

دريسكول : عظيم.هذا هوالكلام . (تدخل المرأتان ، فريداوكات ، من اليسار . فريدا شقراء ضئيلة الجسم ضامرة الوجه . أما كات فهى قوية البنية وسمراء) .

كوكى : (فى صوت عال الى دريسكول على انفراد) لعنة الله . انظر اليهما . أليستا بشعتين ؟

(تتقدم المرأتان الى المنضدة ، وقد كسيتا شفاههن أفضل ابتساماتهما المصطنعة) .

فريدا : (بصوت مبحوح) مرحبا ، أيها البحارة .

كات : أكانت رحلتكم موفقة ؟

دريسكول : بل عفنة ، ولكن دعينا من ذلك . مرحبا ، كما يقولون . اجلسا . ماذا تشربان (لكات) اجلسى الى جوارى ياعزيزتى . ما اسمك ؟

كات : (بضحكة بلهاء) كات (تقف الى جوار مقعده) .

دريسكول : (مطوقا اياها بذراعه) انه اسم ايرلندى جميل . على أنك انجليزية ، حسب ما أرى . ولكن هذا

غير مهم . إنك بدينة ياعزيزتى كات ، وأنا لا أطيق النساء النحيلات (تحييه فريدا بنظرة لئيمة وتجلس إلى جوار أولسون) ماذا ستشربان ؟

أولسون : كلا ، يادريسك . هذه المرة على أنا (يخرج من جيبه الداخلى رزمة من الاوراق المالية . ويضع ورقة منها على المنضدة . ويرمق جو ونيك والمرأتان المال بنظرات شرهة . يغط إيفان غطيطا شديدا .)

فريدا : ايقظ صديقك . يعلم الله مبلغ بغضى لصوت الغطيط .

دريسكول : (ينهض فى نشاط ، ويهوى على قبعة إيفان ، فتغوص حتى أذنيه) ألا تسمع السيدة تتكلم اليك ، أيها الغبى ؟ (الإجابة الوحيدة على هذا هو الغطيط فحسب — يجذب دريسكول البقايا المهشمة من قبعة إيفان من على رأسه ، ثم يهوى عليها مرة أخرى) انهض ، وأفق أيها الخنزير المخمور . (غطة أخرى . تضحك المرأتان ثم يقذف دريسكول الجعة المتبقية فى قدحه فى وجه إيفان فيفيق الرجل بسرعة مغمغما ، وتهب عاصفة من الضحك) .

ايفان : (ساخطا) هيه .. هذا شىء لا أحبه .

كوكى : لا تضيع الجعة الجيدة ، يادريسك .

ايفان : (متذمرا) أقول لك ، هذا شيء غير لائق .

دريسكول : إنك أنت السبب ، يا إيفان . لقد كنت تولول طالبا الفتيات . وعندما حضرن جلست قابعا كخنزير فى حظيرة . أليس لديك شيء من الذوق؟ (يبدو على إيفان أنه يرى المرأتين لاول مرة ، فيضحك بغباء) .

كات : (ضاحكة فى وجهه) مرحبا ، أيها الصديق . كيف حال روسيا ؟

ايفان : (يدس يده فى جيبه مسرورا) سأشترى شرابا .

أواسون : كلا ، هذه المرة على أنا . (إلى جو) هيه ، أنت أيها الرجل .

جو : ماذا تشربين يا كات ؟

كات : جين .

فريدا : براندى .

دريسكول : وويسكى إيرلندى لنا ، باستثناء صديقنا المترفع عن الشراب ، رحمة الله عليه .

فريدا : (لأولسون) أأنت تشرب ؟

أولسون : (خجلا بعض الشيء) كلا .

فريدا : (تغربه بابتسامة) أنا لا ألومك . أنت عاقل ، وأنا لا أشرب ، إلا رشفة من البراندى ، من وقت لآخر ، من أجل صحتى . (يحضر جو المشروبات وبقية نقود أولسون : ينهض كوكى على قدميه مترنحا ، ويرفع قدحه فى الهواء) .

كوكى : هاكم نخب مثير . السيدتان الله (يتردد ثم يضيف فى نبرة متبرمة) يحفظهما .

كات : (تضحك ضحكة سخيفة) أوه ، لم يكن ذلك ما كنت ستقوله يا كوكى . أنت أيها الشرير .

(الجميع يشربون)

دريسكول : (إلى نيك) أين الموسيقى التى وعدتنا بها ؟

نيك : تعالوا هنا ، فى الغرفة الجانبية ، وسأسمعكم إياها.

دريسكول : (ينهض) هلموا جميعا . سنسمع بعض الموسيقى ونرقص قليلا ، مالم تكن الخمر قد لعبت بعقلى إلى الحد الذى يعوقنى عن الرقص . كان الله فى عونى (ينهض كوكى وإيفان على قدميهما مترنحين . لا يكاد إيفان يقوى على الوقوف إلا بصعوبة ، وهو يرمق كات بنظرات عابثة

ويهمهم بضحكات ثملة . يخرج ثلاثتهم بقيادة نيك من الباب الايسر ، وتتبعهم كات . أما أولسون وفريدا فيظلان جالسين) .

كوكي : (متلفتا إلى الوراء ومناديا) تعال ارقص ، يا أولى .

أولسون : نعم ، أنا قادم (يهم بالنهوض . وينبعث من الغرفة الجانبية صوت أكورديون ، وعاصفة من صيحات دريسكول المشجعة على الرقص . ثم يتبع ذلك وقع أقدامهم الثقيلة) .

فريدا : آوه ، لاتذهب إلى هناك . اجلس هنا وتحدث معي . إنهم جميعا ثملون ، وأنت لاتشرب . (تعلو الابتسامة وجهها) سأعتقد أنك لاتميل إلى ، إذا ماذهبت إلى هناك .

أولسون : (مرتبكا) أنت مخطئة ، يا آنسة فريدا . أنا لا أعنى — أنني أميل اليك .

فريدا : (تضع يدها مبتسمة على يده على المنضدة) وأنا أميل اليك . أنت رجل مؤدب لاتسكر ، ولا تسب الفتيات المسكينات اللاتى يعشن حياة تعسة شاقة .

أولسون : (راضيا ، ولكن مازال مرتبكا ، ويهز قدميه) لقد سكرت عدة مرات يا آنسة فريدا .

فريدا : إذن ، لماذا لاتشرب الان ؟ (ترسل، نظرة سريعة ومستفسرة إلى جو الذى يومىء لها ، ثم تمضى فى استمالته) قل لى شيئاً عن نفسك .

أولسون : (بضحكة خافتة) ليس هناك مايستحق قوله ياآنسة فريدا . لقد كنت بحارا مسكينا . وهذا كل شىء .

فريدا : أين مسقط رأسك — النرويج ؟ (يهز أولسون رأسه) الدانمارك ؟

أولسون : كلا ، خمنى مرة أخرى .

فريدا : إذن ، لابد أنها السويد .

أولسون : أجل ، لقد ولدت فى استكهولم .

فريدا : (تتظاهر بالسرور البالغ) أو ، أليس ذلك طريفا ! لقد ولدت أنا أيضا هناك — فى استكهولم .

أولسون : (مندهشا) أنت ولدت فى السويد ؟

فريدا : أجل ، إنك ما كنت تظن هذا . ولكنها الحقيقة، وأشهد الله على ذلك . (تصفق بيديها جذلة)

أولسون : (وقد بدا عليه الانشراح) أتتكلمين السويدية ؟

فريدا : (محاولة الابتسام فى حزن) كلا ، فقد جاء والدى ووالدتى هنا ، إلى انجلترا ، عندما كنت طفلة .

وألفا الكلام بالانجليزية قبل أن اكبر وأتعلم تلك اللغة .(بحزن) كم كنت أود أن أتعلم السويدية . (بابتسامة) كان يمكن أن نمضى وقتاً مرحا فى التحدث بها لو كانت تعلمتها . أليس كذلك ؟

أولسون : كم أود أن أسمع اللغة القديمة ، ولو مرة واحدة .

فريدا : تماما ! وأقول لك الحق ليس هناك مكان مثل وطنك . هل أنت ذاهب إلى ... إلى استكهولم قبل أن تعود سفينتكم إلى الإبحار مرة أخرى ؟

أولسون : أجل ، أنا ذاهب إلى وطنى .من هنا إلىاستكهولم. (فخورا) كمسافر هذه المرة لا كبحار .

فريدا : وستجد هناك عملا على سفينة أخرى بعد قضاء أجازتك ؟

أولسون : كلا ، لن أعمل فى البحر قط بعد ذلك . لقد سئمت حياة البحر . كثير من العمل الشاق لقاء القليل من المال . ليس هناك إلا العمل والعمل على ظهر السفينة . ولا أريد المزيد .

فريدا : أوه ، فهمت . وذلك مايجعلك تقلع عن الشراب .

أولسون : أجل (بضحكة خفيفة) لو شربت سأسكر وأنفق كل نقودى .

فريدا : ولكن إذا لم تعمل بحارا ، فماذا ستعمل ؟ كنت بحارا طوال حياتك ، أليس كذلك ؟

أولسون : كلا ، عملت فى مزرعة حتى سن الثانية عشرة ، وكنت شغوفا بعملى جدا — إنه جميل ، العمل فى المزارع .

فريدا : ولكن أليست استكهولم مدينة مثل لندن ؟ ليس بها مزارع — أليس كذلك ؟

أولسون : نحن نعيش — أخى وأمى — أبى متوفى — فى مزرعة تبعد قليلا عن استكهولم . لدى مافيه الكفاية من المال الآن ، فأنا عائد ومعى أجرى عن العامين السابقين . سأشترى مزيدا من الارض وأعمل فى الزراعة . (يضحك ضحكة خفيفة) لقد نلت كفايتى من البحر ، من الأكل الشحيح ، من العواصف — لن أقبل إلا العمل الهين .

فريدا : أوه أليس ذلك جميلا ! أظن أنك ستتزوج أيضا ؟

أولسون : (مرتبكا إلى حد بعيد) لا أدرى . أود ذلك . لو وجدت فتاة لطيفة ، ربما .

فريدا : أليس لك فتاة تنتظرك عند عودتك إلى استكهولم ؟ إنى أراهن أن لك فتاة تنتظرك .

أولسون : كلا ، لقد كانت لى فتاة مرة ، قبل أن أركب البحر ، ولكننى عملت على ظهر السفن ، ولم أعد ، فتزوجت رجلا آخر . (يضحك فى ارتباك) .

فريدا : حسنا ، من اللطيف ان تكون عائدا إلى وطنك ، على اية حال .

أولسون : أجل ، أعتقد ذلك (يسمع من الغرفة المجاورة صوت شيء يهوى على الارض ، وتتوقف الموسيقى فجأة . وبعد لحظة يظهر كوكى ودريسكول يسندان فيما بينهما إيفان الغائب عن وعيه ، وهو فى أقصى حالات السكر ، غير قادر على أن يحرك أية عضلة من جسمه ، ويتبعهم نيك الذى يجلس الى المنضدة التى فى المؤخرة) .

دريسكول : (بينما هو وكوكى يترنحان فى طريقهما الى البار) انه ميت ، على ما أعتقد ، فهو مترهل كجثة لعينة.

كوكى : (لاهثا) يا الهى ، كم هو ثقيل .

دريسكول : (يصفع وجه ايفان بيده الطليقة) ، أفق ، أيها الشيطان . لاجدوى من ذلك . حتى أبواق جبريل نفسها لايمكن أن تبعثه الى الحياة (الى جو) اعطنا شرابا ، فانا أكاد أهلك من العطش ، هذا عمل شاق .

جو : ويسكى ؟

دريسكول : ويسكى ايرلندى ، أيها القذر (يضع قطعة من النقود على البار . يناول جو كوكى ودريسكول قدحى الشراب . يشربان ثم يميلا ن على منضدة) .

أولسون : اجلسا ، واستريحا قليلا ، يادريسك .

دريسكول : كلا ، يا أولى . سنحمل هذا الولد إلى فراشه ، فالوقت متأخر بالنسبة لمن كان جد صغير مثله . ولا يمكننى أن أطمئن عليه فى هذا الجحر ، وهو على ما هو عليه من السكر ، ويحمل معه أجر اليوم بالكامل . (ملوحاً بقبضته نحو جو) أوهو ، أنا أعرف ألاعيبك ، يا ولدى المكير .

جـــو : (بلهجة حزن) ها أنت مرة أخرى تشتم رجلا شريفاً .

كوكى : هو ، اصغ إليه ، اعطه لكمة فى فمه ، يادريسك .

أولسون : (معنيا بألا تقوم مشادة — ينهض) سأساعدك فى أخذ إيفان إلى المنزل .

فريدا : (محتجة) أوه ، إنك لن تتركنى ، أليس كذلك ؟ بعد هذا الحديث الشيق ، وبعد كل شىء .

دريسكول : (بغمزة) أتسمع ما تقوله السيدة ، يا أولى . من الأفضل أن تبقى هنا ، أيها الرجل العفيف . نحن لسنا بحاجة إلى معاونتك . إنه مجرد طريق قصير ،

ونحن رجلان قويان ، حتى وإن كنا ثملين . وليس عبئاً ثقيلا أن نعود ببقاياه . ولكن يمكنك أن تفتح الباب ، يا أولى (يذهب أولسون إلى الباب ويفتحه) هيا يا كوكى ، ولا تستغرق فى النوم انت أيضا . (يترنحان متجهين نحو الباب . وبينما يخرجان يصيح دريسكول) سنعود بعد وقت قصير بكل تأكيد ، فانتظرنا هنا ، يا أولى .

أولسون : حسناً ، أنا منتظر هنا ، يا دريسك . (يقف فى مدخل الباب متردداً . يشير جو بحركات عنيفة إلى فريدا لكى تحضره إلى الداخل ، فتذهب إلى أولسون ، وتضع ذراعها حول كتفيه . يشير جو إلى نيك لكى يحضر إلى البار ، ويتهامسان بانفعال) .

فريدا : (ملاطفة) إنك لن تتركنى ، أليس كذلك ياعزيزى؟ (ثم بحدة) بالله ، أغلق ذلك الباب . إنى أتجمد حتى الموت من البرد . (يثوب أولسون إلى نفسه مجفلا ، ويغلق الباب) .

أولسون : (بمسكنة) معذرة ، يا آنسة فريدا .

فريدا : (تعود من جديد إلى المنضدة وهى تسعل) أطلب لى كأساً من البراندى ، لو سمحت . إنى أحس ببرد شديد .

أولسون : كل ماتريدين ، يا آنسة فريدا ، كل ما تريدين .
(لجو الذى مازال يهمس بتعليمات إلى نيك) ياجو ، براندى للآنسة فريدا . (يضع قطعة النقود على المنضدة) .

جـو : حالا (يصب شرابها ويحضره إلى المنضدة) أتريد شيئاً لنفسك ، أيها البحار ؟

أولسون : كلا ، لا أعتقد ذلك . (يشير إلى قدحه بضحكة قصيرة) أما هذه الجعة فمجرد غسيل للبطن ، أليس كذلك ؟ (يضحك)

جـو : (مؤملا) خذ شيئاً مما يشربه الرجال .

أولسون : أود . ولكن كلا ، إذا شربت كأساً واحدة فسأشرب ألفا . (يضحك) .

فريدا : (مستجيبة إلى وكزة شريرة من كوع جو) أو ، خذ شيئاً ؛ فلن أظل أشرب وحدى .

أولسون : إذن أعطنى قليلا من الجعة الحريفة — قدحاً صغيراً .
(يذهب جو إلى مؤخرة البار مشيراً إلى نيك كى يذهب إلى منضدتهما . يفعل نيك ذلك ، ويقف بحيث لا يرى البحار ماذا يفعل جو) .

نيك : (مصطنعاً الحديث) أين ذهب رفاقك ؟ (يصب

جو محتويات الزجاجة الصغيرة فى قدح الجعة الذى
طلبه أونسون) .

أواسون : لقد أخذا إيفان ، ذلك الرجل الثمل ، إلى مخدعه ، وسيعودان (يحضر جو مشروب أواسون إلى المنضدة ويضعه أمامه) .

جـــو : (لنيك – غاضباً) أسرع من فضلك ، ليس هناك وقت للتلكؤ أتفهم ، أسرع .

نيك : لا تقلق أيها العصفور العجوز ، أنا ذاهب . (يهرع خارجاً من الباب . ويعود جو إلى مكانه خلف البار) .

أواسون : (بعد برهة صمت – قلقاً) أظن أننى يجب أن ألحق بهم . إن كوكى ثمل هو الآخر ودريسك ...

فريدا : آر ! الايرلندى الضخم بخير . ألم تسمعه يقول لك أنهما سيعودان بكل تأكيد ، وأن عليك أن تنتظرهما ؟

أولسون : أجل ، ولكن إذا لم يعودا بسرعة ، فإننى أعتقد أنه يجب أن أذهب لأرى ما إذا كانوا قد وصلوا إلى المنزل على ما يرام .

فريدا : أين المنزل ؟

أولسون : فى هذا الشارع ، على مسافة قصيرة من هنا .

فريدا : أتنزل هناك ، أنت أيضاً ؟

أولسون : أجل — إلى أن ترحل سفينة إلى استكهولم — فى خلال يومين .

فريدا : (تتبادل النظرات مع جو ، وتحاول فى قلق أن تشغل أولسون بالكلام حتى ينسى موضوع رحيله فى أعقاب الآخرين) ستسر أمك عند ما تراك من جديد ، أليس كذلك ! (يبتسم أولسون) ألا تعلم أنك ذاهب إليها ؟

أولسون : كلا ، رأيت أنه يجدر بى أن أجعلها مفاجأة . لقد كتبت إليها من بيونيس ايريس — ولكننى لم أخبرها أننى عائد إلى الوطن .

فريدا : لابد أنها مسنة ، والدتك .

أولسون : إنها فى الثانية والثمانين (يبتسم ويسترجع الذكريات) أتعرفين ، يا آنسة فريدا ؟ أننى لم أر أمى ولا أخى منذ — دعينى أتذكر (يعد على أصابعه بكد) لابد أننى لم أرهما من أكثر من عشر سنوات . إننى أكتب إليها بين الحين والحين ، وهى تكتب إلى مراراً . وأخى يكتب إلى بدوره . وتقول أمى فى كل خطاباتها أننى يجب أن أعود إلى الوطن توا . ويكتب أخى ذات الشىء أيضاً . إنه يريدنى أن أعاونه فى الزراعة .

وأرد أنا قائلا على الدوام أننى سأحضر سريعاً ، وأعنى فى كل مرة أن أعود إلى الوطن فى نهاية الرحلة . ولكننى أنزل إلى البر ، وأتناول قدحاً من الشراب ، ثم أتناول كثيراً من الأقداح ، فأسكر ، وأنفق كل نقودى ، فيكون على أن أركب البحر فى رحلة أخرى . ولذلك فإننى فى هذه المرة أقول لنفسى لا تشرب ولا قدحاً واحداً ، يا أولى ، وإلا فإنك بكل تأكيد لن تعود إلى الوطن ، وأنا أود أن أعود إلى الوطن هذه المرة . إنى أشعر بالشوق إلى المزارع ، وإلى أن أرى أهلى مرة أخرى (يبتسم) تماماً كصبى صغير أحس بالحنين إلى البيت . هذا ما يجعلنى لا أشرب شيئاً هذه الليلة ، سوى غسيل البطن هذا (ينفجر فى ضحك صبيانى ، ثم فجأة يضحى جاداً) أتعرفين ، يا آنسة فريدا ، أن أمى قد هرمت كثيراً ، وأريد أن أراها . إنها قد تموت وعندئذ لن أغفر لنفسى .

فريدا : (متأثرة إلى حد كبير بالرغم من نفسها) أو ، لا تتكلم هكذا انى أكره أن أسمع شخصاً يتكلم عن الموت .

(يفتح الباب المطل على الشارع ويدخل نيك يتبعه رجلان خشنا المظهر فى ثياب رثة ، يتشح كل منهما بوشاح يخفى جزءاً من وجهه ، وقد أمالا

قبعتيهما على أعينهما . يجلسان إلى المنضدة القريبة من الباب . يجلب إليهم جو ثلاثة أقداح من الجعة . ثم تدور مشاورات هامسة تتخللها عدة نظرات فى اتجاه أولسون)

أولسون : (يشرع أولسون فى النهوض ــ قلقاً) أظن أنه ينبغى أن أذهب إلى الفندق . أعتقد أن مكروهاً ما قد أصاب دريسك وكوكى .

فريدا : أو ، لا تذهب . إنهما قادران على رعاية شئونهما بنفسيهما ، إنهما ليسا طفلين . انتظر لحظة ، إنك لم تشرب قدحك بعد .

جــو : (يأتى مسرعاً إلى المنضدة ، ويشير إلى الرجلين اللذين فى المؤخرة بحركة من إبهامه) إن أحد هذين الرجلين يريدك أن تشرب شيئاً معه .

فريدا : هذا جميل (لاولسون) فلنشرب هذا النخب . (ترفع قدحها . يفعل أولسون المثل) إليك هذا النخب : أتمنى النجاح لمزرعتك المزدهرة ، وأن تحيا فيها حياة مديدة سعيدة . فى صحتك (تجرع قدحها ، ويبتلع هو نصف قدحه ، ويتقلص وجهه اشمئزازاً) .

أولسون : فى صحتك (يضع قدحه على المنضدة)

فريدا : (تتظاهر بالغضب) ألم يعجبك ما تمنيته لك ؟

أو اسون : (ضاحكاً ضحكة خفيفة) بل أعجبني . إنها تمنيات طيبة جداً ، يا آنسة فريدا .

فريدا : إذن ، اشرب قدحك كله ، كما فعلت أنا .

أولسون : حسناً . (يبتلع البقية) هاك (يضحك) .

فريدا : هذا منتهى الظرف .

أحد الصعلوكين : (ضاحكاً) مرحباً به فى السفينة « أميندرا »

نيك : (محذراً) ش .

أولسون : (يستدير فى مقعده) أميندرا ؟ أهى فى الميناء ؟ لقد أبحرت عليها مرة ، منذ أمد طويل . لها ثلاث ساريات ، وكلها أشرعة وقلوع . أهذه تعنى ؟

الصعلوك : (ضاحكاً ضحكة خفيفة) أجل ، أصبت .

أولسون : (غاضباً) إنى أعرف هذه السفينة الملعونة . إنها أسوأ سفينة تمخر عباب البحر . طعام فاسد ، وإرغام على العمل طوال الوقت ، والقبطان ومساعده شيطانان قاسيان . ما من بحار لديه ذرة من الإدراك يرضى أن يبحر عليها . ما هى وجهتها من هنا ؟

الصعلوك : ستدور حول رأس هورن ، وستقلع فى الفجر .

أولسون : إنى أرثى لأولئك الرفاق المساكين الذين سيقومون بالرحلة حول رأس ستيف فى مثل هذا الوقت من

العام . أراهن أن بعضهم لن يرى البر مرة أخرى : (يمسح عينيه براحته ، وقد أحس بالدوار . يزداد صوته ضعفاً) إنى أحس بالدوار . كل الغرفة تدور وتدور حولى كما لو كنت ثملا (ينهض واقفاً على قدميه فى وهن) طابت ليلتك ، يا آنسة فريدا . إنى أحس بالمرض . أخبرى دريسلك أننى ذاهب إلى البيت (يخطو خطوة إلى الأمام ، وفجأة يصطدم بمقعد . ثم يقع على الأرض فاقد الحس) .

جـــو : (من خلف البار) بسرعة الآن . (يندفع نيك إلى الأمام ويعقبه جو ، بينما تكون فريدا قد سبقتهما إلى جوار الرجل الغائب عن الحس ، وأخرجت رزمة الأوراق المالية من جيبه الداخلى ، وتنتزع منها خلسة ورقة وتدسها فى صدرها محاولة إخفاء فعلتها ، ولكن يراها جو ، فتناوله الرزمة التى يدسها فى جيبه ، يفتش نيك جميع الجيوب الأخرى ، ويضع قبضة من النقود على المنضدة) .

جـــو : (بفروغ صبر) بسرعة ، بسرعة . ألا يمكنكم الإسراع ؟ سيعود الآخرون إلى هنا فى خلال نصف دقيقة (يتقدم الصعلوكان) هيا ، أنتما الاثنان ، خذاه تحت ذراعيكما ، كما لو كان مخموراً (يفعلان ذلك) خذاه إلى الاميندرا . تعرفانها ، أليس كذلك ؟

إنها فى الحوض الثالث . سيريكما نيك إياها .
وأنت يا نيك لا تبرح السفينة الملعونة قبل أن ينقدك
القبطان أجر هذا المغفل مقدماً — أجر شهر بالكامل —
خمسة جنيهات ، أتسمعنى ؟

نيك : إنى أعرف شغلى ، أيها العصفور العجوز . (يسند الصعلوكان أولسون ، و يمضيان به إلى الباب)

الصعلوك : (بينما يخرجان) سيدهش هذا الغبى ، عندما يفيق ويجد نفسه على ظهرها . (يضحكون ، ويغلقون الباب من خلفهم . تمضى فريدا مسرعة إلى الباب الأيسر ، ولكن جو يعترض طريقها ويوقفها) .

جـــو : (مهدداً) أعطنى ما أخذت .

فريدا : أخذت ؟ لقد أعطيتك كل ما كان معى .

جـــو : أيتها الكذابة ، لقد رأيتك تقومين بحيلتك الماكرة ، ولكن لا يمكنك أن تضحكى على جو . إنى خبير بمثل هذه الألاعيب (بغضب) أعطنى النقود ، أيتها البقرة اللعينة (يجذبها من ذراعها) .

فريدا : دعنى وشأنى . لم آخذ شيئاً .

جـــو : (يضربها بشراسة على جانب فكها فتسقط متلوية على الأرض) إن ذلك سيؤدبك (ينحنى عليها ويفتش صدرها ، وينتزع منها الورقة المالية التى يدسها فى جيبه ، ويخور فى رضاء . تفتح كات الباب

الأيسر ، وتطل منه ، ثم تندفع إلى فريدا وترفع رأسها بين ذراعيها) .

كات : (برفق) يا عزيزتى المسكينة ! (متطلعة إلى جو فى غضب) عدت تضربها من جديد ، أليس كذلك ، أيها الخنزير الجبان ؟

جـــو : أجل ، وسأضربك أنت أيضاً ، إذا لم تغلقى فمك ، خذيها إلى الخارج ! (تحمل كات فريدا إلى الغرفة المجاورة ، ويذهب جو إلى خلف البار . وبعد هنيهة يفتح الباب الخارجى ، ويدخل منه دريسكول وكوكى) .

دريسكول : تعال ، يا أولى . (ثم يلحظ فجأة أن أولسون ليس هناك ، فيلتفت إلى جو) أين ذهب ؟

جـــو : (بغمزة ذات مغزى) خرج هو وفريدا منذ حوالى خمس دقائق خلت . إنه ولهان بها حقاً .

دريسكول : (بضحكة قصيرة) أو هو ، إذن فهذه هى المسألة. هيه ؟ من كان يظن أن أولى عفريت مع النساء إلى هذا الحد . من حسن حظه أنه ليس ثملا ، وإلا لجردته من آخر بنس معه . (يستدير إلى كوكى الذى يغمض عينيه ، وقد غلبه النعاس) ماذا ستشرب أيها الحقير قصير الذيل ؟ (لجو) أعطنى ويسكى ، ويسكى ايرلندى !

يسدل الستار .

في المنطقة

In The Zone

الشخصيات

سميتي	Smitty	بحارة على باخرة الشحن الإنجليزية جلينيكرن
دافيز	Davis	
سوانسون	Swanson	
سكوتي	Scotty	
ايفان	Ivan	
بول	Paul	
جاك	Jack	
دريسكول	Driscoll	
كوكي		

المنظر : عنبر البحارة . على اليمين فوق الأسرة ترى ثلاث أو أربع كوات مغطاة بقماش أسود . على الأرض بجوار المدخل دلو به إناء من الصفيح . ومصباح فى الوسط على الأرض خفضت ذبالته جداً ، ويلقى حول المكان ضوءاً معتما . يرقد خمسة رجال ؛ سكوتى وإيفان وسوانسون وسميتى وبول ، فى أسرتهم ويبدو عليهم أنهم نائمون . الوقت حوالى الحادية عشرة وعشر دقائق من ليلة فى أواخر عام ١٩١٥ .

يستدير سميتى ببطء فى سريره ويميل مطلا من على الجانب ، ويجيل بصره بين الرجال كما لو كان يستوثق من أنهم نائمون ، ثم ينزل بحذر خارجاً من سريره ، ويقف فى وسط العنبر مرتدياً ثيابه كاملة ماعدا حذاءه ومتطلعاً من حوله فى ارتياب . وإذ يطمئن قلبه ، ينحنى ويجذب بحذر حقيبة من تحت الأسرة التى أمامه .

فى هذه اللحظة تماماً يظهر دافيز فى المدخل ، حاملا فى يده إناء كبيراً من القهوة يتصاعد منه البخار . وعندما يرى سميتى يتوقف هنيهة ، ويعلو وجهه تعبير من الحيرة يعقبه تعبير من الارتياب ، وينسحب متراجعاً فى الممر ، حيث يمكنه أن يراقب سميتى دون أن يراه .

تدل كل حركات سميتى على الحرف من أن يكشف أمره . يخرج ربطة صغيرة من المفاتيح ويفتح الحقيبة ، فتبدر منه جلبة طفيفة . يستيقظ سكوتى ويسترق النظر إليه من جانب السرير . يفتح سميتى الحقيبة ويخرج منها صندوقاً صغيراً أسود من الصفيح ، يضعه بحرص

تحت حشيته ، ويدفع الحقيبة إلى مكانها تحت السرير ، ثم يصعد إلى سريره مرة أخرى ، ويغلق عينيه ويشرع في الغطيط بصوت عال .

يدخل دافيز إلى العنبر ، ويضع إناء القهوة إلى جوار المصباح . يمضي من نائم إلى آخر ويهزه بشدة قائلا له في صوت خفيض : لقد أوشك الجرس أن يدق ثماني دقات يا سكوتي . انهض وانتعش يا سوانسون . لقد دق الجرس ثماني دقات يا إيفان . يتثاءب سميتي بصوت عال متظاهراً كل التظاهر بأنه كان مستغرقاً في النوم . يقفز بقية الرجال خارجين من أسرتهم وهم يتمطون ويتثاءبون ويبدأون في ارتداء أحذيتهم . ثم يذهبون واحداً واحدا إلى الدولاب بجوار الباب المفتوح ،ويخرجون أقداحهم وملاعقهم ، ويجلسون معاً على المقاعد . يدار إناء القهوة عليهم . ويمضغون كعكهم ويرشفون قهوتهم في صمت وبلادة) .

دافيز : (يقفز فجأة على قدميه أواقفاً — بعصبية) من ين يأتي ذلك الهواء ؟

(يجفل الجميع وينظرون إليه بعجب) .

سوانسون : (وهو سويدي قصير غليظ عابس الوجه — يقول بخشونة) أي هواء ؟ أنا لا أحس بشيء .

دافيز : (ثائراً) يمكنني أن أشعر به — تيار . (يقف على المقعد ويجول بنظرة متطلعاً من حوله . منفجراً فجأة) اللعين الغبي غليظ الرأس ! (يتكىء على السرير

الذى ينام فيه بول ويغلق الكوة بعنف) وإنى أشعر
بميل قوى لأن أبلغ عنه . سيكون فى ذلك أبشع جزاء
له ! ما جدوى حجب الضوء عن المنافذ فى حين
يمضى ذلك الغبى ويتركها مفتوحة ؟

سوانسون : (متثائباً — جد نعسان فلا يستثيره شىء — يقول
بلا اكتراث) إنهم لا يرون بصيصاً من الضوء
يتسلل من مجرد منفذ واحد .

سكوتى : (محتجاً) لا تكن مجنوناً ، يا سوانسون ! ألا تعرف
وثمة سرب من الغواصات قابع من حولنا ؟

إيفان : (هازاً رأسه الأشعث الذى يشبه رأس ثور مصدقاً
على كلامه بشدة) ذلك صحيح ، يا سكوتى .
أنا لا أحب أن أنسف ، وحق الشيطان !

سميتى : (ينم مسلكه عن قليل من الازدراء) لا أعتقد أن
هناك خطراً كبيراً من الالتقاء بأية غواصة من
غواصاتهم ، حتى ندخل منطقة الحرب ، على أى
حال .

دافيز : (هو وسكوتى ينظران إلى سميتى فى ريبة — ويقول
بخشونة) أنت لاتعتقد ، أية ؟ (يخفض صوته ويتكلم
بتؤدة) حسناً ، إننا فى منطقة الحرب فى هذه اللحظة
ذاتها — لو تريد أن تعرف . (سرعان ما أثر هذا

الحديث ، فاشرأب الجميع وقـد تسمروا على مقاهدهم محدقين فى دافيز) .

سميتى : كيف تعرف ، يا دافيز ؟

دافيز : (غاضباً) لأن دريسلك سمع الضابط الأول يبعث بالضابط الثالث إلى أسفل ليوقظ الربان ، فقد وصلنا إلى المنطقة – وذلك عندما دق الجرس خمس دقات . فما قولك ؟

سميتى : (مسترضياً) أوه ، لم أكن أشك فى كلامك يادفيز ، ولكنك تعلم أنهم لا يلصقون النشرات حتى يعرف البحارة متى يكون الوصول إلى المنطقة – وبخاصة على مثل هذه السفينة من سفن الذخيرة .

إيفان : (بتصميم) أنا لا أحب هذه الرحلة . المرة القادمة سأبحر على السفينة الشراعية « بوستون » إلى نهر « بلات » محملة بالأخشاب فحسب ، لكى تطفو بمشيئة الله .

سوانسون : (برما) تلك الغواصات ، عليها اللعنة ، أرجو أن تدمرها البحرية الانجليزية وتبعث بها إلى الجحيم !

سكوتى : (متطلعاً إلى سميتى الذى يحدق نحو الباب حالماً ، وذقنه على راحتيه ، رامياً إلى معنى معين) إنها ليست الغواصات وحدها التى علينا أن نخشاها ، على ما أعتقد .

دافيز : (موافقاً فى حماس) هذا حق ، يا سكوتى .

سوانسون : تعنى الألغام ؟

سكوتى : ما كنت أفكر حتى فى الألغام .

دافيز : هناك الكثير من السفن المتينة التى دمرت واستقرت فى قاع البحر دون أن تصطدم بلغم ولا بطوربيد فقط .

سكوتى : ألم تقرأ أبداً عن الجواسيس الألمان وما يقومون به من عمل قذر طوال الحرب ؟ (ينظر هو ودافيز إلى سميثى الغارق فى التفكير غير مصغ إلى الحديث)

دافيز : والطريقة البارعة التى يخدعونك بها !

سوانسون : مؤكد . لقد قرأت عنها فى الصحف مرات كثيرة .

دافيز : حسناً — (يهم بالكلام ولكنه يتردد ، وينهى عبارته بتراخ) عليكم أن تكونوا يقظين ، ذلك كل ما اقوله .

ايفان : (متجرعاً الجرعة الاخيرة من قهوته ، وضارباً المقعد بقبضته ضجرا) اقول لكم هذه القهوة العطنة تسبب لى وجع البطن ، اجل ! (ينظرون اليه جميعاً بمرح مشاركين له فى اشمئزازه)

سكوتى : (منهمكا) لا يغضبك ذلك ، يا ايفان . لو دمرنا فلن تكترث للالم الذى فى جوفك . (يدخل جاك

وهو شاب امريكى ذو وجه جامد مهذب القسمات يرتدى سترة خشنة وقميصاً صوفياً ثقيلا)

جاك : دق الجرس ثمانى دقات ، يا رفاق .

ايفان : (بغباء) لا أسمع الجرس يدق .

جاك : كلا ، ولن تسمع أية دقة أيها الأحمق — (مخفضا صوته رغم ارادته) ونحن الآن فى منطقة الحرب .

سوانسون : (قلقاً) هل القوارب كلها جاهزه ؟

جاك : مؤكد . يمكننا انزالها فى ثانية .

دافيز : كثير من الخير ستفعله القوارب ونحن محملون إلى القاع بكل انواع الديناميت والمواد المماثلة لها . لو ضرب طوربيد هذه السفينة فسنكون جميعاً فى الجحيم قبل ان يرتد إليك طرفك .

جاك : انهم لن يضربونا ، اتعلم ذلك ؟ تلك تحرياتى . من عليه الدور لعجلة القيادة ؟

ايفان : (مكتئبا) على انا الدور (يخرج متثاقلا) .

جاك : ومن عليه الدور فى المراقبة ؟

سوانسون : على انا الدور ، فيما اعتقد . (يقتفى اثر ايفان)

جاك : (بازدراء) اى خير يعود علينا من المضى فى المراقبة . يا للعنة ، ليس فى امكاننا ان نهرب أو نحارب لو أردنا . (ثم قائلا لسكوتى وسميتى) من الافضل

أن تصعدا لمقابلة رئيس البحارة أو الضابط الرابع ليرى انكما يقظان . (يذهب سكوتى إلى الباب ويستدير لينتظر سميتى الذى ما زال على ما كان عليه ، مسندا رأسه إلى راحتيه ، وقد بدا عليه انه غير واع لشئ . يضربه جاك بخشونة على كتفه فيثوب إلى وعيه مجفلا) إتبعه ، وقدم تقريرا ،أيها الدوق . ما خطبك — أغارق أنت فى سكرات حلم ؟ (يخرج سميتى فى أعقاب سكوتى دون أن يجيب . يلاحقه جاك بنظراته مقطبا) انه فتى غريب لا يمكننى ان افهمه .

دافيز : ولا غيرك يفهمه . (مخفضا صوته— راميا إلى معنى) ومن الممكن أن يصبح أكثر غرابة مما تظنه ،إذا لم نكن حريصين .

جاك : (بارتياب) ماذا تعنى ؟ (يقطع عليهما الحديث دخول دريسكول وكوكى) .

كوكى : (متذمرا) تبالى ،إذا لم أطالب بهذه الساعة من الحراسة خارجا على السطح .

(هو ودريسكول يمضيان ويتناولان قدحيهما) لا أريد أن أصاد فى هذا الجحر إذا ضربنا . (يصب قهوته) .

دريسكول : (صابا قهوته) ان تكون هناك أية أهمية للمكان الذى

ستكون فيه ، وحق الشيطان ستدمر وتتطاير اشلاؤك قبل ان تنبس باسمك (بجلس . واذ يفعل ذلك يقلب قدح القهوة الذى لم يمسه سميتى ونسيه على المقعد . يقفز الجميع فى عصبية لارتطام القدح المصنوع من الصفيح بالارض محدثاً ضوضاء . ينطاق دريسكول فى غضب غير معقول) من هو قصير الذيل القذر الذى ترك هذا القدح فى مكان للجلوس ؟

دافيز : (راكلا القدح عبر العنبر) هل يظن انه جنتلمان ذلك المرذول فلا يضع قدحه بعيدا كبقيتنا ؟ اذا كان يظن هذا فانى انا الفتى الذى سيطرد تلك الفكرة من رأسه .

كوكى : انه يتعاظم حتى انك لتظنه أمير ويلز . انا أسألكم ، ماذا يفعل على ظهر السفينة ؟ انه ليس بحارا ذا كفاءة حقيقية على الاطلاق ، أليس كذلك ؟ انه يتبختر على ظهر السفينة كأنه دجاجة مقطوعة الرأس !

جاك : (فى دماثة) أوه ، الدوق على ما يرام . لنفرض انه فعلا نسى قدحه ــ ما أهمية ذلك ؟ (يلتقط القدح ويضعه جانبا ــ بابتسامة فاترة) يادريسك ، ان مسألة منطقة الحرب هذه اثارت اعصابك .

واعصابك انت ايضا يا كوكي – وأنا نفسى ، لست مسرورا بها كثيرا .

كوكي : (متنهدا) تبالى ، انه ليس من المزاح أن تعرف ، فى أول رحلة لك ان تحت قدميك الجميلتين سفينة مليئة بالقنابل معرضة للانفجار سواء ضربنا بطوربيد او بلغم ، كما تقول (بوحشية مفاجئة) وبعد ذلك يسمون انفسهم بشرا ، اولئك الملاعين !

دريسكول : (مكتئبا) انها رحلتى الاخيرة فى المنطقة الدامية ، كان الله فى عونى ، وليأخذ الشيطان الخمس والعشرين فى المائة ، مكافأتهم – فربما خرجت من الصفقة غارقاً كفأر فى مصيدة .

دافيز : ما كانت لنكون على هذا القدر من السوء لو لم تكن محملة بالذخائر . إنها من النوع الذى تتربص له الغواصات .

دريسكول : (منفعلا) وحق السماء ، لا تتكلم عن ذلك . انا سقيم من جراء التفكير والقفز عند كل ضجة ولو كانت ضئيلة . (برهة صمت يحملق الجميع خلالها فى كآبة إلى الارض) .

جاك : هاى ، يا دافيز ، ما الذى كنت تقوله عن سميثى عندما اقبل كوكي ودريسكول داخلين ؟

دافيز : (محيطا نفسه بقدر كبير من الغموض) سأخبرك

بعد دقيقة ، فانى اود الانتظار لأرى ما اذا كان عائدا . (بلهجة مؤثرة) ان تقول عنه انه على ما يرام عندما تسمع منى ما رأيته بعينى رأسى . (يضيف وقد بدت عليه سيماء الرضى) وان تحس بمزيد من الأمن . (ينظر اليه الجميع بنظرات حائرة مفعمة بخشية مبهمة) .

دريسكول : لعنة الله على ذلك ! (يحشو غليونه ويشعله . فيفعل الآخرون مثله ، كأنما قد تذكروا شيئا قد نسوه . يدخل سكوتى) .

سكوتى : (بلهجة مرتعبة) ان الليل فى الخارج وضاء مثل النهار !

دافيز : (بنبرات خفيفة) أين سميتى . يا سكوتى ؟

سكوتى : فى الخارج على ظهر السفينة يتطلع إلى القمر ، كرجل شبه مخبول .

دافيز : هل يمكنك رؤيته من الباب ؟

سكوتى : (يذهب الى الباب ويتطلع خارجاً بحذر) أجل ، انه ما زال هناك .

دافيز : راقبه لحظة . عندى شئ أريد آن اقوله للفتيان ، ولا

أريده ان يدخل وأنا أتكلم . نبهنا بصيحة اذا بدأ يمشي إلى هنا .

سكوتى : (بانفعال مكتوم) أجل ، سأراقبه . وعندى انا شخصيا شيءٌ أقوله عن فخامته .

دريسكول : (فارغ الصبر) قولا ما عندكما ! انكما تتكلمان أكثر من إمرأتين عجوزين واقفتين فى الطريق لا تتقدمان خطوة .

دافيز : اسمعوا ! أتذكر عندما ذهبت لاحضار التمهوة يا جاك ؟

جاك : بالتأكيد ، أذكر .

دافيز : حسنا ، لقد أحضرتها هنا ، إلى أسفل ، كالمعتاد . وكنت قد وصلت إلى هذا الباب عندما رأيته .

جاك : سميتى ؟

دافيز : أجل سميتى ! كان واقفا هناك فى وسط العنبر (مشيرا) متطلعا كالمتلصص إلى ايفان وسوانسون والباقين ، كما لوكان يريد أن يتأكد من أنهم نيام. (يصمت راميا إلى معنى ومتطلعا إلى الواحد تلو الآخر من سامعيه ، بينما يوزع سكوتى انتباهه فى عصبية ما بين سميتى على السطح فى الخارج وبين

حكاية دافيز . متلهفا كل اللهفة لأن يتدخل فى الحديث مدليا باكتشافاته .)

جاك : (وقد عيل صبره) وماذا فى الأمر ؟

دافيز : اسمع ! كان يقف هناك بالضبط — (مشيراً مرة أخرى) مرتديا جوربه — بغير حذاء فى قدميه ، انتبهوا لى ، حتى لاتحدث أية جلبة !

جاك : (يبصق متأففا) أو !

دافيز : (غير مكترث بالمقاطعة) ادركت فى الحال ان ثمة شيئا يدعو للريبة، فانسحبت إلى الممر حيث يمكننى أن أراه ولا يرانى . بعد أن تأكد من أنكم جميعا نائمون دخل تحت الاسرة هناك — حذرا لئلا يثير جلبة ، انتبهوا لى ! وأخرج حقيبته (كل واحد منهم بما فيهم جاك ، يصغى فى هذه المرة مبهور الانفاس إلى حكايته) ثم بحث فى جيبه وأخرج حزمة من المفاتيح وركع إلى جانب الحقيبة وفتحها.

سكوتى : (غير قادر على البقاء صامتا أكثر من ذلك) تبالى او لم أكن قد رأيته يفعل الشئ ذاته بهاتين العينين . لقد حدث ذلك فى اللحظة التى استيقظت فيها ومضيت أراقبه .

دافيز : (دهشا ، ومغتاظا بعض الشئ اذ اقتضى الأمر أن يشاركه آخر فى حكايته) أوه ، لقد رأيته أيضا ،

هيه ؟ (إلى الآخرين) اذن سكوتى يمكنه ان يقول لكم ما اذا كنت اكذب أم لا .

دريسكول : وماذا فعل عندما فتح الحقيبة ؟

دافيز : انحنى ومد يده بنوع من الخوف كما لو كان يبحث عن شئ خطر ، وأجال يده تحت ملابسه متحسسا فى كل اتجاه . كان الشئ مخبوءا تحت ملابسه وملفوفا فيها — واخرج صندوقا حديديا أسود !

كوكى : (ناظرا حوله فى خوف) لعنة الله على ! (الاخرون بالمثل يكشفون عن عدم ارتياحهم ، ناقلين ارجلهم من مكان إلى آخر بعصبية) .

دافيز : أليس ذلك صحيحا ، يا سكوتى ؟

سكوتى : صحيح كل الصحة ، أقول لكم !

دافيز : (الى الآخرين بروح من الرضـــا) تفضلوا ! (مخفضا صوته) وبعد ذلك ماذا تعتقدون انه فعل ؟ تسلل إلى سريره ودس الصندوق الأسود تحت

حشيته ـــ تحت حشيته . انتبهوا لى !

جاك : وهل هو هناك الآن ؟

دافيز : بالطبع ، هناك . (يهم جاك بالانطلاق نحو سرير سميتى . يجذبه دريسكول من ذراعه .)

دريسكول : لا تلمسه يا جاك !

جاك : لست بحاجة إلى القلق . لن ألمسه . (يرفع حشية سميتى وينظر مطرقا . يحدق الآخرون اليه حابسين أنفاسهم . يستدير إليهم محاولا بمشقة أن يبدو على صوته عدم الاكتراث) انه هناك ، بخير .

كوكى : (فى اضطراب بائس) سأقفز خارجاً إلى السطح . (ينهض ولكن دريسكول يجذبه ليجلس من جديد . يحتج كوكى) ان الجلوس ساكنا فى الداخل هنا يثير الرعدة فى حقا .

دريسكول : (باحتقار) هل أنت خائف أيها الضفدع ؟ انه لشئ لعين بالنسبة للرجال البالغين ان يرتعدوا كالاطفال ازاء صندوق أسود صغير . (يحك رأسه فى ارتباك وانزعاج) ما زال مظهره يبدو غريبا ، لعنة الله عليه .

دافيز : (منهمكا) صندوق أسود صغير ، ايه ؟ الى اى حد تعتقد انها كبيرة — (يتردد) — أيجب ان تكون الاشياء — كبيرة كهذا العنبر ؟

جاك : (بصوت عنى به ان يكون مطمئنا) أو ، ياللجحيم ! أراهن انها ليست سوى بضعة نقود ادخرها ووضعها هناك .

دافيز : (باحتقار) هذا على الأرجح ، أليس كذلك ؟ اذن لماذا يتصرف على هذا النحو الغريب ؟ لقد كان على ظهر السفينة حوالى عامين ، أليس كذلك ؟ انه يعلم جيدا انه ليس ثمة لصوص فى هذا العنبر ، أليس كذلك ؟ وانت تعرف كما أعرف انا انه لم تكن لديه نقود عندما جاء إلى السفينة،وانه لم يدخر شيئا منذ ذلك الوقت . ألا تعرف ذلك ؟ (جاك لا يجيب) اسمعوا ! هل تعرفون ماذا فعل بعد أن وضع ذلك الشئ تحت حشيته ؟ وسيخبر كم سكوتى ما إذا كنت لا أقول الصدق . نظر من حوله ليرى ما اذا كان ثمة أحد قد استيقظ .

سكوتى : لقد أغلقت عينى عندما تلفت حوله .

دافيز : ثم زحف إلى سريره واغلق عينيه وبدا يغط متظاهرا انه نائم ، انتبهوا لى !

سكوتى : أجل كنت اسمعه .

دافيز : وعندما ذهبت لايقاظه لم أهزه قط : قلت له فحسب ، « دقت الثامنة ، يا سميتى » وفى صوت يكاد يشبه الهمس ، واذ به ينهض متثائبا ومبالغا فى التمطى كما لو كان فى سبات عميق .

كوكى : لعنه الله !

دريسكول : (هازاً رأسه) الأمر يبدو سيئاً . انه الشيطان لاشك فى ذلك .

دافيز : (منفعلا) والآن ، لقد تذكرت الأمر ، هاهى الكوة . كيف حدث لها أن فتحت ، خبرونى ؟ اعرف جيداً أن بول لم يفتحها قط . ألا يتذمر دائماً من أنه يحس بالبرد ؟

سكوتى : الرجل الذى فتحها لم يكن يقصد خيراً لهذه السفينة ، أياكان هو .

جاك : (بمرارة) أية كوة ؟ ماالذى تتكلمون عنه ؟

دافيز : (مشيراً إلى أعلى سريربول) هناك . لقد كانت مفتوحة عندما دخلت . أحسست بالهواء البارد على عنقى فاغلقتها . كانت ستبدو وضاءة كمنارة لأية غواصة مترقبة — ونحن مفروض أن نغطى كل

المنافذ . من عساه يأتى خدعة قذرة مثل تلك ؟ إنه ليس واحدا منا ، لاسكوتى هنا ، ولاسوانسون ولا ايفان . من عله يكون ، إذن ؟

كوكى : (غاضبا) لابد أنه صاحب الفخامة اللعين.

دافيز : على قدر علمنا لابد أنه كان يرسل إشارات به : إنهم يفعلون ذلك . هكذا،باضاءة واطفاء ضوء : ألم تقرأ كيف يقبض عليهم وهم يفعلون ذلك فى لندن وعلى الساحل ؟

كوكى : (شديد الاقتناع الآن) وماذا يفعل وحيداً فى الخارج على السطح — يخفى نفسه عنا كما لوكان خائفاً ؟

دريسكول : راقبه ، ياسكوتى .

سكوتى : مامن حركة بدرت منه فى الخارج.

جاك : (فى ارتباك مفتعل) لكن ، يا للجحيم ، أليس انجليزيا ؟ ماذا عله يريد ؟

دافيز : انجليزى ؟ كيف تعرف أنه انجليزى؟ ألأنه يتحدث الإنجليزية ؟ ذلك ليس دليلا . ألم تقرأ فى الصحف كيف أن هؤلاء الجواسيس الألمان الذين يمسكونهم فى انجلترا سبق لهم أن عاشوا هناك لمدة عشرسنوات

عادة ، ان لم يكن لمدة عشرين سنة ، ويتكلمون الإنجليزية بالطلاقة التى يتكلم بها أى أحد ؟ اسمع ، ألم تلاحظ أنه لايتكلم بلهجة طبيعية ؟ إنه يجيد الكلام بها جدا ، ذلك ماأعنيه . إنه لايتكلم كابن بلد تماما ، هل يفعل ياكوكى ؟

كوكى : ليس كأى من أولاد البلد الذين التقيت بهم .

دافيز : كلا ، وهو لايتكلمها مثلنا ، ذلك مؤكد . وهو لايبدو انجليزيا . وما الذى تعرفه عنه ، عندما تمعن النظر فى الأمر ؟ لاشىء ! انه لم يقل قط من أين جاء ولالماذا أتى . كل الذى نعرفه أنه التحق بهذه السفينة فى لندن منذ حوالى سنة قبل أن تبدأ الحرب كبحار لائق — إنه سرق أوراقه على الأرجح — فانه لايعرف كيف يضع البوصلة فى الصندوق إلا بصعوبة . أليس ذلك غريبا فى حد ذاته ؟ وهل كان صريحاً معنا قط كرفيق طيب ؟ كلا ، لقد أحاط نفسه على الدوام بجو من الدهاء كما لو كان يخفى شيئا .

دريسكول : (ضاربا فخذه — غاضبا) فليأخذنى الشيطان لولم أكن أعتقد أنك صادق فيما تقول ، يا دفيز .

كوكى : (باحتقار) أما وأنه يحيط نفسه بأجواء سخيفة ، كلها ، فانه ابن ايرل لعين أوشىء من هذا القبيل !

دافيز : والإسم الذى يسمى نفسه به ـ سميث ! اننى أقامر بجنيه من أول أجر سأقبضه على أن اسمه الحقيقى هو شميدت ، لوعرفت الحقيقة .

جاك : (من الواضح أنه فى صراع مع اعتقاده الخاص) أو ، مرحى ، انكم أيها الفتيان تسببون لى ألما ! ما الذى يريدونه من وضع جاسوس على هذاالقارب العتيق ؟

دافيز : (هازا رأسه بحكمة) انهم ذوو دهاء ، وهناك كثير من الأشياء التى يراها البحار فى الموانى التى يرسو بها مما لابد أن يكون مفيداً لهم . وقد يمكنه أن يرسل إليهم اشارات فيدمروننا فان ثمة سفينة ستنقص ، أليس كذلك ؟ (مخفضا صوته مشيراً إلى سرير سميتى) وقد يدمرنا هو بنفسه .

سكوتى : (بنبرات مفزعة) صه ،هاهو قادم! (يهرع سكوتى ويصعد إلى سريره ويجلس . يخيم صمت ثقيل على العنبر ،وينظر الرجال إلى بعضهم البعض بنظرات قلقة . ويدخل سميتى ويجلس إلى جوار سريره . يبدو عليه أنه غير متنبه إلى نظرات الارتياب السوداء المصوبة اليه من كل الجوانب . يدفع يده إلى حشيته ، وتتحرك أصابعه متحمسة للتأكد من أن الصندوق

ما زال فى موضعه . يتتبع الآخرون هذه الحركة بعنـاية بنظراته سريعة من مؤخر عيونهم . تتوتر مواقفهم كما لو كانوا على وشك ان ينقضوا عليه . يسحب سميتى يده ببطء بعيداً عن الصندوق ويتنهد بارتياح وقد اقتنع بأن الصندوق فى أمان).

سميتى : (بعبارة عرضية ولكنها تبدو لهم شريرة) إنها ليلة جيدة الضوء بالنسبة إلى الغواصات ، لو كان ثمة واحدة من حولنا . (يجلس لحظة محدقا أمامه . فى النهاية يبدو أنه أحس بجو العنبر المعادى ويجيل بصره من واحد إلى آخر فى دهشة . يتحاشى الجميع عينيه . يتنهد وقد ارتسمت عليه سيماء الحيرة وينهض يمشى خارجا من الباب . يخيم الصمت لحظة عقب خروجه ثم تنطلق من عقالها عاصفة من الكلام الثائر) :

دافيز : هل رأيتموه يتحسس ما إذا كان الصندوق فى محله ؟

كوكى : انه ليس ماكراً بحديثه عن المغواصات ، لعنه الله عليه !

سكوتى : هل رأيتم نظراته المتلصصة الينا ؟

دريسكول : إذا كنت قد رأيت فى حياتى خزيا أسود يلوح على وجه رجل فقد كان وجهه هو عندما جلس هناك ! .

جاك : (مقتنعا تمام الاقتناع فى النهاية) لقد بدا لى شريراً. إنه غشاش ، كل الغش .

دافيز : (منفعلا) ماذا سنفعل ؟ علينا أن نفعل شيئاً سريعا والا — (يقاطع بصوت شيء يرتطم بالجانب الأيسر من العنبر ارتطامة بطيئة ثقيلة . يهب الرجال واقفين على أقدامهم وقد اتسعت عيونهم رعبا ويستديرون كما لو كانوا سيندفعون إلى السطح . يقفون على هذا النحو لحظة مفعمة بالتوتر وقد كادوا يكتمون أنفاسهم ، وهم يرهفون السمع ارهافا شديداً) .

جاك : (بابتسامة سقيمة) يا للجحيم ! انها مجرد قطعة طافية من الخشب أوكتلة سائبة . (يعود إلى الجلوس من جديد) .

دافيز : (متهكما) أو لغم لم ينفجر — هذه المرة — أو قطعة من حطام سفينة بعثوا بها إلى دافر جونز.

كوكى : (ماسحا حاجبيه بيد مرتعشة) لعنة الله على ! يغوص إلى الخلف خائراً فى أحد المقاعد) .

دريسكول : (غاضبا) فلينسفنا الله ! ما من رجل يستطيع أن يصبر على مثل هذا أبدا — وأنا لست ممن يخشى أى شيء أو أى رجل فى العالم يقف أمامى وجها لوجه . ولكن هذه المخاتلة الشيطانية فى الظلام — (يندفع إلى سرير سميثى) سآتى به خارجا من أحد الكوات وانتهى منه (يمد يده إلى الحشية) .

سكوتى : (جاذبا ذراعه — بعنف) هل انت مخبول ، أيها الرجل ؟

دافيز : لاتتصرف به تصرف القرود ، يادريسك . أنا أعرف ماذا نفعل . احضر دلو الماء هنا يا جاك . هلا سمحت ؟ (يحضره جاك إلى دافيز) وانت يا سكوتى انظر ماإذا كان قد عاد إلى السطح .

سكوتى : (يطل خارجا بحذر) نعم أنه جالس هناك عند الركن

دافيز : ارفع عقيرتك بالغناء لوأتى بحركة ، يادريسك ، ارفع الحشية بحذر ، الآن ! (يفعل دريسكول ذلك بمنتهى الحذر) ياجاك اخرجه — بحذر — بحق المسيح ، لاتهزه الآن ! هوذا — ضعه فى الماء — فى رفق ! هوذا ، هكذا يوضع الأمر فى نصابه ! . (يجلس الجميع ، وتند منهم تنهدات ارتيـــاح كبيرة) سيدخل الماء فيه ويفسد .

دريسكول : (ضاربا دافيز على ظهره) إنه عمل طيب منك يا دافيز ، ياقصير الذيل ! (يبصق على يديه على نحو عدوانى) والآن ما الذى يجب أن نعمل مع ذلك الخائن ، أسود القلب ؟

كوكى : (بلهجة عدائية) اعطه لكمة فى فمه والق به فى اليم .

جاك : أو ، اسمعوا ، اعطوه فرصة . لايمكنكم اثبات شيء إلى أن تتبينوا مابداخله .

دريسكول : (وقد حمى غضبه) هل انت بحاجة إلى مزيد من الأدلة بعد ما رأيناه وسمعناه؟ إذن اصغ إلى — إنه أنا دريسكول الذى يتكلم ، لوكان ثمة شيء شيطانى فى ذلك الصندوق ورأينا بوضوح ان خطته كانت قتل زملائه على السفينة فان جزاءه سيكون ذلك — (يرفع قبضته) سانتزع قلبه النتن بيدى وألقى به من جانب السفينة وعند الصباح سيكون هناك رجل ناقص .

دافيز : لقد أصبت . انه من النوع الرقيق الذى يقدم على الانتحار.

كوكى : انهم يشنقون الجواسيس على الشاطىء.

جاك : (مستاء) لوكان قد ارتكب ما تعتقدونه ساقتله بنفسى . هل يكفيكم هذا ؟

دريسكول : (مطلا بنظرة إلى الصندوق) انى أتعجب كيف سنفتح هذا ؟

سكوتى : (من الباب محذراً) إنه ينهض واقفا .

دافيز : سننتزع منه مفاتيحه عندما يدخل. بسرعة يادريسلك! إذهب انت وجاك إلى جوار الباب وامسكا به . (يمضى كل منهما إلى أحد جانبي الباب . يخطف دافيز لفة صغيرة من الحبال من أحد الأسرةالعلوية) هذا سيكفيني انا وسكوتى لنوثقه به .

سكوتى : لقد استدار متجهاً الينا — إنه قادم ! (يبتعد من الباب) .

دافيز : قف جانبا لمد يد المعونة ، ياكوكى .

كوكى : سمعا . (واذ يدخل سميتى العنبر يمسكون به بخشونة من كلا جنبيه ويوثقون ذراعيه خلفه . يقاوم سميتى فى البداية بعنف ولكنه اذ يحس عدم جدوى المقاومة يستسلم ويذعن ويسمح لدافيز وسكوتى بربط ذراعيه) .

سميتى : (عندما ينتهيان — يقول باحتقار وبرود) إذاكانت

هذه دعابة فانى أعترف أنها ثقيلة لاأستطيع أن أستمتع بها .

كوكي : (غاضباً) اقفل فمك . سامع !

دريسكول : (بخشونة) مستبين أنه ليس مزاحا، يا صعلوكي قبل أن نكون قد إنتهينا منك . (إلى سكوتى) ابق عينيك مفتوحتين ياسكوتى ، وارفع عقيرتك بالغناء إذا ما قدم أحد (يعود سكوتى إلى مكانه عند الباب) .

سميتى : (بنفس الاحتقار) لو تفضلتم بشرح .

دريسكول : (فى سورة من الغضب) أتقول ، بشرح ؟ انك انت الذى ستقوم بالشرح — وبسرعة شيطانية والا سنعرف السبب . (إلى جاك ودافيز) احضراه هنا ، الآن (يدفعان سميتى إلى الدلو) انظر ، أيها القاتل القذر . هل تراه ؟ ينظر سميتى مطلا وقد ارتسم عليه تعبير من الدهشة الى تتحول بسرعة إلى تعبير من القلق) .

دافيز : (بسخرية) انظروا إليه ! أمندهش أنت ؟ ألست كذلك ؟ لو كنت تريد أن تتجسس علينا تجسسك القذر فمن الأفضل لك أن تنهض فى الصباح فى وقت أكثر تبكيراً .

كوكى : لقد طننت انك ثعلب ماكر ، أليس كذلك ؟

سميّى : (محاولا أن يكبح غضبه المتزايد) ماذا — ماذا تعنون ؟ ذلك مجرد — كيف تتجاسرون — ماذا تفعلون بممتلكاتى الخاصة ؟

كوكى : (متهكما) هو ، أجل ! ممتلكاتك الخاصة !

دريسكول : (صائحا) ماهذا أيها الخنزير ؟ هلا أخبرتنا بصراحة، ماهذا ؟

سميّى : (عاضا شفتيه — ممسكا بزمام نفسه بجهد كبير) لاشيء سوى — ذلك شأنى أنا . من فضلكم عليكم أنفسكم .

دريسكول : أوهوه،إنه شأنك أنت ، أحقا هذا ؟ (ملوحاًبقبضته فى وجه سميّى) تكلم برفق لوكنت تعرف ماهو أفضل لك . إنه شأنك حقا ! إذن سنجعله شاننا نحن ، على ما أعتقد . (إلى جاك ودافيز) خذا مفاتيحه منه،وسنرى ماإذا كان مفتاح منها يفتح الصندوق . (يشرعان فى تفتيش سميّى ، الذى يحاول أن يقاوم ويركل الدلو . يقفز دريسكول إلى الأمام ويعاونهما على دفعه بعيداً) حاول أن تركله لتقلبه ، هلا فعلت ؟ هل رأيتموه إذن ؟ يحاول

أن يقتلنا جميعاً ، قصير الذيل! خذ هذا الدلو بعيداً عن طريقه ياكوكى . (يجاهد سميثى بكل قوته ويبقيهم مشغولين بضع ثوان . وإذ يجذب كوكى الدلو يقوم سميثى بمحاولة أخيرة فيندفع إلى الإمام ويطوح ساقه ليركل الدلو ولكنه لاينجح إلاف إصابة كوكى فى قصبـة رجله . يلقى كوكى الدلو على الأرض فوراً فى جلبة ويشرع فى القفز حول العنبر ممسكا بركبته بكلتا يديه ، متأوها ومطلقاً اللعنات) .

كوكى : أو وو ! سحقا لى ! لقد ركلنى ، لقد فعل ! الكلب الكريه المرذول النتن السمج ! (مقتربا من سميثى ، الذى كف عن العراك وجذب إلى الخلف ليلصق بالحائط على مقربة من الباب ،وقد أمسك به جاك ودافيز من جانبيه ــ مغتاظا بأعلى صوته) أتركلنى ، أتركلنى انت ؟ سأريك ما تستحقه عن تجسسك المرذول ! (يشد قبضته . يدفعه دريسكول جانبا) .

دريسكول : اغلق فمك ! هل تريد أن توقظ السفينة كلها ؟ (ينسحب كوكى متمتما إلى أحد المقاعد معنيا بقصبة رجله الموجعة) .

جاك : (آخذاً حزمة صغيرة من المفاتيح من جيب سميى)
هاهو طلبك ، يا دريسك .

دريسكول : (آخذا إياها) سرعان ما سنعلم . (يأخذ الدلو ويجلس واضعاً اياه بين قدميه. يحاول سميّى من جديد أن يفلت ، ولكنه جد متعب فيسهل رده لقاء الحائط)

سميّى : (متنفسا بصعوبة؛ وقد شحب وجهه كثيرا) جبناء!

جاك : (متمتما) إحذر من الكلام الخشن ، سامع !
ذلك لاينفع في شيء .

دريسكول : (ناظراً إلى القفل على الصندوق الذى فى الماء متفحصاً المفاتيح فى يده) هذا هو على ما اعتقد.
(ينتقى واحداً ويدس يده بحذر فى الماء) .

سميّى : (وقد تجهم وجهه غضبا — يقول بغصة) لاتفتح ذلك الصندوق ، يادريسكول . إذا فعلت فسأقتلك بعون الله ، ولو اقتضى الأمر شنقى جزاء ذلك .

دريسكول : (متوقفا — ويده فى الماء) عندما أفتح هذا الصندوق لن أكون أنا الذى سأقتل ، يا فتاى المشرق ! أنا لست جاسوسا قذراً .

سميّى : (يضطرب صوته غضبا ، وعيناه مثبتتان على يد

دريسكول) جاسوس ؟ ،االذى تتحدث عنه ؟
لقد وضعت ذلك الصندوق هناك حتى يمكننى أن
أبادر إلى أخذه فى حالة ما إذا ضربنا بالطوربيد .
هل أنتم جميعاً مجانين ؟ هل تعتقدوو اننى ...(مختنق
الصوت) أيها اللئام الأغبياء ! أيها الحمقى الجبناء!
(يطبق دافيز يده على فم سميتى) .

دافيز : بحسبك ذلك .(يتناول دريسكول الصندوق الذى يقطر منه الماء ويشرع فى أن يولج المفتاح فى قفله. يقفز سميتى إلى الأمام غاضبا ، وقد كاد يفلت من قبضتهما ويجرهما فى أثره نصف الطريق عبر العنبر)

دريسكول : امسكاه أيها الشيطانان ! (يرد الصندوق إلى الماء ويقفز إلى معاونتهما . يحوم كوكى حول المعركة غير ناس الركلة التى تلقاها) .

سميتى : (ثائراً) أيها الجبناء ! لعنة الله عليكم ! أيها اللئام القذرون ! (يلقى به إلى الأرض ويمسك به) أيها الجبناء ! أيها الجبناء !

دريسكول : سأغلق لك فمك القذر.(يذهب إلى سريره وينتزع ربطة كبيرة من الخرق البالية ويعود إلى سميتى) .

سميتى : أيها الجبناء ! أيها الجبناء !

دريسكول : (يصفع سميتى فى عنف بالحرق على فمه) ذلك سيعلمك ألا تنادى رجلا بغير اسمه، أيها الماكر. هل لديك منديل يا جاك ؟ (يناوله جاك واحداً فيربطه بإحكام حول رأس سميتى فوق ربطة الحرق البالية) ذلك سيوقف ثرثرتك . أوقفاه الآن ، واربطا قدميه أيضاً ، حتى لايتحرك . (يفعلان ذلك ويتركانه وظهره إلى الحائط إلى جوار سكوتى ثم يجلسون جميعاً بجوار دريسكول الذى يرفع الصندوق مرة أخرى من الماء ويضعه بعناية على ركبتيه . يلتقط المفتاح ثم يتردد جائلا ببصره من واحد إلى آخر حائراً) من الأفضل أن نأخذ هذا إلى الربان ، هل تعتقدون ذلك ، ربما ؟

جاك : (منفعلا) فليذهب الرجل العجوز إلى الجحيم . هذه لعبتنا نحن، ويمكننا أن نلعبها بغير عون من أحد !

كوكى : أقول لكم لاضباط ملاعين !

دفيز : انهم سيأخذون كل الغنم ويصنعون من أنفسهم أبطالا فحسب .

دريسكول : (بجسارة) فلنمض ، إذن ! . (يدير المفتاح ببطء فى القفل . يستدير الآخرون مبتعدين بحركة غريزية . يدفع دريسكول الغطاء بحذر إلى الوراء

على محوره وينظر إلى مايراه بداخله وقد ارتسم عليه تعبير من الدهشة المفعمة بالحيرة . يتجمع الآخرون مقتربين . حتى سكوتى يترك مكانه ليلقى نظرة) ماذا فى الأمر ، يادافيز ؟

دافيز : (حائرا) يبدو الأمر مضحكا ، أليس كذلك ؟ شيء مربع مربوط فى كيس من المطاط. ربما كان ديناميتا — أو شيئا ما — لايمكنكم أن تعرفوا .

جاك : أو ، . . انه ليست له آلات ، ولذلك فهو ليس قنبلة . انى أراهنك .

دافيز : (بارتياب) حقا إنهم يصنعونها على شتى الأصناف.

جاك : افتحه . يا دريسك .

دافيز : بحذر الآن ! (يتناول دريسكول كيسا مطاطيا أسود يشبه كيس تبغ كبير الحجم من الصندوق ويفك الخيط الملفوف باحكام حول قمته . يفتحه ويخرج ربطة صغيرة من الرسائل لفت بخيط أيضاً. يقلب هذه الربطة بين يديه وينظر إلى الآخرين متسائلا) .

جاك : (بابتسامة فاترة عريضة) مجرد خطابات ! (ضاربا دافيز على ظهره) انت شيرلوك هولمز

لعين . أليس كذلك ؟ وانى أراهنك أنها خطابات من حبيبته . فلنطلق سراح الدوق ، ماقولكم ؟
(يشرع فى النهوض)

دافيز : (ملزما إياه حده بنظرة مفعمة بالاحتقار) لاتكن على هذا الحد من الذكاء اللعين ، ياجاك . تقول خطابات كما لو لم يكن فيها أى ضرر قط . كيف تعتقد ان الجواسيس يحصلون على أوامرهم ويرسلون ما يكتشفونه، مالم يكن ذلك بواسطة الخطابات أو أشيـــاء من هذا القبيل . هناك كثير من الخطابات أسوأ من أية قنبلة .

كوكي : تماما ! انها ليست على القدر من البراءة الذى تبدو عليه . يمكننى أن أقسم على ذلك ، عندما تقرأونها . (مشيراً إلى سميثى) إنها ليست خطابات صاحب الفخامة اللورد التى يمكن أن تكون بريئة ، بأى حال من الأحوال !

جاك : (جالسا من جديد) حسنا ، اقرأوها وتبينوا الأمر . (يبدأ دريسكول فى حل الربطة . تند من سميثى أنة غضب واحتجاج مكتومة) .

دافيز : (بلهجة الانتصار) تفضلوا ! اصغوا إليه ! انظروا إليه

وهو يحاول الفكاك ! أليس ذلك دليلا كافيا ؟ إنه يعرف جيداً أننا نكشفه . اصغوا إلى ! تقول خطابات غرامية يا جاك ، كما لولم يكن فى الإمكان أن تؤذى اطلاقا . اسمعوا ! لقد كنت اقرأ فى مجلة بنيويورك منذ أسبوعين فحسب كيف أن أحد الجواسيس الألمان فى باريس كان يكتب خطابات غرامية إلى إحدى الجاسوسات فى سويسرا ،وكانت هذه ترسلها بدورها إلى برلين ، فى ألمانيا . إذا ما قرأتموها لايمكنكم أن تشتبهوا فى شيء —لاشيء على الإطلاق. (بلهجة مؤثرة) ولكن لهم طريقة فى كتابتها — طريقة خفية لعينة . كانت لديهم قطعة من الورق غير المكتوب وبها أجزاء مقطوعةوعندما يضعونها على سطح الخطاب لايرون إلا الكلمات التى تخبرهم بما يريدون معرفته . ولقدهزم الفرنسيون بسبب ذلك الخطاب .

كوكى : (خائفامضطرباً) لعنة الله على ! يالهم من انذال أذكياء !

دافيز : (وقد رأى أن كل مستمعيه قد أضحوا فى صفة من جديد) وحتى إذا كانت خطاباته تلك تبدوعلى ما يرام فربما انطوت على مايسمونه شفرة .لايمكنكم

أن تعرفوا. (إلى دريسكول الذى قد فرغ من فك الربطة) اقرأ واحدا منها يادريسك . ان عينى ضعيفتان .

دريسكول : (يتناول أولها من مظروفه وينحنى به إلى المصباح. يرفع الذبالة لتعطيه ضوءاً أفضل) اننى لست ماهراً فى القراءة. ولكننى سأحاول. (مرة أخرى تند من سميّى أنة مكتومة وهو يضغط على أغلاله) .

دافيز : (مصغيا إليه فى انتباه) اصغوا إليه ! إنه يعرف. امض ، يادريسك .

دريسك : (وقد قطب جبينه فى تركيز) ان الخطاب يبدأ بالآتى : يا أعز رجل (تعبر عيناه الصفحة إلى أسفلها) ثم هناك كثير من الأحاديث الغرامية ، مخبرة اياه كلم تفتقده الآن ، وقد ذهبت بعيداً إلى مدرسة الغناء — وكيف أنها تأمل أن يستقر فى عمل حقيقى وألا يمضى هائما على وجهه وهى بعيدة عنه كما اعتاد أن يفعل قبل أن تلتقى به — وينتهى بالآتى : « أنا أحبك أكثر من أى شىء فى الوجود. أنت تعرف هذا، أليس كذلك ، ياعزيزى ؟ ولكن قبل أن أوافق على أن أحيا حياتى معك ، يجب أن تثبت لى أن الشبح الأسود — ولن أذكر اسمه

البغيض ولكنك تعرف ماذا أعنى ، الشبح الذى يحطم حياة كلينا — تثبت لى أن ذلك الشبح لم يعد له وجود بالنسبة لك . يمكنك أن تفعل هذا ، أليس كذلك يا عزيزى؟ألاترى أنه يجب عليك أن تفعل ذلك من أجلى ؟ (يصمت لحظة — ثم يضيف بخشونة) إنه موقع : « إديث » (عند سماع هذا الإسم يطلق سميثى ، الذى كان يقف متوتراً مغلق العينين كما لو كان يكابد عذابا مبرحا طوال القراءة— يطلق صوتا مكتوما يشبه النحيب ، ويدير وجهه نصف استدارة إلى الحائط) .

جاك : (مقاطعا إياه بحدة) انظر ! من أين أتى هذا الخطاب ، يادريسك ؟

دريسكول : ليس ثمة عنوان بأعلاه .

دافيز : (راميا إلى معنى) ماذا قلت لكم ؟ انظر إلى ختم البريد ، يادريسك — على المظروف.

دريسكول : الاسم المكتوب هو سيدنى دافيدسون ، مائة و..

دافيز : لا يهم ذلك . بالطبع إنه اسم زائف . انظر إلى ختم البريد .

دريسكول : هناك طابع بريد أجنبى عليه . هذا واضح من النظرة

الأولى إليه . الختم مطموس ولذلك تصعب قراءته.
(يتهجى الحروف بمشقة) بـ ـ ر ـ الحرف التالى
هو ل ، ثم أظن ى ـ ون .

دافيز : (منفعلا) برلين ! ماذا قلت لكم ؟ كنت أعرف أن هذه الخطابات من ألمانيا .

كوكى : (ملوحا بقبضته فى اتجاه سميثى) أيها الكلب القذر ! (ينظر الآخرون إلى سميثى كما لو كانت هذه الحقيقة الأخيرة قد أحاطت به فى نظرهم) .

دافيز : اعطنى الخطاب ، يادريسك . ربما أمكننى أن أفهم شيئاً مامنه (يناوله دريسكول الخطاب) , وامض أنت فى فحص الخطابات الأخرى ، يادريسك . ونبهنا إذا تبينت شيئاً غريبا .(ينكب على الخطاب الأول كما لو كان عازما على أن يكتشف معناه الخفى . يطل جاك وكوكى وسكوتى من خلف منكبيه فى استطلاع متلهف . يخرج دريسكول بعض الخطابات الأخرى ويجيل عينيه بسرعة فى الصفحات ويتطلع بغرابة إلى سميثى من وقت إلى آخر ، ويتنهد مراراً مقطبا فى حيرة) .

دافيز : (غير راض) على أن أسلم بعجزى . إنها جد

عويصة على ، لكننا سنحولها إلى البوليس عندما
نرسو فى ليفربول لفحصها . هذا الخطاب الذى
معى كتب قبل بداية الحرب بعام ، على أى حال .
هل وجدت شيئاً فيما معك ، يادريسك ؟

دريسكول : انها كلها على شاكلة الأول — أحاديث غرامية ، وكيف حال غنائها والأشياء العظيمة التى يقولها المعلم الهولندى عن صوتها ، وكم هى مسرورة أن فتاها سيدنى يعمل بجد صانعا من نفسه رجلا من أجلها . (يدير سميتى وجهه تماما إلى الحائط) .

دافيز : (متأففا) أما لوكانت لدينا الشفرة !

دريسكول : (ملتقطا الخطاب الذى فى القاع) هالو! هاهو واحد معنون على هذه السفينة — مكتوب عليه س.س. جلينكيرن — عندما كنا فى مدينة الكاب منذ سبعة أشهر مضت — (متطلعاً إلى ختم البريد) إنه من لندن .

دافيز : (بلهفة) اقرأه ! (هناك أنة مكتومة أخرى من سميتى) .

دريسكول : (يقرأ ببطء — يزداد صوته خفوتا بينما يمضى فى القراءة) إنه يبدأ باسم سيدنى دافيدسون مجردا — لاعزيزى ولاحبيبى فى هذا الخطاب . « من

مقابلاتك لهاري مصادفة — وقد كنت مخمور — أمكنني أن أعرف عرضاً كيف أصل إليك. إذن فقد هربت إلى البحر جبانا كما كنت لأنك عرفت انني اكتشفت الحقيقة — الحقيقة التي أخفيتها بأكاذيبك الصغيرة الوضيعة طوال غيبتي في برلين، ووثقت فيك ثقة عمياء. حسنا جداً ، هاقد اخترت ولقد أوضحت أن سكرك يهمك أكثر مما يهمك أي حب أو ثقة مني . أنا آسفة لأنني أحببتك ، ياسيدتي دافيدسون — لكن هذه هي النهاية . انني أتركك لك — الذكريات ، وإذا كان ذلك يبعث فيك أي رضاء فانني أتركك لتتبين أنك حطمت حياتي كما حطمت حياتك . ان ماتبقى لي من أمل هو ألا أرى وجهك مرة أخرى في أرض الله قط . مع السلامة . اديث.» (عندما يفرغ — يخيم صمت عميق ، لايقطعه سوى نحيب سميث المكتوم . لايقوى الرجال على النظر إلى بعضهم البعض . يمسك دريسكول بالكيس المطاطي في يده بفتور ويسقط منه شيء صغير أبيض ويقع على الأرض بلا جلبة. بطريقة آلية ينحني دريسكول ويلتقطه وينظر إليه متعجباً) .

دافيز : (في صوت بليد) ماهذا ؟

دريسكول : (ببطء) زهرة صغيرة يابسة — ربما كانت وردة .
(يلقى بها فى الكيس ، ويجمع الخطابات ويردها إلى مكانها . ويعيد وضع الكيس فى الصندوق ويقفله بالمفتاح ويضعه من جديد تحت حشية سميى . يتابعه الآخرون بنظراتهم . يخطو فى هدوء إلى سميتى ، ويقطع الحبال من حول ذراعيه وساقيه بمطواة جيبه ، ويفك المنديل الذى على كمامة فمه . لايستدير سميى بل يغطى وجهه بيديه ويسند رأسه إلى الحائط . تمضى كتفاه فى الارتجاف متشنجة ، ودون أن يصدر عنه أى صوت) .

دريسكول : (يتسلل عائداً إلى الآخرين — تخيم برهة صمت ينتاب فيها كل من الرجال كرب مرده اليأس من العثور على كلمة يمكنه قولها — ثم ينفجر دريسكول قائلا) لعنة الله علينا ، ألا ندخل أسرتنا لنحصل على هنيهة من النوم ؟ (يجفل الجميع كما لو كانوا يفيقون من حلم مزعج ، ويزحفون فى امتنان إلى أسرتهم ، وهم بأحذيتهم وكامل ثيابهم وقد أداروا وجوههم إلى الحائط ، وجذبوا أغطيتهم إلى مافوق أكتافهم .
يمر سكوتى على أطراف أصابعه أمام سميتى

خارجا إلى الظلمة . يخفض دريسكول الضوء
ويزحف إلى سريره بينما)
يسدل الستار



زيت الحيتان

ILE

الشخصيات

Ben	بن ، الغلام القائم على خدمة القمرات
The steward	خادم المائدة
Captain Keeney	القبطان كيني
Slocum	سلوكم، مساعد القبطان
Mrs Keeney	مسزكيني
Joe	جو ، صياد حيتان

أفراد طاقم باخرة صيد الحيتان : ملكة الأطلنطي

Members of the crew of tha steam whaler Atlantic Queen

المنظر : مقصورة القبطان كيني على ظهر سفينة صيد الحيتان « ملكة الأطلنطى » . المقصورة صغيرة مربعة ارتفاعها حوالى ثمانية أقدام ذات كوة فى السقف تنفتح على الجانب الخلفى من سطح السفينة .

وإلى الجانب الأيسر منها — وهو فى نفس الوقت مؤخرة السفينة — شيدت أريكة تبرز من الحائط ، وقد صفت عليها وسائد خشنة . ووضعت أمام الأريكة منضدة . وفى أعلى الأريكة عدد من الكوات المغطاة بالستائر .

فى المؤخرة ، إلى اليسار ، باب يؤدى إلى مخدع القبطان . وإلى يمين الباب بجوار الحائط أرغن صغير تبدو عليه الجدة .

وإلى اليمين ، فى المؤخرة ، صيوان ذو سطح رخامى وضعت عليه سلة نسائية بها أدوات التطريز . ثم إلى الأمام باب موصل إلى السلم الذى يمر بجناح الضباط ويفضى إلى الجزء الرئيسى من سطح السفينة وفى وسط المقصورة مدفأة . ويتدلى من منتصف السقف مصباح . وقد طليت المقصورة باللون الأبيض .

لايبدو على السفينة أى تمايل . ويتسلل من الكوة ضوء باهت سقيم ، يدل على أن ذلك اليوم هو من تلك الأيام الـكئيبة التى يخيم فيها على البحر ، والسماء سكون أشبه بالموت . ولايكفكف من الصمت المخيم إلا وقع أقدام رتيبة لشخص ما يسير جيئة وذهابا على سطح السفينة الخلفى فوق المقصورة. الساعة تقترب من الواحدة ظهر يوم من أيام عام ١٨٩٥ .

وعندما يرفع الستار تمضى لحظة من السكون العميق. ثم يدخل خادم المائدة ويأخذ فى رفع الأطباق القليلة التى تركها القبطان على المنضدة بعد أن فرغ من تناول وجبة غذائه . والخادم رجل مسن ، وخط الشيب شعره . يرتدى سروالا من قماش خشن وقميصا من الصوف ، وغطاء للرأس من الصوف أيضاً يمتد على الجانبين فيغطى أذنيه لتدفئتهما . وتبدو على تصرفاته بوادر الغضب والحنق . يتوقف عن جمع الأطباق ويلقى نظرة سريعة إلى الكوة التى فى السقف ، ثم يمشى على أطراف أصابعه إلى الباب المغلق فى المؤخرة ، ويلصق أذنه على ثقبه مسترقا السمع ، فيتناهى إلى سمعه ما يجعل وجهه يمتقع غيظاً ، فيهمهم بسباب

غاضب . ثم ترتفع جلبة عند المدخل فى الناحية اليمنى ،فيهرول راجعاً إلى المنضدة .

يدخل بن ، وهو غلام مفرط النمو ، بليد الطبع ، ذو وجه ضيق مستطيل . يرتدى قميصا صوفيا ، وغطاء للرأس من الفراء . تصطك أسنانه من البرد ويهرول إلى المدفأة حيث يقف إلى جوارها لحظة وهو يرتعد برداً وينفخ فى راحتيه ويضرب بهما جانبيه ملتمساً بعض الدفء ، وقد أوشكت الدموع أن تذرف من عينيه من قسوة البرد .

خادم المائدة : (وقد بدا الارتياح فى نبراته عندما تبين شخصية القادم) أوه ، هذا انت . مالك تتجول مرتعدا هكذا . إبق بجوار المدفأ فانك لاتقوى على الابتعاد عنها لحظة ، ولن تكون بحاجة إلى الارتعاد بعد ذلك .

بن : ان الجو با — با — بارد . (يحاول التغلب على اصطكاك أسنانه — ثم يقول ساخراً)من كنت تظنه قادما — العجوز ؟

خادم المائدة : (يأتى بحركة تهديد — فيجفل بن مبتعداً) اسكت، أيها الحدث ، وإلا لقنتك درسا .(ثم بلطف) أين كنت طوال الوقت — فى برج المراقبة ؟

بن : أجل .

خادم المائدة : إذا مارآك العجوز فى عل تعابث أفراد الطاقم ستنال علقة لن تنساها بسهولة .

بن : أوه ، إنه لايرى شيئاً .(تبدو آثار الرهبة فى نبراته — ويتطلع إلى أعلى) إنه يمشى جيئة وذهابا فحسب ، دون أن يلحظ أحدا — ويحدق إلى الثلج فى الشمال .

خادم المائدة : (تزحف الرهبة ذاتها إلى نبرات صوته) إنه دائم التحديق إلى الثلوج.(فى سورة غضب مباغتة ، ملوحا بقبضته فى اتجاه الكوة التى فى السقف) الثلوج ،الثلوج ،الثلوج! تباله ،وتبا للثلوج ! انها تحاصرنا منذ عام تقريبا — فلا نرى شيئاً من حولنا سوى الثلوج — لقد انغرسنا فيها كما تنغرس الذبابة فى طبق من العسل !

بن : (موجسا خيفة) هس ! إنه سيسمعك .

خادم المائدة : (ساخطا) ايه ، تبا له ، وتبا للبحار القطبية ! وتبا لسفينته العفنة هذه ، وتبا لى من غبى لإبحارى عليها ! (يهدأ كما لوتبين عدم جدوى انفجاره هذا — هازا رأسه — فى بطء ، بيقين عميق) إنه رجل صلب — أصلب من جاب البحار.

بن : (فى لهجة جادة) أجل .

خادم المائد : ان العامين اللذين وقعنا جميعاً بقبول العمل فيهما معه قد انتهيا اليوم . يا الهى ! عامان من العمل الدنىء دون أن نوفق فى الصيد ، وأفراد الطاقم يكادون يموتون جوعا ،وقد أخذت المؤونةتشح ، وقد دب الفساد إليها ، ورغم ذلك لاتبدر منه بادرة توحى بأنه ينوى العود إلى البر ! (بمرارة) البر ! ان الشك قد بدأ يساورنى فيما إذا كانت قدماى ستطآن البر مر أخرى . (منفعلا) ماذا عساه يظن أنه فاعل ؟ أسيبقينا هنا جميعا ، بعد أن انقضى أجل العقـــد المبرم بيننا وبينه ، حتى يهلك آخر رجل منا جوعا ، أو يتجمد من البرد ؟ ان المؤونة الى بقيت معنا لاتكاد تكفى إلا لعودتنا لو قفلنا راجعين فورًا ! ماذا يعتزم الرجال أن يفعلوا بصدد هذا الأمر ؟ ألم تسمع كلاما ما ، عندما كنت فى برج المراقبة ؟

بن : (يقترب منه — ويقول له فى صوت خافت يكاد يكون همسا) لقد قالوا أنه لو لم يقلع جنوبا عائداً إلى البر اليـــوم فانهم سيعمدون إلى التمرد .

خادم المائد : (راضيا إلى أبعد الحدود) التمرد ؟ أجل ، إنه

الشيء الوحيد الذى يجب أن يفعلوه . عليهم أن يثأروا منه بعد المعاملة التى عاملهم بها —كما لوكانوا أحط من الكلاب .

بن : ان الجليد قد بدأ يذوب فى الجنوب ، حيث يجرى الماء صافيا على مدى النظر . ويقول الرجال أن لاعذر له فى عدم العودة إلى البر.

خادم المائد : (بمرارة) أنه لن يوجه نظره إلا الى الشمال حيث لايرى إلا الثلج . أنه لايريه أن يرى ماء صافيا ، فكل مايفكر فيه هو الحصول على زيت الحيتان— كما لو كان ذنبنا نحن أنه لم يكن موفقا مع تلك الحيتان (هازا رأسه) أعتقد أن الرجل يوشك أن يختل عقله .

بن : (خائفا) أتظن حقا أنه مخبول ؟

خادم المائد : أجل أنه العقاب الذى ينزله الله عليه . أسمعت طوال عمرك بعاقل يفعل مايفعله هذا الرجل ؟ (مشيراً إلى الباب الذى فى المؤخر) من ذا الذى يصطحب زوجته — الى لم يخلق الله أجمل منها — على سفينة صيد عفنة إلى بحار القطب الشمالى لتحاصر بالثلوج الكريهة حوالى عام ، وقد تفقد عقلها إلى الأبد — ومن المؤكد أنها لن تعود إلى حالتها الطبيعية مرة أخرى .

بن : (بحزن) لقد كانت فى منتهى اللطف معى قبل...
(تتسع حدقتاه رعبا) أن تصير — إلى ماهى عليه.

خادم المائدة : أجل ، انها كانت لطيفة معنا جميعاً . ولولا وجودها لاستحالت السفينة إلى جحيم بالنسبة لنا ، فهو رجل قاس — قاس ، قاس إلى أقصى حد — قاس كوقع السياط . (يضحك ضحكة تشفى) آمل أن يكون راضياً الآن — وقد أمعن فى القسوة عليها حتى كادت تفقد عقلها ، ولها العذر فى ذلك . انها لمعجزة إلهية أن السفينة لم يصبح كل من عليها مجانين — والثلوج الملعونة تحيط بنا طول الوقت ، وكذلك السكون الرهيب الذى تخاف ان تسمع فيه حتى صوتك .

بن : (بنظرة خائفة صوب الباب الأيمن) انها لم تعد تتحدث إلى قط وأخذت تقتصر على النظر إلى كما لوكانت لاتعرفنى .

خادم المائدة : انها لا تعرف أحدا — سواه ، ولا تتحدث إلى غيره ولكنها اذا تحدثت اليه أطالت معه الحديث .

بن : انها لا تجد شيئا الآن تقتل به وقتها سوى التطريز طوال يومها — ثم انها تبكى فى وحدتها فى صمت . لقد رأيتها بنفسى .

خادم المائدة : جل ، لقد تناهى إلى سمعى نحيبها من وراء الباب منذ برهة مضت .

بن : (يخطو على اطراف أصابعه إلى الباب وينصت) انها تبكى الان .

خادم المائدة : (حانقا ــ يلوح بقبضته) فليبعث الله بروحه إلى الجحيم ، ذلك الشيطان .

(تسمع جلبة شخص ينزل درجات السلم . فيهرع خادم المائدة إلى اطباقه المكدسة وقد ملأه الخوف اضطرابا ، فيهوى من يده أحد الاطباق ويتحطم على الارض . يتسمر فى مكانه مبهور الانفاس ويرتعد فرقا . أما بن فيمسح الارغن بشدة بقطعة من القماش أخرجها بسرعة من جيبه متظاهرا بأنه منهمك فى العمل . يظهر القبطان كينى عند عتبة الباب الايمن ، ويدلف إلى المقصورة ، خالعا قبعته المصنوعة من الفراء . وهو رجل فى حوالى الاربعين من عمره . يزيد طوله قليلا على الخمسة أقدام . وان كانت قامته تبدو أقصر من ذلك بكثير لفرط ضخامة صدره ومنكبيه بالنسبة لبقية جسمه . ووجهه ضخم ، ارتسمت عليه خطوط غائرة ، وعيناه يختلط فيهما اللونان الازرق والرمادى ،

وتشع منهما الصلابة والقسو ة .وشفتاه رفيعتان مزمومتان بشدة ، وله شعر غزير طويل الخصلات رمادى اللون . يرتدى القبطان سترة زرقاء سميكة ، وقد دس طرفا سرواله الازرق فى حذائيه الثقيلين . يدخل فى اثره مساعده ، وهو رجل فى حوالى الثلاثين من عمره مديد القامة ، ذو وجه نحيل لوحته الشمس . ويشبه رداءه رداء القبطان .)

كيني : (يقبل نحو خادم المائدة — وقد علت وجهه نظرة صارمة ، فيبدو على الخادم الهلع وتصطك الاطباق بين يديه المرتعشتين . يشهر كيني قبضته فى وجه الخادم الذى ينكمش متراجعا ، ثم يخفض قبضته ببطء ، ويتكلم بتؤده) لا جدوى فسوف أكون كمن يسحق دودة هزيلة . ان الساعة تقترب من الثانية ، يا حضرة الخادم ، وهذه المائدة لم تنظف بعد .

خادم المائدة : (متلعثما) حا — حا — حاضر ، يا سيدى .

كيني : بدلا من أن تؤدى عملك على ما يرام نزلت إلى هنا لتضيع الوقت سدى فى الحديث كامرأة عجوز مع مع ذلك الصبي . (موجها الكلام إلى بن بشراسة)

أخرج من هنا ، يا هذا ! اذهب ونظف حجرة الخرائط (يمرق بن من أمام مساعد القبطان خارجا من الباب المفتوح) إرفع هذا الطبق ، يا حضرة الخادم !

خادم المائدة : (يفعل ما أمر به مرتبكا) حاضر ، يا سيدى .

كينى : فى المرة القادمة لو كسرت طبقا آخر فستعلق فى حبل وتدلى إلى البحر لتأخذ حماماً فى مياهه الباردة.

خادم المائدة : (مرتعدا) سمعا وطاعة، يا سيدى. (يهرول خارجا ويقبل مساعد القبطان على القبطان بخطوات وئيدة) .

المساعد : لقد كنت حذرا ألا يتناهى إلى سمع الرجل القائم على عجلة القيادة ما كنت أريد أن أقوله لك ، يا سيدى ، ولذلك رجوتك أن ننزل إلى هنا .

كينى : (وقد عيل صبره) تكلم ، يا مستر سلوكم ، خبرنى ماذا تريد أن تقول .

المساعد : (يخفض صوته رغما عنه) أخشى أن يثير أفراد الطاقم المتاعب كما توحى بذلك الدلائل . ويحتمل أن يتمرد الجميع لو لم تقفل بالسفينة راجعا . فقد انقضى أجل العقد الذى أبرمته معهم اليوم .

كينى : أو تعتقد أنك بهذا، تخبرنى بشئ جديد على ،

يا سيد سلوكم ؟ لقد أحسست أن فى الجو غيما منذ وقت طويل . أتظن أننى لم ألحظ نظراتهم الحاقدة وطريقة التذمر التى يؤدون بها أعمالهم ؟ (ينفتح الباب الخلفى ، وتظهر مسز كينى واقفة عند المدخل وهى امرأة نحيلة ، مليحة الوجه ، ترتدى رداء ، أسود وقورا . وتبدو عيناها محمرتين من فرط البكاء ، ووجهها شاحب باهت . تجيل فى أرجاء الحجرة نظرات خائفة ، وتقف فى مكانها كما لو كان قد سمرها رعب خفى ، وتقبض يديها وتبسطهما بعصبية — يستدير الرجلان وينظران اليها) .

كينى : (برقة مشوبة بالصرامة) حسنا ، ياآنى ؟

مسز كينى : (كما لو كانت تصحو من حلم) دافيد ، أنا .. (تصمت . ويهم مساعد القبطان بالذهاب إلى الباب) .

كينى : (ملتفتا اليه — بحدة) انتظر .

المساعد : أمرك ، يا سيدى !

كينى : هل تريدين شيئا ، ياآنى ؟

مسز كينى : (بعد لحظة صمت ، تبدو فيها كما لو كانت

تحاول جمع شتات أفكارها) لقد اعتقدت ، ربما — يجدر أن أصعد إلى سطح السفينة ، يا دافيد ، لأستنشق بعض الهواء الطلق . (تقف فى مذلة منتظرة الإذن منه . ويتبادل القبطان ومساعده نظرة ذات مغزى) .

كيني : ان الجو شديد البرودة ، يا آنى . ومن الافضل هذا اليوم أن تبقى تحت . ليس ثمة ما يمكن رؤيته من على السطح — سوى الثلوج .

مسز كيني : (ضجرة) أعرف ذلك — ثلوج ، ثلوج ، ثلوج ! ولكن ليس ثمة ما يمكن رؤيته هنا أيضا سوى هذه الحيطان . (تأتى بحركة تنم عن التأفف)

كيني : يمكنك أن تتسلى بالعزف على الارغن ، يا آنى .

مسز كيني : (ببلادة) لقد كرهت الارغن . انه يذكرنى بالبيت .

كيني : (وقد علت صوته رنة من الغضب) ولكنى قد أحضرته خصيصاً لك .

مسز كيني : (ببلادة) أعرف ذلك . (تنصرف عنهما مبتعدة وتسير ببطء إلى الاريكة فى الجانب الايسر . تزيح احدى الستائر وتنظر من خلال احدى الكوات ، ثم تطلق صيحة تنم عن الفرح) آه ،

هذا ماء، ماء صاف ! اينما جلت ببصرك! ما أجمل منظره بعد هذه الشهور الطويلة من الجليد. (تستدير اليهما وقد علا البشر وجهها) آه ، الان يجدر بى أن أصعد إلى السطح لأرى الماء ، يا دافيد .

كينى : (مقطبا) يستحسن ألا تفعلى ذلك اليوم ، يا آنى . الافضل أن تنتظرى يوما آخر حتى تشرق الشمس .

مسز كينى : (بيأس) ولكن الشمس لا تشرق أبدا فى هذا المكان الفظيع .

كينى : (وقد اتخذ صوته لهجة آمره) أقول لك يستحسن ألا تصعدى اليوم ، يا آنى .

مسز كينى : (وقد خارت إزاء هذا الأمر – متذمرة) حسنا جدا ، يا دافيد . (تقف هناك محدقة بنظرات ثابتة فى غير شئ ، كما لو كانت على وشك الاغماء ، فيتطلع اليها الرجلان فى قلق) .

كينى : (بحدة) آنى !

مسز كينى : (ببلادة) نعم ، يا دافيد .

كينى : أنا والسيد سلوكم لدينا بعض المهام نريد ان نناقشها – مهام خاصة بالسفينة .

مسز كيني : حسنا جدا ، يا دافيد .

(تمضي خارجة بخطى وئيدة من الباب الخلفي ، وتترك وراءها الباب مواربا ثلاثة أرباعه)

كيني : اذا كانت ستحدث أية متاعب فمن الأفضل ألا نتركها تصعد إلى السطح .

المساعد : اجل ، يا سيدى .

كيني : والمتاعب ستحدث لا محالة . فأنا أحس فى قرارة نفسي باقترابها (يخرج مسدسا من جيب سترته ويتفحصه) هل تحمل أنت مسدسك ؟

المساعد : أجل ، يا سيدى .

كيني : هذا لا يعنى أنه سيتعين علينا استخدامهما ، فأنا أعرف كيف أربى هؤلاء الكلاب . وانما فقط سنخيفهم بها بعض الشئ . (متجهما) ولا أذكر انه حدث أبدا أن أجبرت على استخدام المسدس ، رغم ما لقيته من متاعب ، سواء على البر أو فى البحر وأنا اعترف لك بأننى لن أنجو من المتاعب حتى يوم مماتى .

المساعد : (مترددا) اذن فلن تقفل — راجعا بالسفينة .

كيني : أقفل راجعا ! يا سيد سلوكم ، هل سمعت عنى

قط أننى أعود إلى البر ولم يتعد ما فى حوزتى اربعمائة برميل من الزيت فقط ؟

المساعد : (على عجل) كلا ، يا سيدى — ولكن المؤونة قد بدأت تشح .

كينى : هناك ما فيه الكفاية للبقاء أمدا طويلا ، اذا كانوا حريصين فى استهلاكها . وهناك القدر الوفير من الماء .

المساعد : يقولون أن المؤونة غير صالحة للأكل — أعنى ما تبقى منها ، وان السنتين اللتين وقعوا بقبول الاشتغال خلالها فى البحر تنتهيان اليوم ، وانه من الممكن ان يثيروا لك المتاعب أمام المحاكم عندما نعود إلى البر .

كينى : ليذهبوا إلى الجحيم ! وليثيروا ما شاءوا من المتاعب القضائية ! أنا لا تهمنى التكاليف والنفقات اطلاقا ، وانما الذى يهمنى هو الزيت . يجب أن أحصل على الزيت . (يحدج مساعده بنظرة جادة) هل انقلبت محاميا فى المنازعات البحرية ، يا سيد سلوكم ؟

المساعد : (وقد احمر وجهه خجلا) لا أبدا ، يا سيدى .

كينى : لماذا يريد هؤلاء الاغبياء العودة إلى ديارهم الآن ؟

ان نصيبهم فى الاربعمائة برميل لن يكفيهم حتى لمضغ الطباق .

المساعد : (ببطء) لابد أنهم يريدون العودة إلى ذويهم وإلى بيوتهم .

كينى : (ينظر اليه نظرة متفحصة) لعلك تريد العودة ، أنت أيضا . (يخفض المساعد بصره مرتبكا ازاء نظرته الصارمة) لا تكذب على ، يا سيد سلوكم . ان ذلك واضحا فى عينيك (بسخرية وحنق) آمل يا سيد سلوكم ، ألا تنضم إلى البحارة ضدى .

المساعد : (باستنكار) ليس من العدل فى شئ ، يا سيدى أن توجه إلى مثل هذا الكلام .

كينى : (راضيا) لم أكن فى خشية من ذلك ، يا توم ، فقد ظللت معى طوال عشر سنوات ، وقد علمتك صيد الحيتان . ولا يمكن لأحد ان يقول أننى لم أكن معلما صالحا ، رغم قسوتى .

المساعد : لم أكن أفكر فى نفسى ، يا سيدى — عندما أشرت الى العودة (بلهجة يائسة) ولكن مسز كينى ، يا سيدى — يبدو كما لو أنها ليست مرتاحة هنا ، كما لو كانت مريضة — بسبب البرد والاخفاق والجليد وكل شئ .

كينى : (متجهم الوجه ــ مؤنبا مساعده ولكن فى غير ما قسوة) هذا شأنى أنا ، يا سيد سلوكم . وسأكون لك شاكرا لو انصرفت عن هذا الموضوع . (برهة صمت) ستذوب الثلوج قريبا فى الشمال . أكاد أرى ذوبانها يبدأ اليوم . وعندما تتلاشى ونحصل على شئ من أشعة الشمس فان آنى سينصلح حالها. (برهة صمت أخرى ــ ثم ينفجر معاودا الحديث) الذى يبقينى فى بحار الشمال ، يا توم ليس طمعى فى المال ، لعنة الله عليه . ولكن لا يمكننى أن اعود إلى هومبورت وليس فى سفينتى سوى أربعمائة برميل هزيل من زيت الحيتان . انى أفضل الموت على ذلك ، فلم أعد أبدا إلى البر طوال حياتى بدون سفينة ممتلئة . أليس هذا حقيقة ؟

المساعد : أجل ، يا سيدى . ولكن فى هذه الرحلة حاصرتك الثلوج ، و..

كينى : (بازدراء) وهل تظن أن أحدا منهم ــ من أولئك الربابنة الذين تفوقت عليهم فى الرحلة تلو الرحلة سيصدق ذلك ؟ ألا يمكنك أن تسمعهم يضحكون ويسخرون منى ــ تيبوتس وهاريس وسيمز والاخرون ــ بل وهومبورت كلها تهزأ منى ؟ وتقول« دافيد كينى .

ياله من دعي ، يتباهى بأنه أمهر ربابنة الصيد فى هو مبورت كلها ، ثم لا يعود الا بأربعمائة برميل تافهة من الزيت ؟ » . (يكاد يودى هذا الخاطر بصوابه ، فيهوى بقبضته فى عنف على سطح الصيوان المرمرى) يا للجحيم ! يجب أن أحصل على الزيت ، أقول لك . ولكن بالله كيف يمكننى أن أعمل وسط هذا الجليد المتراكم . ان الامر لم يصل من قبل الى هذا السوء خلال الثلاثين عاما التى واصلت فيها المجئ إلى هنا للصيد . على أن الجليد قد بدأ الآن يتكسر ، وفى خلال بضعة أيام سيكون كله قد ذاب وتلاشى . وهنا حيتان ، وحيتان كثيرة . أنا أعرف أنها توجد هنا . ولم أخطئ فى ذلك أبدا . يجب أن أحصل على الزيت ! يجب ان أحصل عليه رغم كل الصعاب ! وقسما بالله ، انى لن أقفل عائدا حتى أحصل على كفايتى منه. (يأتى من الباب الخلفى صوت مسز كينى تغالب بكاءها ، فيخلد الرجلان إلى الصمت برهة منصتين . ثم يذهب كينى إلى الباب ويطل منه . ويتردد برهة كما لو كان سيهم بالدخول — ثم يحجم ويغلق الباب بلطف . يدخل من اليمين جو ، صائد الحيتان .

وهو ضخم الجثة مديد القامة ، ذو وجه دميم مشوه القسمات . ويقف منتظرا من القبطان أن يلحظ وجوده) .

كيني : (يستدير ويراه) لا تقف هنالك كالبليد . تكلم !

جو : (متلعثما) نحن نريد — الرجال ، يا سيدى — يريدون ان تسمح لهم بمقابلتك .

كيني : (ثائرا) قل لهم أن يذهبوا — (يتمالك نفسه ، ويستأنف الكلام متجهما) قل لهم أن يحضروا — سأقابلهم .

جو : حاضر ، حاضر ، يا سيدى . (يخرج)

كيني : (بابتسامة كالحة) ها هى المتاعب فى الطريق ، يا سيد سلوكم — المتاعب التى تحدثت عنها . وسنحاول الاجهاز عليها بسرعة ، فمن الافضل سحق مثل هذه الامور فى بدايتها بدلا من تركها تستفحل .

المساعد : (قلقا) هل أوقظ المساعدين الاخرين ، يا سيدى ؟ قد نحتاج إلى معونتهما .

كيني : لا ، دعهما فى نومهما . أنا جد قادر على تولى

هذا الأمر بمفردي ، يا سيد سلوكم . (هناك دبيب أقدام فى الخارج ، ثم يتجمع خمسة من أفراد الطاقم فى المقصورة برئاسة جو . الجميع يرتدون ثيابا متشابهة : قمصانا صوفية ، وأحذية ثقيلة . ويتطلعون بنظرات قلقة إلى القبطان ، مقلبين فى أيديهم قبعاتهم المصنوعة من الفراء) .

كيني : (بعد لحظة صمت) حسنا ؟ من الذى سيتكلم بالنيابة عنكم ؟

جو : (يخطو إلى الامام فى شهامة) أنا ، سأنوب عنهم .

كيني : (يتفرسه من قمة رأسه إلى أخمص قدمه فى برود) أنت الذى ستنوب عنهم . اذن قل ما عندك ، بسرعة .

جو : (محاولا ألا يضعف أمام نظرات الربان ، ومتفاديا النظر اليه) ان مدة العقد قد انتهت اليوم .

كيني : (ببرود) ليس هذا بالامر الذى لا أعرفه .

جو : ولايبدو أنك عازم على العودة إلى البر ، على ما نرى.

كيني : كلا ، وان أفعل حتى أملأ هذه السفينة بما تنوء عن حمله من زيت الحيتان .

جو : أنت لا تستطيع أن تمضى شمالا والثلوج أمامك .

كينى : الثلوج بدأت تتكسر .

جو : (بعد برهة صمت وجيزة تتردد فيها همهمة الاخرين بعضهم إلى بعض فى غضب) والغذاء الذى نتناوله الان قد دب اليه العطب .

كينى : إنه صالح جدا لكم . ولقد أكل رجال أحسن منكم طعاما أسوأ منه . (تهب من الجميع صيحات غاضبة)

جو : (وقد شجعه ذلك التأييد) إننا لن نعود إلى أعمالنا مالم تبحر بنا راجعا .

كينى : (بعنف) لن تعودوا ؟ لن تعودوا إلى أعمالكم ؟

جو : كلا ، وستحكم المحاكم بأننا كنا على حق .

كينى : إلى الجحيم أنتم ومحاكمكم . اننا فى عرض البحر الآن ، وأنا القانون هنا على ظهر هذه السفينة . (يحاذى جو) ومن لا يطيع أوامرى منكم سأكبله بالاغلال . (تتعالى صيحات الغضب من البحارة. وتظهر فى هذه الاثناء مسز كينى عند عتبة الباب الخلفى وتراقب ما يحدث بعينين مفعمتين بالجزع . ولكن لا يلحظ أحد من الرجال وجودها) .

جو : (بجسارة) اذن فسنلجأ إلى التمرد وسنقود بأنفسنا السفينة العجوز عائدين . أليس كذلك ، أيها

الرفاق ؟ (وفى اللحظة التى يدير فيهاجو رأسه لينظر إلى الاخرين تنطلق قبضة كينى إلى فكه بقوة، فيقع على الارض فاقد الحس ويبقى ممدا هناك بلا حـراك . تطلق مسز كينى صيحة وتخفى وجهها بين راحتيها . أما البحارة فيشهرون خناجرهم من أغمادها ، ويهمون بالهجوم على القبطان الا أنهم يحجمون عندما يجدون أنفسهم تحت رحمة مسدسى كينى ومساعده)

كينى : (تبرق عيناه ويرعد صوته) مكانكم ولا تتحركوا (يتسمر الرجال فى أماكنهم وجلين منكمشين وقد خيم عليهم الصمت والقنوط . أما صوت كينى فهو مفعم بالسخرية) وهكذا تبينتم أنه ليس من السلامة أن تلجأوا إلى التمرد على هذه السفينة . أليس كذلك ؟ والان فليبادر كل منكم بالتوجه إلى مكان عمله و... (يركل جسد جو الممدد ركلة ملؤها الازدراء) جروه معكم . وتذكروا أن أول رجل منكم سأراه يلجأ إلى المراوغة فى تنفيذ أوامرى سأرديه قتيلا بكل تأكيد ، ويمكنكم أن تخبروا الاخرين بذلك . هيا الان عجلوا! بسرعة !

(يخرج الرجال فى صمت حاملين معهم جو .
يلتفت كينى إلى مساعده مطلقا ضحكة قصيرة.
ويرد المسدس إلى جيبه) الافضل أن تصعد
إلى ظهر السفينة ، يا سيد سلوكم ، وتتأكد من
أنهم لن يلجأوا إلى شئ من حيلهم الخفية .
علينا أن نراقبهم من الآن فصاعدا ، فأنا أعرفهم .

المساعد : أجل ، يا سيدى. (يخرج من الباب الايمن . ثم
يسمع كينى نحيب زوجته وتشنجاتها ، فيستدير
اليها فى دهشة — ويسير ببطء نحوها)

كينى : (واضعا ذراعه حول كتفيها — ويلاطفها قائلا
لها فى صوت أجش) هيا ، هيا ، يا آنى ،
لا تخافى . انتهى كل شئ وانقضى .

مسز كينى : (مبتعدة عنه) أوه ، انى لا أحتمل هذا . لا أحتمله
أطول من ذلك !

كينى : (برقة) لا تحتملين ماذا ، يا آنى ؟

مسز كينى : (متشنجة) كل هذه القسوة الفظيعة ! وهؤلاء
الرجال الشرسون ، وهذه السفينة المريعة ، وهذه
المقصورة التى تشبه السجن ، وهذه الثلوج التى
تحاصرنا من كل جانب ، وهذا السكون. (تهدأ

بعد هذه الثورة النفسية ، وتجفف دموعها بمنديلها) .

كينى : (يقول لها بعد فترة صمت وهو يطل خلالها عليها بنظره ، وقد بدا وجهه مقطبا حائرا) تذكرى أنى لم أكن أرغب فى أن تجيئى معى فى هذه الرحلة ، يا آنى .

مسز كينى : انى أردت أن أكون معك ، يا دافيد ، ألا تفهم ؟ لم أكن أريد أن أبقى هناك فى البيت أنتظر عودتك وحيدة ، كما كنت أفعل طوال هذه السنوات الست الماضية منذ أن تزوجنا — أنتظر ، وأترقب ، ويدق قلبى خوفا — وليس هناك شىء اتشاغل به — وغير قادرة على أن أعود إلى التدريس بالمدرسة ، وأنا زوجة دافيد كينى . ولما كنت قد ألفت أن أحلم بالسفر عبر المحيط الكبير الفسيح العظيم فقد أردت أن اكون إلى جوارك فى ساعات الخطر ، وفى الحياة العنيفة بأسرها . أردت أن أراك عن كثب ذلك البطل الذى يصورونه فى هومبورت . وبدلا من ذلك — (يأخذ صوتها فى الارتجاف) لا أجد الا الثلج والبرد — والوحشية ! (ينقطع صوتها) .

كينى : لقد حذرتك مما سوف تكون عليه حياة البحر ،

يا آنى . وكنت أقول لك : «ان من يذهب إلى صيد الحيتان ليس كمن يذهب إلى حفلة شاى للسيدات» و «من الافضل لك البقاء فى البيت حيث تتوافر لك كل وسائل راحتك كامرأة» (يهز رأسه) ولكنك أصررت على المجئ إصرارا .

مسز كينى : (بتأفف) أوه ، أنا أعلم أنها ليست غلطتك ، يا دافيد . لم أكن أصدقك ، ولعلى كنت أحلم بحياة المغامرات التى ترددها كتب الروايات ، وكنت أعتقد أنك أحد أولئك الابطال المغامرين الذين كنت أقرأ عنهم .

كينى : (محتجا) لقد بذلت قصارى جهدى لأجعل إقامتك هنا ميسرة ومريحة بقدر الامكان . (تجيل مسز كينى بصرها من حولها فى احتقار شديد) حتى أننى بعثت فى شراء هذا الآرغن من المدينة لأجلك ، معتقدا أنه قد يكون فى العزف عليه ما يواسيك عندما تبدو الحياة هنا رتيبة ومملة .

مسز كينى : (بسآمة) أجل ، لقد كنت فى منتهى الطيبة ، يا دافيد . أعلم ذلك . (تذهب إلى اليسار ، وترفع الستائر عن الكوة وتتطلع خارجا — ثم فجأة تنفجر إلى أقصى حد) لا أحتمل —

لا أحتمل — محاصرة بهذه الحيطان كالسجينة .
(تجرى اليه وتطوقه بذراعيها ، باكية . فيضع ذراعه على كتفيها ليقوى من روحها المعنوية)
خذنى من هنا ، يا دافيد . اذا لم أخرج من هنا ، من هذه السفينة المريعة ، فسأجن !
خذنى إلى البيت ، يا دافيد ! لقد توقف عقلى عن التفكير . أحس كما لو كان البرد والسكون يجثمان على عقلى . أنا خائفة . خذنى إلى البيت !

كينى : (يبعدها عنه قليلا ويتطلع إلى وجهها فى قلق) الأفضل ان تذهبى إلى فراشك ، يا آنى ! فلست فى حالتك الطبيعية . وحرارتك مرتفعة . وعيناك تومضان بوميض غريب . أنا لم أرك من قبل على هذه الحالة .

مسز كينى : (ضاحكة فى عصبية) انه الثلج والبرد والسكون — ان من شأنها أن تجعل أى شخص يبدو فى غير حالته الطبيعية .

كينى : (مواسيا) فى خلال شهر أو اثنين ، مع شئ من الحظ الطيب ، أو ثلاثة على — الاكثر ، سأملأها بالزيت وأحملها بما تقوى على حمله ثم نتوجه بها عائدين إلى بيتنا .

مسز كينى : ولكن لا يمكننا أن ننتظر حتى يتم ذلك — أنا لا يمكننى الانتظار . أريد العودة إلى البيت . ولن ينتظر الرجال ، فهم يريدون العودة إلى ديارهم . انها لقسوة ، انها لوحشية منك ان تمنعهم . يجب أن تقلع عائدا . ولا حق لك فى موقفك . ولقد ذابت الثلوج فى الجنوب . فاذا كان بين جوانبك قلب يحس فعليك أن تقفل راجعا .

كينى : (فى خشونة) لا أستطيع ، يا آنى .

مسز كينى : لم لا تستطيع ؟

كينى : لا يمكن لامرأة أن تقدر عذرى حق التقدير .

مسز كينى : (بشراسة) لانه عذر سخيف ، يقوم على مجرد العناد . أوه ، لقد سمعتك تتكلم عنه مع مساعدك . انت تخشى أن يسخر منك سائر الربابنة لأنك لم تعد بصيد دسم . وتريد أن تحافظ على سمعتك السخيفة ولو أقتضاك ذلك أن تعذب الرجال وتهلكهم جوعا ، وتقودنى انا إلى الجنون .

كينى : (مطبقا فكيه فى عناد) ليس الامر على النحو الذى تصورينه ، يا آنى . أولئك الربابنة لا يجسرون أبدا

على السخرية مني . ليس الذى يهمنى هو ما قد يقوله الناس عنى ــ ولكن ــ (يتردد ، مجاهدا ليحسن التعبير عن مقصده) أنت ترين ــ لقد فعلت ذلك بنجاح على الدوام ــ منذ أول رحلة لى كربان ــ وكنت أعود دائما ــ وقد امتلأت سفينتى بالصيد ــ و ــ ليس من اللائق ألا ــ إلى حد ما . لقد كنت على الدوام أبرز ربان فى صيد الحيتان فى هومبورت ، وــ ألا تدركين مقصودى ، يا آنى ؟ (ينظر اليها ، فيجدها لا تتطلع اليه بل تحدق أمامها فى شرود ، دون أن تسمع أيه كلمة مما يقول) آنى ! (تثوب إلى نفسها مذعورة) الأفضل أن تعودى إلى حجرتك يا آنى ، حتى تثوبى إلى حالتك الطبيعية كامرأة عاقلة ، فانت على غير ما يرام .

مسز كينى : (تقاوم محاولته لأن يقودها إلى الباب الذى فى المؤخرة) دافيد ! ألا تقفل راجعا ؟ ارجوك ؟ .

كينى : (بلطف) لا أستطيع ، يا آنى ــ لم يحن الوقت بعد انك لا تفهمين مقصودى ، يجب أن أحصل على الزيت .

مسز كينى : لقد كان الامر يختلف لو كنت فى حاجة إلى المال ،

ولكنك لست فى حاجة اليه فان لديك أكثر من الكفاية .

كينى : (وقد عيل صبره) اننى لا افكر فى المال . هل تعتقدين أننى من الوضاعة إلى هذا الحد ؟

مسز كينى : (ببلادة) كلا — لا أعرف — لا يمكننى أن أفهم — (بحرقة) أوه ، أود أن أعود إلى بيتى القديم وأرى مطبخى مرة أخرى ، وأن اسمع صوت امرأة يتحدث إلى ، وأكون قادرة على التحدث اليها بدورى . سنتان مضتا ! كما لو كانتا دهورا — وكما لو كنت قد مت ، ولن اعود إلى الحياة ابدا .

كينى : (قلقا من نبراتها الغريبة والنظرة الشاردة فى عينيها) من الأفضل ان تذهبى إلى فراشك ، يا أنى . فأنت مريضة .

مسز كينى : (لا يبدو عليها انها سمعته) لقد كنت أشعر بالوحدة عندما كنت ترحل بعيدا عنى ، وكنت أظن أن هومبورت مكان سخيف ممل ، فكنت أنزل إلى الشاطئ ، وبخاصة عندما كانت الريح تعصف والأمواج شديدة تزحف بسرعة الى البر . وكان يحملنى ذلك على أن احلم بالحياة الحرة الجميلة

التى لابد أنك كنت تحياها . (تطلق ضحكة نصفها بكاء) لقد ألفت أن أحب البحر فى ذاك الوقت . (تصمت ، ثم بعد ذلك تمضى فى حديثها فى قوة وتركيز) ولكن الآن — لا اريد أن أرى البحر مرة أخرى فى حياتى .

كينى : (قاصدا التهوين عليها) انه ليس بالمكان الملائم لامرأة على أى حال . هذا مؤكد . ولقد كنت أحمق حين اصطحبتك معى .

مسز كينى : (بعد برهة صمت — كما لو كانت تزيح عن عينيها كابوسا ثقيلا بحركة من يدها تدل على حالة من الأسى يرثى لها) كم من الوقت نحتاجها للوصول إلى البر — لو بدأنا الآن ؟

كينى : (مقطبا) حوالى شهرين ، على ما أعتقد ، يا آنى لو كانت الظروف مواتية .

مسز كينى : (تعد على أصابعها — ثم تتمتم وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامة تائهة) سيكون وصولنا فى أغسطس ، فى الشق الأخير من اغسطس ، أليس كذلك ؟ أتذكر ، يا دافيد ، لقد تم عقد قراننا فى الخامس والعشرين من أغسطس ، ألا تذكر ذلك ؟

كيني : (محاولا أن يؤكد أن هذه الذكرى قد هزت مشاعره – بصوت أجش) كيف لا أذكر ؟

مسز كيني : (تائهة – تمرر يدها على عينيها مرة أخرى) إن ذاكرتي تفر مني – هنا بين الثلوج . مضى على تلك الذكرى زمن طويل . (برهة صمت – ثم تبتسم حالمة) نحن في يونيو الآن . سوف يزدهر السوسن في حديقتنا – وبراعم الورد المتسلقة على التكعيبة إلى جانب البيت – تتفتح الآن – (تحجب وجهها بيديها فجأة وتأخذ في البكاء)

كيني : (منزعجا) ادخلي حجرتك واستريحي ، يا آني . لقد أضناك البكاء عما ليس في وسعنا عمل شئ بشأنه .

مسز كيني : (تلقي فجأة ذراعيها حول عنقه وتتعلق به) انك تحبني يا دافيد ، أليس كذلك ؟

كيني : (وقد أذهلته وضايقته هذه المفاجأة) أحبك ؟ لماذا تسألينني مثل هذا السؤال ، يا آني ؟

مسز كيني : (تهزه – في عنف) ولكنك تحبني ، أليس كذلك ، يا دافيد ؟ خبرني !

كيني : أنا زوجك ، يا آني ، وأنت زوجتي . هل يمكن ان يكون بيننا سوى الحب بعد هذه السنين كلها ؟

مسز كيني : (تهزه ثانية ــ وبعنف أزيد) اذن فانت تحبني . قل لى ذلك !

كيني : (ببساطة) أحبك ، يا آني .

مسزكيني : (تتنهد بارتياح ــ وتسقط ساعديها إلى جانبيها. ينظر كيني إليها قلقا . تمسح عينيها بيدها ، وتتمتم كما لو كانت تحدث نفسها) كم أفكر أحيانا فيما لو كان قد رزقنا الله بطفل . (يستدير كيني مبتعداً عنها ، وقد تأثر تأثراً عميقاً . تجذب هى ذراعه وتديره ليواجهها ــ وتقول له بتأثر) ولقد كنت دائماً زوجة صالحة لك . ألم أكن ، يا دافيد ؟

كيني : (ينم صوته عن انفعاله) لم يكن لرجل زوجة أفضل منك ، يا آني .

مسزكيني : ولم أطالبك أبدا بالكثير ، أليس كذلك ، يادافيد؟ أليس كذلك ؟

كيني : أنت تعلمين أنني أيسر لك كل ما فى وسعى ، يا آنى :

مسزكيني : (بانفعال) اذن أفعل هذا ، هذه المرة ، بالله ــ من أجلى ــ خذنى إلى بيتى ! هذه الحياة تقتلنى ــ قسوتها وبردها ورعبها . سأجن . أكاد أحس

بالخطر . أكاد أسمع السكون من حولى يتهددنى — يوما بعد يوم ، وكل يوم قاتم مثل سابقه . لا أقوى على تحمل ذلك. (باكية) سأجن . أنا لتأكدة من ذلك . خذنى إلى البيت ، يادافيد ، لو كنت تحبنى كما تقول . أنا خائفة . بحق السماء ، خذنى إلى البيت ! (تطوقه بذراعيها ، وتبكى على كتفه . ويفضح وجهه الصراع الهائل الذى يعتمل فى قرارة نفسه . ثم يبعدها عنه ممسكا بها بكلتا يديه . وقد رقت قسماته . وابرهة يتقوس منكباه ، ويبدو عليه الكبر ، وتخور إرادته الفولاذية ، وينظر إلى وجهها الذى بللته الدموع) .

كينى : (منتزعا الكلمات من فمه بجهد كبير) سأفعل ذلك ياآنى — من أجلك — طالما اعتقدت أن فى ذلك صالحك .

مسز كينى : (بفرح شديد — تقبله) إذن فليباركك الله ، يادافيد. (يستدير مبتعداً عنها صامتا ويسير نحو السلم . وفى هذه اللحظة تسمع وقع أقدام تهرول على السلم ويندفع مساعد القبطان إلى المقصورة)

المساعد : (منفعلا) الثلوج تتكسر فى الشمال ، ياسيدى . هناك ممر مائى عبر الجليد . وقد ظهر الماء ، على

حد قول المراقب . (يشد كيني قامته كما لوكان رجلا قد فك من إساره . وتنظر مسز كيني إلى المساعد بعينين ملؤهما الهلع) .

كيني : (مبهور الأنفاس – محاولا أن يجمع شتات أفكاره) ممر من الماء الصافي ؟ شمالا ؟

المساعد : أجل ، ياسيدى .

كيني : (يمتلأ صوته فجأة عزما وتصميما) إذن هيئها للسير ، وسنقودها عبره .

المساعد : حاضر ، حاضر ، ياسيدى .

مسز كيني : (متوسلة) دافيد !

كيني : (غير مكترث بها) هل سيشتغل الرجال طواعية ، أم سنجرهم إلى العمل قسراً ؟

المساعد : سيشتغلون باختيارهم ، فقد ملأت قلوبهم خوفا ، يا سيدى . وهم فى وداعة الحملان الآن .

كيني : إذن قدهم ، وفتحوا عيونكم . (بحزم شديد) الحيتان فى الجانب الآخر من هذا الجليد ، وسنمسك بها .

المساعد : أجل ، أجل ، ياسيدى . (يخرج مهرولا . وبعد

لحظة تسمح دبدبة أقدام على ظهر السفينة وصوت مساعد القبطان يصيح مصدراً الأوامر) .

كيني : (يحدث نفسه بصوت مرتفع — وفى سخرية) وكنت سأقفل راجعاً ككلب ذليل !

مسز كيني : (مستعطفة) دافيد !

كيني : (بلهجة جافة) أيتها المرأة ، لاحق لك أن تتدخلى فى شئون الرجال، وتثبطى همهم ! ولا يمكنك إدراك مشاعرى . على أن ابرهن على أننى زوج تفخرين به . يجب أن أحصل على الزيت ، أقول لك .

مسز كيني : (متوسلة) دافيد ! ألن تقلع عائداً ؟

كيني : (متجاهلا هذا السؤال — بلهجة آمرة) لست على ما يرام . اذهبى وارقدى قليلا لتستريحى. (يبادر بالذهاب إلى الباب) يجب أن أصعد إلى ظهر السفينة . (يخرج وتبكى هى فى أعقابه فى لوعة) دافيد ! (تمسح عينيها بيدها — ثم تأخذ فى الضحك بعصبية ، وتمضى إلى الأرغن. تجلس وتشرع فى عزف ترنيمة قديمة عزفاً جنونيا عنيفاً . يعود كيني ويقف ناظراً اليها بغضب . يجىء اليها ويجذبها بشدة من كتفها) .

كينى : أيتها المرأة ، ماهذا المزاح السخيف ؟ (تضحك بعنف فيجفل مبتعداً عنها فى انزعاج) آنى ! ما هذا ؟ (لاتجيبه — صوت كينى يرتعد) ألا تعرفيننى ، ياآنى ؟(يضع كلتا يديه على كتفيها ويديرها نحوه ليمعن النظر فى عينيها . تتطلع إليه بنظرة بليدة شاردة ، وقد اتسمت على شفتيها ابتسامة تائهة . يبتعد عنها متخبطا ، وتعاود هى العزف برقة على الأرغن من جديد)

كينى : (يبتلع ريقه بمشقة — ويقول فى همسة مبحوحة ، كما لو كان يلقى صعوبة فى الكلام) قلت — أنك ستجنين — ياإلهى ! (تسمع من سطح السفينة صيحة مديدة) آه ، إضرب . وبعد برهة يظهر وجه مساعد القبطان خلال الكوة . ولا يمكنه أن يرى مسز كينى)

المساعد : (بانفعال شديد) حيتان ، ياسيدى — قطيع كبير منها — على بعد خمسة أميال عن يمين السفينة — من النوع الكبير !

كينى : (وقد استبد به الحماس للعمل) هل أنزلتم القوارب ؟

المساعد : أجل ، ياسيدى .

كيني : (بعزم له (د ممعلك . أكيأنا قا

المساعد : أجل ، أجل ، ياسيدى . (مبتهجا) ستحصل الآن على ما فيه كفايتك من الزيت ، ياسيدى . (يسحب رأسه من الكوة ، ويسمع صوته مصدراً للأوامر) .

كيني : (مستديراً نحو زوجته) آني ! هل تسميعنى ؟ سأحصل على الزيت . (لاتجيب آنى بشيء ، ولايبدو عليها أنها متنبهة إلى وجوده هناك . يطلق هو ضحكة جافة أشبه ماتكون بالتأوه) أنا أعرف أنك تضحكين على ، يا آنى . وانت لم تفقدى صوابك — (بقلق) أليس كذلك ؟ سأحصل على الزيت بما فيه الكفاية توا — ثم بعد زمن قصير — نقفل راجعين إلى بيتنا . لايمكننى أن أعود الآن ، أنت ترين ذلك ، أليس كذلك ؟ يجب أن أحصل على الزيت . (ثم يقول وقد انتابه رعب مفاجيء) أجيبينى ! لست مجنونة ، أليس كذلك ؟ (تظل آنى تعزف على الأرغن ، دون أن تجيب بشيء. يظهر وجه مساعد القبطان مرة أخرى من خلال الكوة) .

المساعد : كل شيء جاهز ، ياسيدى (يستدير كيني موليا

زوجته ظهره ، ويمضى إلى الباب ، حيث يقف لحظة ، ويلقى عليها نظرة كلها قلق وانزعاج ، مجاهدا للسيطرة على مشاعره) .

المساعد : أقادم أنت ياسيدى ؟

كينى : (يعلو وجهه فجأة تعبير قاس ينم عن العزم والتصميم) أجل . (يستدير بغتة ويخرج ، بينما لايبدر عن مسز كينى أية بادرة تنم عن ملاحظتها لمغادرته الحجرة ، فقد تركز كل انتباهها فى الأرغن حيث تجلس إليه نصف مغمضة العينين ، وجسدها يتمايل بعض الشىء مع نغمات الموسيقى . ثم تتزايد سرعة أناملها فى الإيقاع وتنطلق فى العزف بعنف وبلا ضابط ، بينما يسدل الستار) .

حيث وضعت علامة الصليب

Where the Cross is Made

الشخصيات

القبطان اسحاق بارتليت		Captain Isaiah Bartlett
نات بارتليت : ابنه		Nat Bartlett
سوبارتليت ؛ ابنته		Sue Bartlett
دكتور هيجنز		Doctor Higgins
سيلاس هورن : مساعد قبطان	من أفراد	Jimmy Kanaka
كاتيس : بحار	طاقم السفينة	Cates
جيمى كاناكا : صائد حيتان	« مارى الين » Mary Allen	Silas Horne

المنظر : قمرة القبطان بارتليت — وهى عبارة عن حجرة شيدت على شكل برج مراقبة فى أعلى منزله القائم على بقعة مرتفعة من ساحل كاليفورنيا . والحجرة من الداخل قد رتبت على نمط قمرة قبطان على مركب شراعية من مراكب أعالى البحار . وفى مقدمة الناحية اليسرى منها كوة . ثم إلى الخلف من ذلك تقوم درجات السلم المؤدى إلى السطح . ثم كوتان أخريان . وفى أقصى المؤخرة خوان ذو سطح رخامى وضع عليه مصباح مما يستعمل على السفن.

وفى منتصف الجانب الخلفى باب ينفتح على درجات سلم يؤدى إلى الدور السفلى من البيت . وعلى يمين الباب سرير صغير وضع بإزاء الحائط وغطى بملاءة . وفى الحائط الأيمن خمس كوات . وتحتها مباشرة أريكة خشبية . وأمام الأريكة منضدة مستطيلة ، ومقعدان عموديا الظهر ، أحدهما أمام المنضدة والآخر إلى يسارها . وعلى الأرض سجادة رخيصة ذات لون قاتم . وفى السقف كوة تمتد من أمام الباب إلى مافوق الحافة اليسرى من المنضدة . وعند أقصى الطرف الأيمن للكوة ثبتت بوصله بحرية كبيرة . ويتسلل الضوء من الكوة مارا بصندوق البوصلة إلى الغرفة ملقيا على الأرض ظلا مستديراً مبهما .

الوقت ساعة مبكرة من ليلة صافية السماء، عاصفة الريح ، فى أواخر عام ١٩٠٠ . الريح تئن عند اصطدامها بزوايا البيت القديم العاتية ويتسلل ضوء القمر خائراً إلى الغرفة من خلال الكوات ،

ويستقر كغبار متعب فى رقع دائرية على الأرض وعلى المنضدة . ويتصاعد هدير الأمواج المتكسرة عند الشاطىء خافتا فى صوت رتيب متواصل من أسفل عند الساحل البعيد .

وبعد أن يرفع الستار يفتح الباب الذى فى المؤخرة ببطء، ويأخذ رأس نات بارتليت ومنكباه فى الظهور عند العتبة . ويلقى نات نظرة سريعة فى أنحاء الغرفة ، وعندما لايرى أحدا بها يصعد البقية الباقية من درجات السلم ويدخل اليها . ثم يشير إلى شخص ماتحت فى الظلمة قائلا : « كل شيء على مايرام ، يادكتور » ثم يعقبه الدكتور هيجنز فى الدخول ، ويغلق الباب وراءه ، ثم يقف متطلعاً حوله بتعجب كبير . والدكتور هيجنز رجل ضئيل ، متوسط القامة ، يبدو عليه مظهر الذى حنكته تجارب مهنته ، ويبلغ من العمر حوالى الخامسة والثلاثين . أما نات بارتليت فمفرط الطول ، هزيل الجسم ، لين البنية . ولما كانت ذراعه اليمنى مبتورة من عند الكتف فان كمه يتدلى متهدلا إلى جانب المعطف الثقيل الذى يرتديه أو يتأرجح مصطدما بجسمه عندما يأتى بحركة ما . ويبدو وكأنه أكبر سنا بكثير من أعوامه الثلاثين، إذ تنحدر كتفاه انحدارة منهكة كما لوكان قد أثقلها حمل رأسه الكبير بشعره الأسود الأشعث الكث . وجهه مستطيل ، بارز العظام ، شاحب اللون ، وعيناه قاتمتا السواد . وأنفه معقوف ، وفمه واسع رفيع الشفتين ، يظلله شارب أشعث نام فى خشونة ؛ وصوته خفيض عميق ذو رنه معدنية نفاذة أشبه برجع الصدى ؛

وبالإضافة إلى معطفه فانه يرتدى سروالا من نسيج كالقطيفة مضلع متين ، دس طرفاه فى حذائيه المرتفعى الرقبة المعقودين بالأشرطة .

نات : هل تتيسر لك الرؤية ، يادكتور ؟

هيجنز : (بنبرات فجائية تفضح قلقه الدفين) أجل – تماما – لاتنشغل . القمر ساطع الضياء .

نات : من حسن الحظ . (سائراً ببطء نحو المنضدة) إنه لم يكن يريد أى ضوء – مؤخراً – فقط ضوء ذلك المصباح ، هناك .

هيجنز : من ؟ آه ، تعنى أباك ؟

نات : (بصبر نافذ) ومن غيره أعنى ؟

هيجنز : (مجفلا بعض الشىء – محملقا حوله فى حيرة) أغلب ظنى أن هذا كله قصد به أن تبدو هذه الحجرة كقمرة على ظهر سفينة ؟

نات : أجل – كما حذرتك .

هيجنز : (فى دهشة) حذرتنى ؟ لم حذرتنى ؟ أعتقد أنها طبيعية جداً – ومسلية – نزوته تلك .

نات : (بلهجة ذات مغزى) مسلية ، من الجائز.

هيجينز : وهو يعيش هنا ، كما تقول – ولاينزل أبداً ؟

نات : أبدا — طوال ثلاث السنوات الماضية . وتحضر أختى طعامه اليه هنا . (يجلس على المقعد إلى يسار المنضدة) يوجد مصباح على البوفيه هناك ، يادكتور ، احضره إلى هنا وتعال اجلس. سنشعل بعض الضوء ، وسأستميحك عذر الاحضارك إلى هذه الحجرة على السطح — ولكن — لن يسمعنا أحد هنا ، كما أنه بمعاينتك الشخصية للطريقة الجنونية التى يحيا عليها — ستفهم أننى أريد أن أطلعك على كافة الحقائق — الحقائق ، وحدها ! — والضوء ضرورى لذلك . إذ بغير ذلك — فانها تضحى أحلاما هنا — أحلاما ، يادكتور.

هيجينز : (بابتسامة من تحرر من عبء ثقيل يجىء بالمصباح) أنها حالة من الوهم الخفيف .

نات : (لايبدو عليه أنه انتبه إلى هذه الملاحظة) أنه لن يلحظ هذا الضوء الذى تضيئه ، فعيناه جد مشغولتين — بالنظر إلى هناك — (يطوح بذراعه اليسرى مشيراً إلى البحر فى حركة عنيفة) وإذا حدث ولحظه — حسنا ، فلينزل إلى هنا ، إذ عليك أن تراه إن عاجلا أو آجلا .

(يحك عودا من الثقاب ويشعل المصباح) .

هيجينز : أين — هو ؟

نات : (مشيراً إلى أعلى) أنه فوق عند المؤخرة . اجلس، أيها الرجل ! أنه لن يأتى على الأقل ابرهة .

هيجينز : (يجلس بحذر على المقعد أمام المنضدة) إذن فقد أعد السطح على نمط سفينة ؟

نات : لقد أخبرتك أنه فعل ذلك . أجل ، كسطح سفينة. عجلة قيادة ، وبوصلة ، ومصباح كشاف ، والسلم هناك(يشير اليه) ، وكذلك مركز للقيادة ليذرعه جيئة وذهابا — ويواصل منه الرقابة . ولو لم تكن الريح شديدة لسمعته الآن — يمشى جيئة وذهابا— طول الليل . (بغاظة مفاجأة) ألم أقل لك أنه مجنون ؟

هيجينز : (متحدثا حديث الطبيب) ليس ذلك بالأمر الجديد علىّ . فقد سمعته من الجميع منذ أن حضرت إلى المستشفى هنا . أتقول أنه يمشى بالليل فقط— هناك فـوق ؟

نات : بالليل فقط ، أجل . (عابسا) أن الأشياء التى يريد أن يراها لايمكن له أن يتبينها فى وضح النهار — إنها أحلام وما شاكلها .

هيجينز : ولكن فقط ما الذى يحاول أن يراه ؟ هل من أحد يعرف ذلك ؟ ألا يتكلم هو عن ذلك ؟

نات : (نافد الصبر) كيف ، أن كل واحد يعرف ماذا يبحث عنه والدى ، أيها الرجل ! السفينة ، بطبيعة الحال .

هيجينز : أية سفينة ؟

نات : سفينته — مارى الين ، — المسماة على اسم أمى المتوفاة .

هيجينز : ولكنى — لاأفهم — هل السفينة قد تأخرت عن موعد قدومها — أم ماذا ؟

نات : لقد فقدت إثر إعصار قرب جزر السليبيس بكل ما عليها — منذ ثلاثة أعوام خلت .

هيجينز : (متسائلا) آه ؟ (بعد برهة صمت) ولكن والدك مازال يساوره بعض الشك .

نات : ليس هناك أدنى شك يساوره أويساور أحدا غيره . لقد شوهد حطامها غارقا ، بمعرفة بحارة سفينة صيد الحيتان جون سلوكوم . وكان ذلك عقب أسبوعين من العاصفة . وأرسلوا أحد قواربهم لقراءة اسمها .

هيجينز : أولم يسمح والدك قط بذلك ـــ

نات : لقد كان أول من سمح به ، بطبيعة الحال .أوه ، أنه يعرف حق المعرفة . إذا كان هذا ماتقصده . (ينحنى نحو الدكتور ـــ وباهتمام) أنه يعرف ، يادكتور ، يعرف ـــ ولكنه لايريد أن يصدق . لايقوى على ذلك ـــ ويمضى فى الحياة على هذا الأمـــل .

هيجينز : (بفارغ الصبر) هيا ، ياسيد بارتيليت ، فلنقف عند الوقائع . إنك لم تجرنى إلى هنا لكى تجعل الأشياء تبدو أكثر غموضاً ، أليس كذلك ؟ فلتعرفنى بالحقائق التى تحدثت عنها ، سأكون فى حاجة إليها لأوليه العلاج المناسب عندما ندخله المستشفى.

نات : (باهتمام ـــ مخفضا صوته) أوستعود لتأخذه الليلةـــ بالتأكيد ؟

هيجينز : بعد عشرين دقيقة من مغادرتى هذا المكان سأعود فى العربة . هذا محقق .

نات : أو تعرف طريقك داخل البيت ؟

هيجينز : مؤكد ، أتذكره ـــ ولكننى لاأرىـــ .

نات : سيترك الباب الخارجى مفتوحا من أجلك .وعليك

أن تصعد إلى فوق رأسا . سنكون أنا وأختى هنا — معه . وأنت فاهم — كلانا لايعرف شيئا عن هذا ، وإنما أبلغت السلطات بشكوى — ليست منا ، تذكر — ولكن من شخص ما . يجب ألايعلم أبدا —

هيجينز : أجل ، أجل — ولكنى لاأزال — هل من المحتمل أن يلجأ إلى العنف ؟

نات : كلا — كلا . إنه هادئ على الدوام — غاية الهدوء ، ولكنه قد يأتى شيئا — أى شىء — لو علم —

هيجينز : اعتمد على فلن أخبره بشىء ، إذن . ولكنى سأجلب معى اثنين من المساعدين لعل وعسى — (يفض الحديث عن هذا الشأن وتتحول نبراته إلى لهجة أكثر جدية) والآن ، أخبرنى بالتفصيلات الواقعية لهذه الحالة ، لو سمحت ، ياسيدبارتيليت .

نات : (هازا رأسه مكتئبا) هنـــاك حالات تكون فيها الوقائع — حسنا ، هاهى — الوقائع . لقد كان والدى ربان سفينة من سفن صيد الحيتان كما كان والده من قبله . وكانت آخر رحلة قام بها منذ سبع سنوات خلت . وكان يتوقع عودته منها بعد عامين . ولكننا لم نره إلا بعد أربع سنوات ، إذ تحطمت سفينته فى المحيط الهندى . إلا أنه تمكن

هو وستة آخرون من الوصول إلى جزيرة صغيرة — جرداء كالجحيم ، يادكتور — وذلك بعد سبعة أيام فى قارب مكشوف . أما بقية أفراد طاقم سفينة الصيد فلم يسمع عنهم بعد ذلك أبدا — التهمتهم أسماك القرش . كما أن ثلاثة فقط من الستة الذين وصلوا إلى الجزيرة مع والدى وجدوا أحياء عندما التقطهم أسطول من زوارق الملايو ، أربعتهم فى حالة من الجنون بسبب الجوع والعطش. وهؤلاء الرجال الأربعة قدر لهم الوصول فى النهاية إلى فريسكو . (بتأكيد كبير) وهم والدى ، وسيلاس هورن مساعده ، وكاتيس ، أحد البحارة ، وجيمى كانا كا ، صائد حيتان من هاواى ، (بضحكه مفتعلة) هاك الوقائع . لقد كانت قصة أبى حديث الجرائد فى حينها .

هيجينز : ولكن ماذا حدث للثلاثة الآخرين الذين كانو بالجزيرة ؟

نات : (بخشونة) ربما ماتوا من حياة العراء ، أوربما جنوا فألقوا بأنفسهم فى البحر . هذه هى القصة التى تحكى عنهم . وهناك قصة أخرى يتهامس بها — تقول أنهم ربما قتلوا وأكلوا ! ولكن من

المحقق أنهم اختفوا – زالوا من الوجود . هذه هى الحقيقة . أما عن الباقين – فمن يدرى ؟ وماذا يهم أمرهم ؟

هيجينز : (برعدة) كيف لايهم أمرهم ؟

نات : (بعنف) دعك من العواطف . إننا نقف عند الحقائق ، يا دكتور ! (بضحكة) وهاك بعض المزيد منها . أحضر والدى الثلاثة معه إلى هذا البيت – هورن ، وكاتيس ، وجيمى كاناكا . وقد تعرفنا على والدى بصعوبة . لقد عاش فى الجحيم ورآه بعينى رأسه. وجاء وشعره ناصع البياض . وسترى بنفسك – حالا . والآخرون أيضاً – جاؤوا وكلهم فيهم بعض الشذوذ – أو الجنون ، أن شئت .(يضحك مرة أخرى) هذا عن الحقائق ، يادكتور، وما أن رحل الثلاثة عن هنا إلا وبدأت الأوهام .

هيجينز : (متشككا) يبدو – أننا لسنا فى حاجة إلى المزيد من الوقائع .

نات : انتظر . (يستأنف الحديث برصانة) فى أحد الأيام بعث والدى فى طلبى ، وفى حضرة الآخرين

أخبرنى بالحلم . كان علىّ أن أكون الوارث للسر . وقال لى أنهم فى اليوم الثانى لهم على الجزيرة اكتشفوا فى إحدى الخلجان الصغيرة المختفية عن الأنظار هيكل سفينة حربية علاها الصدأ وغمرتها المياه — سفينة حربية مما كان يستعملها القراصنة . لقد كانت هناك يأكلها العطب — الله يعلم منذ كم سنه . وقد اختفى أفراد طاقمها — الله يعلم أين ، إذ لم يكن على الجزيرة أى أثر يدل على أن انسانا ما حط قدمه عليها من قبل . وقد دخل كاناكا السفينة — فأهل بلده مهرة فى الغوص ، والبقاء تحت الماء أطول وقت ممكن ، كما تعلم — ولقد عثر الرجال — فى صندوقين — (يميل إلى الخلف فى مقعدة ويبتسم ساخراً) — خمن ، ماذا وجدوا ، يا دكتور ؟

هيجينز : (يرد عليه بابتسامة) كنزاً ، بلا شك .

نات : (يميل إلى الإمام فى جلسته ويشير إلى الطرف الآخر بأصبعه متهما) أرأيت ! إن أصل الاعتقاد فيك أنت ، أيضا ! (ثم يميل إلى الوراء فى جلسته بضحكة جوفاء) ولم لا ؟ كنز ، بكل تأكيد . وأى شيء غير ذلك ؟ وقد انتشلوه من السفينة

ويمكنك أن تخمن الباقى ، أيضا — جواهر ، زمرد ، حلى ذهبية — لاحصر لها ، بالطبع . ولم لانطلق العنان لأحلامنا ؟ ها — ها ! (يضحك ساخراً كما لو كان يهزأ من نفسه)

هيجينز : (باهتمام شديد) وبعد ؟

نات : أخذ الجنون يستبد بهم — بسبب الجوع ، والعطش ، وغير ذلك — وبدأ النسيان يرخى سدوله على عقولهم . أوه ، لقد نسوا الشىء الكثير ، وربما كان ذلك من حسن حظهم ، على أن أبى ، وقد كان مدركا ، كما قال لى ، لما كان يحدث لهم ، أصرعلى أنهم ، قبل أن يفقدوا إدراكهم تماما لما يفعلون ، يجب أن — خمن مرة أخرى يادكتور. ها — ها !

هيجينز : يدفنون الكنز ؟

نات : (ساخراً) الأمر على غاية من البساطة ، أليس كذلك ؟ ها — ها . وعندئذ رسموا خريطة ، بعود يابس متفحم — تماما كما فى الأحلام القديمة ، على ما ترى — واحتفظ بها مع والدى . ومالبثوا أن انتشلوا من هناك بعد أمد قصير ، وقد استبد بهم الجنون ، بمعرفة بعض من أهل الملايو. (يتخلى

عن سخريته ويتخذ لهجة هادئة جادة من جديد)
ولكن الخريطة ليست أضغاث أحلام ، يادكتور.
إننا نعود إلى الوقائع مرة أخرى. (يدس يده في جيب معطفه ويخرج منه ورقة مطوية) هاك.
(يبسطها على المنضدة)

هيجينز : (يمد عنقه في تشوق) ياللعنة ! هذا أمر مشوق للغاية . أعتقد أن الكنز موجود في المكان —

نات : في المكان الذي وضعت عنده علامة الصليب.

هيجينز : وهاهي التوقيعات ، على ماأرى . ولمن هذه البصمة ؟

نات : لجيمي كاناكا . إنه لم يكن يعرف الكتابة .

هيجينز : والذي في أسفل الخريطة ؟ ذلك توقيعك ، أليس كذلك ؟

نات : أجل ، بصفتي وارثا للسر . لقد وقعنا عليها جميعا صباح اليوم الذي أقلعت فيه ماري الين ، السفينة التي رهن أبي هذا المنزل لتجهيزها ، من أجل إحضار الكنز ، ها — ها .

هيجينز : وهي السفينة التي مازال والدك يترقب عودتها . أصحيح أنها فقدت منذ ثلاث سنوات مضت ؟

نات : أجل ، لقد أبحر عليها الرجال الثلاثة الآخرون . كان والدى ومساعده فقط يعرفان الموقع التقريبى للجزيرة — وأنا — بصفتى الوارث . إنها — (يتردد مقطبا) هذا أمر غير مهم . سأكتم السر المجنون — ولقد أراد والدى أن يذهب معهم — ولكن والدتى كانت فى النزع الأخير ، ولم أجسر أن أذهب أنا بدورى.

هيجينز : إذن فقد كنت تريد الذهاب ؟ لقد كنت تؤمن بوجود الكنز ، إذن ؟

نات : بالطبع . ها — ها . كيف كان يمكننى ألا أومن بذلك ؟ لقد آمنت بذلك حتى وفاة والدتى . ثم جن هو — جنونا مطبقا . فبنى هذه القمرة — لكى ينتظر فيها — ثم بدأ يرتاب فى شكى المتزايد كلما مضى الزمن . وإزاء ذلك ، كدليل نهائى ، أعطانى شيئا كان قد أخفاه عنهم جميعا — عينة من الكنز . ها — ها أنظر ! (يخرج من جيبة سوارا ثقيلا مرصعاً بالأحجار — ويلقى به على المنضدة إلى جوار المصباح)

هيجينز : (يلتقطه بفضول وتلهف — كمالو كان ذلك رغماً عنه) جواهر حقيقية ؟

نات : ها — ها ! أراك تريد أن تصدق بدورك . كلا — نحاس مطلى — حلى شعبية من الملايو .

هيجينز : هل أعطيتها لمن يعاينها ؟

نات : أجل ، كغبى أبله . (يعيد السوار إلى جيبه ويهز رأسه كما لوكان يلقى عنها عبئاً ثقيلا) والآن ، أنت تعرف لماذا جن — فى انتظار تلك السفينة — ولماذا كان على فى النهاية أن أسألك أن تحمله إلى حيث سيكون فى أمان . إن الرهن — الذى أدى منه ثمن تلك السفينة — قد حل أجله . وعلينا أن نترك البيت ، أختى وأنا . ولا يمكننا أن نأخذه معنا . ستتزوج هى قريبا . وربما كان إبعاده عن منظر البحر —

هيجينز : (يتكلف) فلنأمل فيما فيه الخير . وأنا أقدرموقفك تمام التقدير . (ينهض مبتسما) وشكراً لك على القصة الشيقة . سأعرف كيف أسرى عنه عندما يهذى عن الكنز .

نات : (باكتئاب) إنه هادىء دائما — غاية الهدوء . انه فقط يمشى جيئة وذهابا — مترقبا —

هيجينز : حسنا ، يجب أن أذهب . هل تظن أنه من الأفضل نقله الليلة ؟

نات : (باقناع واستمالة) أجل ، يادكتور . صحيح إن الجيران — بعيدون عنا ، ولكن — من أجل صالح أختى — أنت فاهم .

هيجينز : مفهوم . سوف يكون — لمثل هذا الأمر — وقع سيء عليها . حسنا — (يذهب إلى الباب الذى يتولى نات فتحه له) سأعود حالا . (يبدأ فى النزول) .

نات : (مستحثا) لاتخيب رجاءنا ، يادكتور . واصعد إلى فوق رأسا . سنكون هنا . (يغلق الباب ، ويسير على أطراف أصابعه بحذر إلى السلم . يصعد بعض درجاته ويقف مصغيا لعله يسمع صوتا ما من فوق . ثم يمضى إلى المنضدة ، ويخفض ضوء المصباح إلى حد بعيد ، ويجلس واضعاً مرفقه على المنضدة مسنداً ذقنه إلى يده متطلعاً أمامه فى كآبة . ينفتح الباب الذى فى المؤخرة ببطء . وينبعث منه صرير خفيف فيقفز نات واقفا على قدميه — ويصيح فى صوت أجش ملؤه الرعب) من هناك ؟ (ينفتح الباب على مصراعيه وتبدو عنده سو بارتيليت التى تصعد الدرجات الباقية وتدخل إلى الغرفة مغلقة الباب من خلفها. وهى امرأة طويلة هيفاء فى الخامسة والعشرين من

عمرها . وجهها شاحب حزين تحيطه هالة من الشعر الأحمر الداكن . وهذا الشعر هو الشيء الوحيد ذو اللون الواضح المعالم فيها ، فشفتاها باهتتان ، وزرقة عينيها الواسعتين الغارقتين في التفكير ذاوية إلى لون رمادي أغبش . وصوتها خافت ينم على القلق والأسى . ترتدي دثارا أسود وتنتعل في قدميها خفين)

سو : (تقف متطاعة إلى أخيها وتقول له محتجة) مامن أحد غيري . مم تخاف ؟

نات : (يحول بصره عنها ويغوص في مقعده ثانية) لاشيء . لم أكن أدري — كنت أعتقد أنك في حجرتك .

سو : (تجيء إلى المنضدة) كنت أقرأ . ثم سمعت شخصاً ينزل السلم ويخرج . من كان ذاك ؟ (ثم ينتابها رعب مفاجيء) إنه لم يكن — أبي ؟

نات : كلا ، إنه هناك فوق — يراقب — كما يفعل دائما .

سو : (تجلس — وتلح في السؤال) من كان ذاك ؟

نات : (مراوغا) رجل — أعرفه .

سو : أي رجل ؟ ماذا يريد ؟ انك تخفي عني شيئا . أخبرني !

نات : (يرفع بصره اليها فى تحد) إنه طبيب.

سو : (منزعجة) أوه ! (بسرعة بديهة) لقد أصعدته إلى هنا — حتى لاأعرف بمقدمه !

نات : (بعناد وشراسة) كلا ، بل دعوته إلى هنا ليرى كيف تسير الأمور — ولكنى أستفسر منه عن حالة أبى .

سو : (كما لو كانت خائفة من الإجابة التى ستتلقاها) أهو أحد منهم — من أطباء مستشفى الأمراض العقلية؟ أو ، يانات ، عسنى ألاتكون —

نات : (مقاطعا إياها — بخشونة) كلا ، كلا ! اهدئى.

سو : سيكون ذلك — مخيفا للغاية .

نات : (فى تحد) لماذا ؟ انك تقولين ذلك دائما . وهل يمكن أن يكون هناك ماهو أكثر إثارة للزعب من الأمور على ماهى عليه الآن ؟ أعتقد — أنهسيكون من الأفضل له — أن يكون بعيداً — حيث لايمكنه رؤية البحر . فسينسى فكرته الجنونية عن انتظار سفينة ضائعة ، وكنز لم يكن له وجود أبدا. (كمالوكان يحاول اقناع نفسه — بحدة) أعتقد ذلك !

سو : (موبخة) انك لاتعتقد ذلك ، يانات . أنت تعرف

أنه سوف يموت إذا لم يعش بمقربة من البحر.

نات : (بمرارة) وأنت تعرفين أن سميث العجوز سينفذ بالرهن على البيت . هل هذا لايعنى بالنسبة اليك شيئاً ؟ اننا لانستطيع الدفع . لقد جاء أمس وتحدث معى ، وهو يعرف أن البيت أصبح له — كما يريد. كان يحدثنى كما لوكنا مستأجرى البيت فحسب ، لعنة الله عليه ! وقد أقسم على أنه سينفذ بالرهن فوراً مالم —

سو : (بفضول) ماذا ؟

نات : (فى صوت عسر) مالم ننقل — والدى — من هنا .

سو : (فى لوعة) أوه ، ولكن لماذا ، لماذا ؟ ماذا يعنى بقاء والدى بالنسبة له ؟

نات : المحافظة على ملكه — على بيتنا الذى أضحى له ، لسميث — الجيران خائفون . إنهم يمرون بالبيت بالليل ، فى طريق عودتهم إلى مزارعهم من المدينة. ويرونه هناك فى أعلى البيت يمشى جيئة وذهابا — ملوحا بذراعيه نحو السماء . انهم خائفون . ويتحدثون عن عزمهم على التقدم بشكوى . ويقولون أن من صالحه أن ينقل من هنا . بل قد بلغ بهم الأمر إلى حد التهامس بأن المنزل مسكون بالأشباح . وسميث

العجوز بدوره يخاف على ملكه ، ويعتقد أنه قد
يشعل النار فى البيت — أويفعل أى شىء —

سو : (بيأس) ولكن لابد أنك قد أفهمته أن من البلاهة التفكير فى مثل هذه الأشياء ، ألم تفعل ؟ وأوضحت له أن والدى هادىء ، وهادىء على الدوام .

نات : ما الجدوى من ذلك — طالما أنهم يؤمنون بخطره — طالما أنهم خائفون ؟ (تخفى سو وجهها بين يديها — برهة صمت — ثم يهمس نات فى صوت مبحوح) لقد انتابنى أنا نفسى الخوف — فى بعض الأحايين.

سو : أوه ، نات ! من ماذا ؟

نات : (بعنف) أوه ، منه ومن البحر الذى يخاطبه ! من البحر اللعين الذى دفعنى هو اليه قسراً عندماكنت صبيا — البحر الذى سلبنى ذراعى ، وجعل منى هذا الشىء المحطم الذى أنا عليه !

سو : (باستعطاف) لايمكنك أن تلوم والدى — بسبب النكبة التى حلت بك .

نات : لقد أخرجنى من المدرسة ودفعنى قسراً إلى سفينته ، ألم يفعل ؟ ماذا كنت سأكون الآن إلا بحاراً جاهلا مثله ؟ أم أنه البحر الذى يجب ألا ألومه ، البحر

الذى أحبط سعيه بأن أخذ منى ذراعى ، ثم ألقى بى على الشاطىء — حطاما آخر من حطامه!

سو : (باكية) ان قلبك مفعم بالمرارة ، يانانت — ومتحجر . لقد كان ذلك الحادث منذ أمد بعيد . لم لا يمكنك النسيان ؟

نات : (بمرارة) النسيان ، ما أسهل الكلام عليك ! عندما يعود توم من السفر ستتزوجان ثم تمضين لتجدى الحياة رحبة أمامك — زوجة قبطان كما كانت أمنا من قبل . أتمنى لك الهناء .

سو : (متضرعة) وأنت ستجىء معنا ، يانانت — وأبى ، أيضا — ثم —

نات : هل تربطين زوجك الشاب برجل مجنون ، وبآخر عاجز ؟ (بعنف) لا ، لا ، لست أنا من يجىء معكما . (بلهجة انتقامية) ولاهو ، أيضا ! (تقفز إلى ذهنه فكرة مفاجئة — ويقول فى ترو) يجب أن أبقى هنا . ان الكتاب الذى أعده قد أوشك ثلاثة أرباعه على الانتهاء — كتابى الذى سيفك إسارى !ولكننى أعلم ، أحس بهذا ، موقنا كيقينى بوقوفى الآن أمامك ، انه يجب أن أنجزه هنا . لايمكننى أن أخلد لنفسى خارج هذا البيت

الذى ولد فيه كتابى. (يتطلع اليها بنظرات ثابتة) ولذلك فسأبقى — رغماً عن الشيطان ! (تبكى سو يائسة . وبعد برهة صمت يواصل حديثه) ولقد أخبرنى العجوز سميث بأنه يمكننى العيش هنا مجانا ، دون أن أدفع شيئا — كخفير للبيت — لو —

سو : (بخوف — بهمسه خافتة كما لوكانت آتية من بعيد) لو ؟

نات : (محدقا اليها — بصوت أجش) لو نجحت فى إرساله — حيث لن يؤذى بعد الآن نفسه — ولا الآخرين .

سو : (بخوف مهول) لا — لا ، يانات ! من أجل أمنا المتوفاة .

نات : (جاهداً) وهل قلت أننى فعلت ؟ لماذا تنظرين إلىّ — على هذا النحو ؟

سو : نات ! نات ! من أجل أمنا المتوفاة !

نات : (مرتعبا) كفى ! كفى ! انها ميتة فى سكينة . هل تريدين أن تعود روحها المتعبة لتنسحق وتثخن بالجروح ؟

سو : نات !

نات : (قابضا على عنقه كما لوكان يخنق شيئا فى داخله — بصوت مبحوح) سو ! إرحميني ! (تحدق إليه أخته متوسلة اليه فى رعب أن يكف عن ذلك ، فيجتهد نات فى أن يهدأ من نفسه ويواصل حديثه فى تؤدة) ولقد قال سميث أنه سيعطيني مائتين نقداً إذا ما بيعت له العقار — وأنه سيتركني أبقى فيه ، بلا إيجار كخفير له :

سو : (باحتقار) مائتان ! لماذا ، طالما أنه يساوى فوق مبلغ الرهن —

نات : ان المهم ليس مايساويه، بل ماذا يمكن أن نقبضه نقداً ، من أجل كتابي — من أجل حريتي !

سو : اذن ، فلهذا يريد الملعون أن يبعد أبى ، لابد أنه يعرف أن الوصية التي كتبها أبى —

نات : تمنحني العقار . أجل ، إنه يعرف ذلك . لقد أخبرته به .

سو : (شاردة اللب) آه ، ما أدنأ الرجال !

نات : (باقناع واستمالة) لو تمت الصفقة — أقول لو تمت فسيكون لك النصف كبائنة لزواجك . لن أغبنك .

سو : (وقد استبد بها الرعب) هذا مال ملوث بالدماء ! هل تظن أنه يمكنني أن أمسه ؟ .

نات : (عاملا على إغرائها) سوف يكون ذلك من حقك. سأعطيه لك .

سو : يا إلهى ، يانات ، هل تحاول رشوتى ؟

نات : كلا ، انه نصيبك العادل . (بابتسامة ملتوية) ثم أنك قد نسيت أننى وارث الكنز ، أيضاً . ويمكننى أن أكون سخياً معك .ها — ها .

سو : (منزعجة) نات ! أنت غريب الأطوار جداً ! أنت مريض ، يانات . فما كنت تتكلم على هذا النحو لو كنت فى حالتك الطبيعية . أوه ، يجب أن نرحل من هنا — أنت وأبى وأنا ! فلنترك سميث ينفذ على البيت . سوف يتبقى لنا شىء من ثمن البيت بعد استنزال قيمة الرهن ، وسننتقل بالباقى إلى بيت صغير — إلى جوار البحر حتى يتسنى لأبى—

نات : (بعنف) أن يواصل عبثه الجنونى بى — هامسا بالأحلام فى أذنى — مشيراً إلى البحر — خادعا إياى بأشياء مثل هذه ! (يخرج السوار من جيبه . وعلاه منظره حنقا ، فيطوح به إلى ركن من أركان الحجرة ، صائحاً فى صوت فظيع) كلا ! كلا ، لقد فات وقت الأحلام الآن . لقد فات الوقت ! لقد خلفتها ورائى هذه الليلة — إلى الأبد !

سو : (تتطلع إليه . وفجأة تفهم أن ماكانت تخشى وقوعه قد وقع فعلا — تسقط رأسها على ذراعيها الممتدتين وبأنة مديدة تقول) إذن — فقد فعلتها ! لقد بعته ! أوه ، يا نات ، أنت ملعون !

نات : (بنظرة رعب إلى السقف أعلاه) هس ! ماذا تقولين ؟ ستتحسن حاله بمنأى عن هنا — بعيداً عن البحـر .

سو : (مثقلة القلب) لقد بعته !

نات : (بعنف) كلا ! كلا ! (يخرج الخريطة من جيبه) إصغى ، ياسو ! بربك ، اصغى إلىّ ! انظرى ! هذه خريطة الجزيرة . (يبسطها على المنضدة) والكنز — هنا حيث وضع الصليب . (يبتلع لعابه بين الفينة والفينة فيخرج الكلام من فمه متقطعا) لقد حملتها معى ، السنين الطوال . أهذا لايعنى شيئا ؟ أنت لاتعرفين مامعنى ذلك . انها تقف حائلا بينى وبين كتابى . ولقد وقفت حائلا بينى وبين الحياة — دافعة إياى إلى الجنون ! لقد لقنّنى أن أنتظر وآمل معه — أن أنتظر وآمل — يوماتلو يوم . لقد جعلنى أشك فى عقلى وأن أكذب عينى — وعندما مات الأمل — وعرفت أن الأمر

كله كان حلما — لم أقو على دفن ذلك الأمل !
(جاحظ العينين) فليسامحنى الله ، لازلت أومن !
وهذا جنون — جنون ، هل تسمعين ؟

سو : (ناظرة اليه فى رعب) وهذا ما يجعلك — تكرهه !

نات : كلا ، أنا لا أكرهه — (ثم بحنق مفاجئ) نعم !
أنا أكرهه ! لقد سلبنى عقلى . يجب أن أحرر نفسى
منه — ومن جنونه .

سو : (مذعورة — متوسلة) لا ، يا نات ! أنت تتكلم
كما لو —

نات : (بضحكة شرسة) كما لو كنت مجنونا ؟ أنت على
حق — ولكنى لن أكون مجنونا بعد الآن ! أنظرى !
(يرفع من لهب المصباح ويشعل النار فى الخريطة
التى يمسك بها فى يده . وعندما يخفت المصباح
مرة ثانية يخفق لهبه ثم ينطفىء . يراقب نات وسو
الورقة وهى تحترق بعيون مأخوذة بينما يقول :)
أنظرى كيف أحرر نفسى وأصبح عاقلا . والآن
إلى الواقع ، كما قال الطبيب . لقد كذبت عليك
بخصوصه . انه كان طبيبا من مستشفى الامراض
العقلية . أنظرى كيف تحترق ! يجب أن يقضى
عليها تماما — ثمرة ذلك الجنون السام . أجل ، لقد

كذبت عليك ــ أنظرى ــ لقد تلاشت ــ إلى آخر ذرة منها ــ والخريطة الأخرى الوحيدة مع سيلاس هورن أخذها معه إلى أعماق المحيط . (يدع الرماد يسقط على الارض ويسحقه بقدمه) انتهى ! لقد تخررت منها ــ أخيرا ! (يبدو وجهه فى منتهى الشحوب ، ولكنه يمضى فى الحديث بهدوء) أجل ، لقد بعته ، اذا شئت القول ــ لانقذ روحى . إنهم قادمون من المستشفى لأخذه ــ (تسمع من أعلى صرخة عالية متحشرجة ، تبدو كما لو كان صاحبها يصيح قائلا «مرحبا بالبحارة» ، ووقع أقدام. ثم يزاح الباب العلوي للسلم محدثا جلبة عالية ، ويندفع تيار من الهواء إلى داخل الحجرة . أما نات وسو فقد أجفلا واقفين على قدميهما ، وظلا متسمرين فى مكانيهما . ينزل القبطان بارتيليت درجات السلم)

نات : (مرتعدا) يا الهى ! هل سمع ؟

سو : هس ! (يدخل القبطان بارتيليت إلى الحجرة . وتحمل قسماته شبها ملحوظا من ابنه ، ولكن وجهه عابس ومهيب أكثر من وجه ابنه ، وقامته أكثر اعتدالا وصلابة وقوة . وتعلو هامته كتلة من الشعر الناصع البياض . وهذا أيضا هو لون

شاربه الاشعث . وعكس ذلك لون وجهه المجعد الذى لوحته الشمس . ويظلل عينيه السوداوين الضاريتين اللتين يتطاير منهما الشر ، حاجبان رماديان كثيفان . ويرتدى سترة ثقيلة مزدوجة الصدر زرقاء ، وسروالا من ذات النوع ، وزوجا من الاحذية المطاطية تغطى ساقيه وترتد عند الركبة)

بارتيليت : (فى حالةمن الفرح الجنونى ، يخطو نحو ابنه ويشير اليه بأصبعه متهما . يتراجع نات منكمشا إلى الوراء خطوة) كنت تعتقد أننى مجنون ، أليس كذلك ؟ إعتقدت ذلك طوال السنوات الثلاث الماضية منذ أشاع أولئك الاغبياء من بحارة السفينة سلوكوم أكذوبتهم اللعينة عن غرق السفينة مارى آلين .

نات : (مبتلعا ريقه بصعوبة — والكلمات تختنق فى حلقه) كلا — يا أبى — أنا —

بارتيليت : لا تكذب ، أيها الكلب ! أنت يا من جعلتك وريثى — قاصدا تنحيتى عن طريقك ! قاصدا سجنى وراء القضبان بدعوى الجنون !

سو : أبى — لا !

بارتيليت : (يلوح لها بيده طالبا منها السكوت) أنا لا أكلمك أنت ، يا بنت . أنت مثل أمك .

نات : (وقد اصفر وجهه للغاية) أبى — هل تعتقد — أنى —

بارتيليت : (بشراسة) الكذب فى عينيك ! لقد قرأته فيهما . لعنتى عليك !

سو : أبى ، رويدك !

بارتيليت : دعينى وشأنى ، يا بنت . لقد اعتقد ذلك . ألم يفعل ؟ ألم يستحل إلى غدار خائن — ساخرا منى قائلا أن الامر كله أكذوبة — ساخرا من نفسه ، أيضا ، لكونه غبيا يؤمن بالاحلام ، كما يسميها .

نات : (مهدئا من روعه) أنت مخطئ يا أبى . أنى أومن بها فعلا .

بارتيليت : (بلهجة المنتصر) أجل ، أنت تؤمن الآن ! ومن ذا الذى لن يصدق ما تراه عيناه الآن ؟

نات : (ساخرا منه) عيناه ؟

بارتيليت : ألم ترها ، اذن ؟ ألم تسمعنى أحييها تحية الوصول ؟

نات : (فى حيرة) تحية الوصول ؟ لقد سمعتك تطلق صيحة . ولكن — تحيى ماذا ؟ — رأيت ماذا ؟

بارتيليت : (عابسا) والآن ، خذ جزاءك ، يايهوذا . (منفجرا) السفينة مارى آلين ، أيها الغبى الأعمى ، عادت من

البحار الجنوبية — عادت كما أقسمت أنها ستعود !

سو : (محاولة أن تهدأ من روعه) أبى . إهدأ . لاشئ هناك .

بارتيليت : (غير منصت اليها — وقد تركزت عيناه كالمسحور على عينى ولده) دخلت المرفأ منذ نصف ساعة — المارى الين — محملة بالذهب ، كما أقسمت لك — سليمة — لاخدش فيها — لقد رست بالميناء ، يا ولد ، كما أقسمت أنها ستفعل — ولكن فات الوقت على الخونة ، يا ولد ، فات الوقت جدا ! لقد كانت تنزل مرساتها عندما أطلقت صيحتى لتحيتها .

نات : (تلمع نظرة مفتونة مسحورة فى عينيه التى تركزت فى ثبات على عينى والده) السفينة مارى آلين ؟ ولكن كيف عرفتها ؟

بارتيليت : ألا أعرف سفينتى ؟ انك لمجنون !

نات : ولكن بالليل — قد تكون أية سفينة أخرى —

بارتيليت : لا يمكن أن تكون سفينة سواها ، أقول لك ! المارى آلين — واضحة فى ضوء القمر . ثم أنسيت الاشارة التى اتفقت مع سيلاس هورن على أن يعطيها لى اذا وصل إلى هذا الميناء ليلا ؟

نات : (ببطء) ضوء أحمر وأخضر على قمة الصارى الرئيسى .

بارتيليت : (بلهجة المنتصر) اذن ، انظر خارجا ان كنت تجرؤ ! (يذهب إلى الكوة التى فى المقدمة اليسرى) يمكنك أن تراها بوضوح من هنا . (بلهجة آمرة) هلا صدقت عينيك ؟ أنظر — ولن تنعتنى بالجنون بعد ذلك ! (ينظر نات من خلال الكوة ويجفل متراجعا وقد ارتسم على وجهه الذهول)

نات : (ببطء) ضوء أحمر وأخضر على قمة الصارى الرئيسى . أجل — أراه كوضح النهار .

سو : (بنظرة قلقة اليه) دعنى أرى . (تذهب إلى الكوة) .

بارتيليت : (يقول لابنه فى رضاء شديد) أجل ، أنت ترى الامور الآن بوضوح كاف — ولكن فات الاوان بالنسبة لك . (يحملق اليه كالمأخوذ) ولقد رأيت أنا من فوق بجلاء هورن وكاتيس وجيمى كانا كا يتطلعون إلى . تعال ! (يذهب إلى السلم وفى أثره نات . ويصعد الاثنان . تنصرف سو عن الكوة ، وقد ارتسمت على وجهها دلائل الخوف والحيرة . وتهز رأسها فى حزن . تسمع من فوق

صيحة عالية من بارتيليت. مرحبا بمقدم السفينة ماري ألين، وتليها صيحة أخرى مماثلة من نات كما لو كانت رجع الصدى بالنسبة للصيحة الاولى. تغطي سو وجهها بيديها ، وقد علت جسمهاقشعريرة . ينزل نات السلم وقد امتلأت عيناه بابتهاج وحشي)

سو : (محطمة) انه في حالة سيئة الليلة ، يا نات . أنت على حق في أن تسري عنه ، فهذا خير ما يمكن عمله له .

نات : (بوحشية) أسري عنه ؟ ماذا تعنين بحق الجحيم ؟

سو : (مشيرة إلى الكوة) ليس ثمة شيء هناك ، يا نات . لا توجد أية سفينة في الميناء .

نات : أنت بلهاء — أو عمياء ! السفينة ماري ألين راسية هناك ، وباستطاعة أي شخص أن يراها بوضوح ، باشاراتها الضوئية الحمراء . لقد كذب أولئك الحمقى عندما ادعوا غرقها . ولقد كنت أحمق ، بدوري ، إذ انخدعت باقوالهم .

سو : ولكن ، يانات ، ليس هناك أي شيء. (تذهب ثانية إلى الكوة) لا توجد أية سفينة . أنظر .

نات : لقد رأيتها ، أقول لك ! من فوق مرآها واضح تماما . (ينصرف عنها ويعود إلى مقعده إلى جوار المنضدة . تتبعه سو متوسلة فى خوف) .

سو : نات ! يجب ألا تسمح بذلك . انكما منفعلين وترتجفان ، يا نات . (تضع يدها على جبينه مسكنة من روعه) .

نات : (يدفعها بعيدا عنه بخشونة) أيتها الغبية العمياء ! (ينزل بارتيليت درجات السلم . وقد تجلت على وجهه نشوة من استحال حلمه حقيقة واقعة)

بارتيليت : لقد أنزلوا قاربا — ثلاثتهم — هورن وكاتيس وجيمى كاناكا . انهم يجدفون الآن متجهين إلى الشاطئ . ولقد سمعت صليل المجاديف . انصت ! (برهة صمت)

نات : (منفعلا) إنى أسمعها !

سو : (التى أتخذت مقعدها إلى جانب أخيها — فى همسة محذرة) انه البحر ما تسمعانه ، يا نات . أرجوك !

بارتيليت : (بغتة) لقد نزلوا إلى الشاطئ . انهم عادوا إلى البرثانية، كما أقسمت انهم سيعودون ، ولابد انهم الآن يقطعون الدرب قادمين .(يقف مصغيا إصغاء .

تاما . يشرأب نات في مقعده إلى الامام : يهدأ صوت الريح والبحر فجأة، ويخيم سكون عميق . وتتدفق ببطء في ارجاء الحجرة كأنها سائل رقراق موجات رتيبة من وهج أخضر كثيف – محيلة المكان إلى ما يشبه أغوار البحر السحيقة عندما يتسلل الضوء إلى مياهها واهنا باهتا)

نات : (يمسك بيد أخته – ويقول لها مختنقا) أنظري كيف تتغير الضياء ! إلى الاخضر والذهبي ! (يرتعش) في أعماق البحر ! غرقت منذ سنين ! (بلوثة) أنقذيني ! أنقذيني !

سو : (تربت على يده مطمئنة) انها ليست إلا ضياء القمر ، يا نات . لاشيء قد تغير . إهدأ ، يا عزيزي ، فليس في الأمر شيء . (الضوء الاخضر يتحول إلى أعمق وأعمق)

بارتيليت : (في نبرة خافتة رتيبة) إنهم يتحركون ببطء – ببطء . إنهما ثقيلان ، أعرف ذلك ، ثقيلان – ذاك الصندوقان . صه ! إنهم تحت عند الباب ، أتسمع ؟

نات : (يقفز إلى قدميه) أسمع ! لقد تركت الباب مفتوحا .

بارتيليت : من أجلهم ؟

نات : من أجلهم .

سو : (مرتعدة) هس . (يسمع صوت باب ناء صفق بشدة بالطابق السفلى من المنزل)

نات : (مخاطبا أخته ــ منفعلا) هاك ! أتسمعين ؟

سو : أنها الريح قد عبثت بالباب .

نات : ليس ثمة ريح .

بارتيليت : ها هم يصعدون ! هيا ، ايها العتاة ! إنهما ثقيلان ــ ثقيلان ! (يسمع وقع أقدام عارية تمشى فى الطابق السفلى ــ ثم تصعد درجات السلم)

نات : هل تسمعينهم ، الآن ؟

سو : إنها ليست سوى الفيران تجرى فى أرجاء البيت . ليس ثمة شئ هناك ، يانات .

بارتيليت : (يندفع إلى الباب ويفتحه على مصراعيه) إدخلوا ، يا اولاد . ادخلوا ! ومرحبا بعودتكم إلى البيت ! (تبزغ فى سكون هيئات سيلاس هورن وكاتيس وجيمى كاناكا ، بلاجلبة ، من السلم إلى داخل الحجرة . ويحمل الاخيران صندوقين ثقيلين مرصعين .. وهورن رجل ذو أنف كمنقار الببغاء

نحيل عجوز يرتدى سروالا رماديا من القطن وقميصاً ممزقاً يكشف عن صدره الكثيف الشعر . وجيمى شاب طويل القامة نافر العروق برونزى اللون من أهالى جزر البحار الجنوبية . ولا يرتدى سوى إزارا يغطى ما بين وسطه وركبتيه . أما كاتيس فهو قصير القامة ربع الجسم ، ويرتدى سروالا من قماش قطنى خشن وقميصا نصفيا أبيض مهلهلا مما يشيع ارتداوه بين البحارة ، ملطخ بصدأ الحديد . والجميع حفاة الاقدام . ويقطر الماء من ثيابهم الرثة المبتلة ، وقد تلبدت شعورهم ، وعلقت بها خيوط رفيعة من الطحالب البحرية . وتحملق عيونهم مرتعبة فى الفضاء إلى لا شئ . وتوحى أجسادهم الغارقة فى الضوء الاخضر بالفساد والتحلل . وتترنح فى رخاوة وبلا تماسك وعلى وتيرة واحدة ، كما لو كانت متأثرة بالتهدجات الممتدة عبر أغوار البحر السحيقة)

نات : (يخطو خطوة نحوهم) أنظرى ! (بخبل) مرحبا بعودتكم ، يا أولاد !

سو : (تجذبه من ذراعه) إجلس ، يا نات . ليس هناك ثمة شئ . ليس هناك احد . أبى — إجلس !

بارتيليت : (مقطبا فى وجه الثلاثة وواضعا اصبعه على شفتيه) ليس هنا ، يا أولاد ، ليس هنا — ليس أمامه (يشير إلى ابنه) فلا حق له ، الآن . تعالوا . الكنز لنا وحدنا . سنذهب به معا . تعالوا (يذهب إلى السلم . ويتبعه الثلاثة . وعند أول السلم يربت هورن بيده على كتف بارتيليث ويلوح له بيده الاخرى ممسكا بقصاصة من الورق . يأخذها بارتيليت منه ويغالب ضحكه جذلا) هذا صحيح — لا حق له — هذا صحيح ! (يصعد السلم ، وتتبعه أشباحهم صاعدة فى ترنح) .

نات : (بخبل) انتظروا ! (يكافح للذهاب إلى السلم)

سو : (محاولة صده عن ذلك) نات — لا تفعل . أبى إرجع !

نات : أبى ! (يزيحها بعيدا عنه ويندفع صاعدا درجات السلم الا انه يصطدم بالباب الذى يبدو انه أغلق فوقه)

سو : (متشنجة — تجرى بعنف إلى الباب الذى فى المؤخرة) النجدة ! النجدة ! (وعندما تصل إلى الباب يظهر الدكتور هيجينز صاعدا درجات السلم على عجل)

هيجينز : (منفعلا) لحظة ، يا آنسة ، ما الخطب ؟

سو : (بشهقة) أبى — هناك فوق !

هيجينز : لا يمكننى أن أرى — أين بطاريتى ؟ (يضيئها ويستقر ضوؤها على وجهها الذى علاه الرعب ، ثم يديرها فى أرجاء الحجرة بسرعة . يختفى فى هذه الاثناء الوهج الاخضر ويعود صوت الريح والبحر من جديد ، ويتدفق ضياء القمر صافيا من خلال الكوات . يندفع هيجينز إلى السلم ، أما نات ، فلا زال يتخبط فى مكانه) رويدك ، يا بارتيليت . دعنى أجرب .

نات : (يفسح السبيل للطبيب متطلعا اليه فى بلادة وشرود) لقد أغلقوه . ولا يمكننى الصعود .

هيجينز : (ينظر إلى أعلى — ويقول بصوت علته الدهشة) ما الخطب ، يا بارتيليت ؟ انه مفتوح على مصراعيه (يبدأ فى الصعود)

نات : (محذرا) إبحث عنهم ، أيها الرجل . إبحث عنهم !

هيجينز : (يصيح من أعلى) عنهم ؟ من ؟ ليس ثمة أحد هنا . (ثم فجأة — منزعجا) إصعد . إحتاج إلى معونتك هنا ! لقد أغمى عليه ! (يصعد نات السلم ببطء —

وتمضى سو فتشعل المصباح ثم تسرع إلى عتبة السلم السفلى والمصباح فى يدها . تسمع جلبة من أعلى ، ثم يعود نات والطبيب إلى الظهور ، حاملين جسد القبطان بارتيليت)

هيجينز : على مهلك ، الآن ! (يضعانه على الاريكة فى المؤخرة . وتضع سو المصباح على الارض إلى جانب الاريكة ، وينحنى هيجينز وينصت لنبضات القلب . ثم يقوم ، هازا رأسه) انى آسف ـــ

سو : (ببلادة وشرود) مات ؟

هيجينز : (مومئا) سكتة قلبية ، على ما ارى . (محاولا التخفيف من وقع المصاب) ربما كان ذلك أفضل ، مما لو ـــ

نات : (كما لو كان فى كابوس) لقد كان هناك شئ سلمه هورن اليه . هل رأيت ؟ .

سو : (معتصرة يديها) أوه ، يا نات ، الزم هدوءك. لقد مات . (تقول لهيجينز فى استعطاف يرثى له) أرجوك إذهب ـــ إذهب .

هيجينز : أليس هناك ما يمكننى عمله ؟

سو : إذهب ـــ من فضلك . (ينحنى لها هيجنز فى

صلابة ، ويخرج : يتجه نات ببطء إلى جثة أبيه ، كما لو كان يجذبه سحر لا يقاوم)

نات : ألم ترى ؟ لقد أعطاه هورن شيئا .

سو : (باكية) نات ! نات ! إبعد عنه ، لا تلمسه ، يا نات . إبعد عنه . (ولكن أخاها لا يصغى اليها، وتتركز نظراته على قبضة ابيه اليمنى التى تتدلى إلى جانب الاريكة ، وينكب عليها محاولا بسط الأصابع المطبقة بجهد جهيد ، ثم يستخرج من بينها قطعة مكورة من الورق)

نات : (يلوح بها عاليا بصرخة الانتصار) أنظرى ! (ينحنى ويبسطها فى ضوء المصباح) أنظرى ! أنه لم يضع منى ،رغم ذلك ! لازالت هناك فرصة — فرصتى ! (معلنا قراره فى مهابة وخبل) عندما يباع المنزل سأذهب — وأجده ! أنظرى ! إنه مكتوب هنا بخط يده : «الكنز مدفون حيث وضع الصليب» .

سو : (مغطية وجهها — محطمة) أوه ، يا إلهى ،تعال ننصرف ، يا نات ! تعال ننصرف !

يسدل الستار

الحبل

The Rope

الشخصيات

براهام بينتلى	Abraham Bently
نى ؛ ابنته	Annie
بات سوينى ؛زوجها :	Pat Sweeney
ارى ؛ ابنتها	Mary
لوقا بينتلى؛ ابن ابراهام من زواج ثان	Luke Bentley

المنظر : مخزن قديم من الداخل واقع على قمة ربوة عالية على ساحل البحر . فى المؤخرة ، إلى اليسار ، مذود كدست فيه كتل الخشب . إلى يمينه باب ذو ضلفتين مفتوح ويطل على المحيط ؛ خارج الباب الآثار الخفيفة لما كان مرة طريقا مؤديا إلى المخزن . وراء الطريق ، حافة صخرة تنتصب مرتفعة من البحر . فى أسفل على يمين الباب ثلاثة مذاود بها علف وبيادر قش . وأول هذه المذاود مستعمل كمستودع للاخشاب وممتلئ إلى النصف بعروق الخشب المكومة . وإلى جوار هذا المذود مسند تقطيع الاخشاب ، وقد غرس فأس فى أعلاه .

القسم الأيسر من المخزن يحتوى على صومعة القش التى ترتفع حوالى اثنى عشر قدما عن أرض المخزن وتمتد يمينا حتى منتصف الباب . الصومعة خالية إلا من بضعة أكوام متناثرة من القش تبدو عليها الرطوبة . من حافة الصومعة فى منتصف المسافة إلى الباب يتدلى حبل طوله حوالى خمسة أقدام بعقدة مفتوحة فى نهايته . وهناك محراث صدئ وعدد زراعية متنوعة أخرى ، كلها تدل على عدم الاستعمال الطويل ، وملقاة على الارض إلى جوار الحائط الايسر.وأبعد من ذلك إلى الامام كرسى قديم ذو قاعدة من الخيزران موضوع إلى جانب الحائط .

وأمام المذاود إلى اليمين منضدة نجار مستطيلة وخشنة الصنع ويبدو أنها من صنع أهل البيت . على المنضدة مناشير ، ومخرطة ،

ومطرقة وأزميل ، وبرميل صغير يحتوى على مسامير وأدوات أخرى مما يستعمل فى حرفة النجارة . وقد وضع مقعدان ، الأول أمام المنضدة والثانى إلى يسارها .

الجانب الايمن من المخزن حائط عار .

الوقت ما بين السادسة والسادسة والنصف مساء يوم من أيام أوائل الربيع . وعندما يرفع الستار ترى من خلال الباب المفتوح بعض السحب المبتعدة فى تثاقل بالقرب من الافق مخضبة قليلا بلون ذهبى من أثر الوهج الاول للغروب . وعندما تتقدم الاحداث يضحى الضوء المنعكس أكثر اشراقا بالتدريج ، ثم يذوى ببطء ليصبح قرمزيا قاتما . البحر فى لون رمادى داكن . ومن الصخور فى اسفل الرابية واللسان تتعالى أصوات الامواج المتكسرة فى رتابة خافتة .

عندما ترتفع الستار تظهر مارى جالسة القرفصاء وقد عقدت ساقيها على الارض ، مسندة ظهرها إلى الجانب الايمن من الباب وقد بدا وجهها فى وضع جانبى . وهى فتاة نحيلة مفرطة النمو فى العاشرة من عمرها ، ذات شعر خفيف أصهب معقوص على شكل ضفيرة . ترتدى ثوبا رثا من قماش قطنى مخطط . وجهها خال فى غباوة من أى تعبير ، ويداها تهتزان من حولها بغير ما هدف فى حركات خرعة متكاسلة . تحدق بنظرات ثابتة إلى دمية من الخرق البالية أسندتها إلى الباب أمامها . وتهمهم مغنية لنفسها جذلة .

وإزاء جلبة مفاجئة من الخارج تقفز على قدميها ، وتختلس النظر إلى الخارج ، وتخطف بسرعة دميتها التى تحتضنها بعنف إلى صدرها . ثم ، بعد وهلة من التردد المريع ، تجرى إلى منضدة النجارة وتزحف تحتها .

وبينما تفعل ذلك يظهر إبرهام بينتلى عند الباب ، ويقف متطلعا خلسة إلى داخل المخزن المعتم . وهو عجوز طويل القامة هزيل منحدر المنكبين ، فى الخامسة والستين ، وتترنح خائرتين تحته ساقاه النحيلتان اللتان كبلهما الروماتيزم . ويسير ببطء مستعينا بعصا غليظة . وجهه هزيل ، أبيض فى لون الطباشير ، متغضن تكسوه التجاعيد ، وتعلوه هامة صلعاء لامعة مهدبة بشذرات من الشعر الابيض . وتلوح عيناه واهنتين من تحت حاجبين كثيفين أسودين . وفمه خط غائر مرتسم تحت انفه الضخم الذى يشبه المنقار ، وتغطى فكيه وذقنه لحية نمت منذ أسبوعين فى رقع من الشعر القصير الخشن . ويرتدى معطفا بنيا رثا وإن كان لا يرتدى قبعة .

بينتلى — (يدخل ببطء إلى المخزن ناظرا من حوله مرتابا . وعندما يصل إلى المنضدة ويتكئ عليها على إحدى يديه . تثب مارى من تحتها وتندفع خارجة من الباب . يجفل بنتلى ثم يلوح بعصاه فى اعقابها) اغربى عن نظرى ايتها الطفلة الكاثوليكية ! يا ذرية الشيطان ! تتجسسين على ! لقد ربوها على ذلك . إنهم يتجسسون على ويراقبوننى . (يعرج متجها إلى الباب ، ويتطلع منه بحذر . وعندما يرضى عما

حوله يقفل راجعا إلى داخل المخزن) يتجسسون ليعرفوا — ما لن يعرفوه ابدا. (ينهض متطلعا إلى الحبل، ويربت عليه بعصاه مختبرا إياه، محدثا نفسه بينما يفعل ذلك) انه مربوط بقوة—بقوة كالموت — (يضحك فى رضاء ضحكة مكتومة) سيرون اذن ! سيرون ! (يجر نفسه بمشقة إلى المقعد، ويجلس منهكا . يتطلع إلى البحر، وينطلق صوته المرتجف فى ترنيمة حزينة) «ويل لنا لأن النهار مال، لان ظلال المساء إمتدت (١) » (يتمتم لنفسه برهة — ثم يتكلم بوضوح) تتجسسين على ! يا ابنة جهنم ! (يعاود ترنيمته) «نصبوا فخاخا لخطواتنا حتى لا نمشى فى ساحاتنا . قربت نهايتنا . كملت أيامنا ، لأن نهايتنا قد أتت» (٢)

(وعندما ينتهى من ترنيمته تدخل آنى وهى امرأة فى الاربعين من عمرها نحيفة رديئة الهندام ، بادية الاجهاد ، ذات وجه رخو مسحوب . وقد اعتادت على تعبير الحنق المكتوم . وتتكلم فى صوت خافت النبرات ، مفعم بالعويل المنغم . وترتدى ثوبا من قماش قطنى مخطط باهت اللون وقبعة شمس ممزقة) :

آنى : (تقبل على والدها ، ولكنها تبقى حذرة بعيدة عن متناول عصاه) أبى ! (لا يجيبها ولا يبدو عليه أنه رآها) أبى ! لعلك غير ناس ما قاله لك الطبيب عندما كان هنا فى المرة الاخيرة ،

(١) الكتاب المقدس — العهد القديم — الاصحاح السادس الاية الرابعة

(١) الكتاب المقدس — العهد القديم — مراثى ارامیا — الاصحاح الرابع — الآية الثامنة عشر

أليس كذلك ؟ قال أن عليك ان تلزم مكانك ، ولا تمضى متجولا . أقفل راجعا إلى البيت يا أبى فقد اقترب وقت العشاء ، وعليك أن تتناول دواءك قبله ، كما يقول .

بينتلى : (يتطلع أمامه بنظرات ثابتة) « لقد تم إثمك يا بنت صهيون. سيعاقب إثمك يا بنت أدوم ويعلن خطاياك(١) »

آنى : (تنتظر مذعنة ــ بسآمة) من الأفضل ان تلقى بالا إلى صحتك ، يا أبى ، وألا تتسلل صاعدا إلى هذا المخزن بعد الآن : يا إلهى ، بمجرد أن أدير لك ظهرى تنفلت أنت متسللا من جديد . ان فى ذلك الكفاية لأن يفقد المرء صوابه .

بينتلى : « هو ذا كل ضارب مثل يضرب مثلا عليك قائلا مثل الأم بنتها (٢) »

آنى : (وقد احمر وجهها غضبا) واذا كنت انا كذلك فانا مسرورة أننى اقتفى اثرها لا اثرك انت ، ايها المشعوذ ! (باحتقار) ويالك من رجل حاذق ان تمضى صائحا بآيات من الكتاب المقدس فى آذننا طوال النهار — انت يا من دفعت امى إلى حتفها بنكدك ، ولاذع قولك ، وبخلك القارص . لو كنت تنوى ان تصلى

---

(٢) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ مراثى ارامیا ـ الاصحاح الرابع ـ الاية الثانية والعشرين

(٢) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ حزقيال ـ الاصحاح ـ السادس عشر ـ الاية الرابعة والاربعون

فيجدر بك ان تخرج إلى الخلاء،وان تجثو إلى جوار قبرها ، وتسأل الله ان يصفح عنك بسبب سلوكك الوضيع نحوها طوال حياتها .

بينتلى : (مغمغما) «مثل الام بنتها»

آنى : (وقد استشاطت غضبا بسبب تكرار هذه العبارة المقتبسة) انت تستشهد بالآيات المقدسة ! لعمرى ، لم يكن قد برد جثمان أمى فى القبر بعد، عندما ذهبت إلى البندر تغازل امرأة أخرى — تغازل تلك العاهرة التى كانت سمعتها على لسان المدينة كلها ! ثم لطخت نفسك ولطختنى بالعار بزواجك منها — منها — وإحضارها معك إلى البيت ، بينما كنت لا أزال أذهب كل يوم لأضع الزهور على قبر أمى التى نسيتها. (تصوب نحوه نظرات حاقدة، وتتوقف لتلتقط أنفاسها) وفى تلك الأثناء كنت ستدفعنى أنا إلى القبر مثل ما فعلت بأمى ، لكننى تزوجت بات سوينى حتى أنجو بنفسى وأحيا فى سلام . ثم تظاهرت بأنك قد أخذتك الأنفة لأنه كان كاثوليكيا — وادعيت التدين فجأة لمجرد النكاية بى ، لأنى رحلت — ولأنها حرضتك على ، فمضيت تقول أن الزواج من كاثوليكى خطيئة ، فى حين أنك انقطعت عن قداس الأحد منذ أكثر من عشرين سنة !

بينتلى : (بصوت مرتفع) « سيعاقب اثمك — »

آنى : (مقاطعة) ولا أنسى المتاعب التى لاقيتها طوال الست سنوات فى البيت — والعار الذى تعرفه البلد بأسرها — بعد أن هجرتك زوجتك، أجل زوجتك، بطفلها الذى ادعت أنه ولدك، بينما كانت تذهب مع هذا الفلاح وذاك، بل حتى مع الرجال النازلين من السفن فى الميناء وأنت تغمض عينيك عن ذلك . ثم عندما سأمتك تركتك وهربت — لتلقى حتفها ولم يمهلها الله أكثر من سنة — تركتك وحيدا ومعك — ذلك الذى أسمته إبنك — لوقا ، ولم يتعد الخامسة من عمره !

بينتلى : (هاذيا) لوقا ؟ لوقا ؟

آنى : (معيرة إياه) أجل ، لوقا ! « مثل الأم ابنها » — هذا ما يجب ان تقوله، بدلا من أن تصب اللعنات على أنا. ولقد سرك غاية السرور أن أعدتنى إلى البيت مرة أخرى ، وبات معى (فى غيرة) كنت مغرما بلوقا طوال هذه السنين — وماذا كان رده عليك ؟ سرق نقودك وهرب،وتركك بمجرد أن بلغ السادسة عشر من عمره،وأضحى قادرا على أن يقدم العون . وقال

لك فى وجهك أنه سرقك، وأنه راحل. ولم يفعل إلا أن قهقه ضاحكا عندماجن جنونك، وصببت عليه اللعنات: وما كان منه إلا أن استغرق فى الضحك عندما علقت ذلك الحبل السخيف هناك (تشير اليه) وقلت له أن يشنق نفسه به اذا ما حدث وعاد إلى البيت مرة أخرى —

بينتلى : (مغمغما) سترين، اذن . سترين !

آنى : (خائرة النفس — وقد علت وجهها البلادة وبرود الطبع مرة أخرى) وأعتقد أننى أكثر منك حمقا ، إذ أجادل مخلوقا أبله : ولكننى أقول لك مرة أخرى أن ابنك لوقا ذاك لن يعود ، واذا فعل فانه ليس ممن يشنقون أنفسهم . وهذا أدعى إلى الأسف . إنه على شاكلتها . والأكثر احتمالا أنه قد يشنقك أنت لو أنه اشتبه فى أن لديك بعض المال . فيجدر بك أن تنزع ذلك الحبل الكريه الذى ربطته هناك منذ أن رحل هاربا. من المحتمل أن يكون قد مات ، على أى حال .

بينتلى : (مرتعبا) كلا ! كلا !

آنى : الأشرار الذين على شاكلته يلقون حتفهم بغتة : (منفعلة) يا لله ، يا أبى ، ها أنا أناقش أفكارك الجنونية

بينما العشاء لم يجهز . تعال ، وتناول دواءك . أنت ترى أن لا أحد قد مس حبلك العتيق . تعال ! بوسعك أن تجلس وتقرأ إنجيلك . (لا يبدى حراكا . تقترب منه وتحدق فى وجهه — متشككة) ألا تسمعنى ؟ أرجو ألا تكون قد انغمست فى إحدى نوباتك التى لا تعرف فيها أحدا . أتعرف من ذا الذى يكلمك ؟ هذه آنى — آنى ابنتك ، يا أبى .

بينتلى : (منفجرا فى سورة من الغضب والارتجاف) لست ابنتى ! يا ابنة جهنم ! (بحركة سريعة يضربها ضربة شريرة على ذراعها بعصاه . تطلق صرخة ألم وتتراجع مبتعدة عنه ممسكة بذراعها)

آنى : (باكية فى غضب) ذلك ما أناله من محاولتى أن أكون طيبة معك ، أيها الشيطان العجوز الدميم ! (يسمع صوت خطوات رجل من الخارج ، ويدخل سوينى . وهو رجل ايرلندى ، ربع الجسم ، مفتول العضلات ، أشقر الشعر بلون الرمل ، ويرتدى سروالا مرقعا خشن القماش حشر طرفاه فى حذائين مرتفعى الرقبة برباط ، وقميصاً قطنيا أزرق . ويبدو وجهه النحيف فى رأسه الكروى كما لو كان مضغوطا نحو الداخل ، ما عدا فكه الثقيل الذى يبرز منبثا عن الشكاسة . وثمة تعبير

من المكر الوضيع والجشع يعلو فمه وفى عينيه الزرقاوين الصغيرتين . ويبدو عليه واضحا انه كان يتعاطى الخمر ، فوجهه محمر وقد ارتسم عليه تجهم غاضب)

سوينى : أليس لديك أى عشاء معد على الاطلاق، أيتها الكسولة القذرة ؟ (متبينا أنها كانت تبكى) ما الذى يجعلك تبكين ؟

آنى : إنهـا غلطته . كنت أحاول أن آخذه إلى البيت ، ولكنه جد متشبث بموقفه حتى أننى لم استطيع أن أزحزحه عنه . ولقد ضربنى على ذراعى بعصاته عندما اقتربت منه .

سوينى : أفعل! أفعل؟سأعلمهالأدب حالا . (يتقدم نحوبينتلىمهددا)

آنى : (ممسكة بذراعه) لا تلمسه ، يا بات . انه فى إحدى نوباته ، وربما قتلته .

سوينى : وسيكون فى ذلك الخلاص الطيب منه !

بينتلى : (بفحيح) أيها الكاثوليكى ! (مرتلا) «أسكب غضبك على الامم التى لم تعرفك و على العشائر التى لم تدع باسمك، لانهم أكلوا يعقوب . أكلوه وأفنوه وخربوا مسكنه» (١)

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ ارميا ـ الاصـــحاح العاشر ـ الاية الخامسة والعشرين .

سوينى : (يرسم علامة الصليب بحركة تلقائية — ثم باحتقار) إقذف على اللعنات حتى تختنق . من غير المحتمل أن يكون الله عز وجل مصغيا إلى خاطئ شرير عجوز مثلك (الى آنى) ما الذى حدا به إلى الصعود هائما إلى هنا ؟ عندما تركت البيت إلى المدينة كان يبدو عليه انه من الضعف بما لا يقوى معه على أن يرفع قدميه.

آنى : أوه، إنها ذات الفكرة التى دأبت على التسلط عليه منذ رحل لوقا . أراد أن يتأكد من أن الحبل ما زال هنا .

بينتلى : (مشيراً إلى الحبل بعصاه) هى — هى ! سيعود لوقا ، وعندئذ سترون . سترون !

سوينى : (بعصبية) كفى تلك الثرثرة المجنونة ، بحق السماء ! (بضحكة مفتعلة) يجدر بى أن أفرط فى الضحك منك وأنت على جنونك هذا من أجل اعتقادك أن ذلك اللص ابنك قد يعود ليشنق نفسه من جراء لعناتك . خمس سنوات مضت منـــذ أن رحل ، ولم نره على الاطلاق ، وأنت تلعنه وتبتهل إلى الله أن يصب عليه جام غضبه ليل نهار . ومن هذا تبدو لنا قيمة لعناتك عند الله — وقد أصم أذنيه عنك !

آنى : لا جدوى من التحدث اليه ، يا بات .

سوينى : إن كنت أشك فلا أشك فى أن لوقا ذاك قد شنقه رجال الشرطة منذ أمد طويل. لا يمكن أن يكون ذلك الفتى قد انتهى إلى مصير حسن ، . (وقد استقرت نظراته على الحبل) سوف أقتلع ذلك الشئ من مكانه . هذا ما سوف أفعله ، وعندئذ ربما لزم ذلك الوغد العجوز البيت إلى حيث ينتمى . (يسعى رافعا يده إلى الحبل كما لو كان يحاول أن ينتزعه . يلوح بينتلى بعصاه فى الهواء بجنون، ويزمجر غاضبا)

آنى : (مرتاعة) دعه وشأنه، يا بات . انظر اليه ، فربما يؤذى نفسه . دع حبله فى مكانه . لا ضرر منه .

سوينى : (يبتعد محجماً) إنه يبدو قبيحاً معلقاً هناك كفم مفتوح. (يغوص الرجل العجوز الى الوراء،ويهدأ مرتاحا . يتكلم سوينى إلى زوجته فى صوت خفيض) أين الطفلة ؟ إستدعيها لتأخذه خارجا من هنا . أريد أن أكلمك كلاما لايسمعه هو . (تذهب إلى الباب وتصيح منـــاديه) ما — رى ! ما — رى ! (تسمع صيحة إجابة خافتة ، ثم بعد برهة تندفع مارى داخلة إلى الحرن مبهورة الأنفاس. يمسك بها سوينى من ذراعها فى خشونة . تبتعد عنه متكمشة متطلعة اليه بنظرات ملؤها الرعب) عليك أن تأخذى جدك إلى البيت — وأن تعنى بان يظل هناك .

آنى : وأعطيه دواء .

سوينى : (وإذ تمضى الطفلة فى التطلع صامتة اليه بعينين بلدهما الرعب يهزها بصبر نافذ) أتسمعيننى ، الآن ؟ (إلى زوجته) إنها ضعيفة العقل غبية . ذلك مؤكد، كما سبق أن قلت لك دائماً ، وأنت نفسك لست راسخة العقل فى بعض الأحيان ، كان الله فى عونك ! وانظرى اليه ! إن اللعنة بعقل أسرتك أنت ، لا أسرتى أنا.

آنى : لقد كنت تشرب الخمر فى المدينة ، وإلا ماتكلمت على ذلك النحو .

مارى : (مولولة) أماه ! أنا خائفة !

سوينى : (يتخلى عن ذراعها ويقترب من بينتلى) إنهض، واخرج من هنا ، أيها الأحمق العجوز ، واذهب مع مارى. ستأخذك إلى البيت . (يحاول بينتلى أن يضربه بالعصا) أوهو ، أتجرؤ حقا ! ؟ (يمكسك بالعصا من يدى الرجل العجوز) بئس مصيرك، أيها المخادع! إنهض الآن ! (يجذبه واقفا على قدميه) هيا ، ياماري ، خذى يده . بسرعة الآن ! (تفعل ذلك ، مرتعشة) قوديه إلى البيت .

آنى : اذهب، يا أبى. وسأحضر ، وأجلب لك عشاءك بعد لحظة .

بينتلى : (يقف فى عناد ويبدأ مترنما) « رأيت يارب ظلمى . أقم دعواى . رأيت كل نقمتهم . كل أفكارهم على(١) »

سوينى : (دافعا بينتلى نحو الباب وهو يحاول المقاومة . تجذبه مارى من يده بمرح صبيانى ، وتضحك ضحكة عالية)

هيا ، إمض الآن ، وكفاك لعنات.

بينتلى : « رد لهم جزاء يارب حسب عمل أياديهم » (٢) .

سوينى : اسكت عن هرائك الصاخب ! هاك عصاك . (يعطيها للرجل العجوز عندما يصل والصبية إلى الباب . ويتراجع بسرعة مبتعداً عن متناول العصا) وحذار أن تلمس الصبية بها ، وإلا أوسعتك ضربا حتى تصبح عجينا ، وانت على ما انت عليه من شيخوخة .

بينتلى : (مقاوما جهد مارى لجذبه خارجا ، يقف ملوحا بعصاه لسوينى وزوجته) . « إعطهم غشاوة قلب لعنتك لهم . إتبع بالغضب وأهلكهم من تحت سموات الرب » (٣) .

مارى : (تجره من يده منفجرة من جديد فى ضحكة مجلجلة)

---

(١) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ مراثى ارميا ـ الاصحاح الثالث ـ الايتان الستون والحادية والستون .

(٢) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ مراثى ارميا ـ الاصحاح الثالث ـ الآية الرابعة والستون .

(٣) الكتاب المقدس ـ العهد القديم ـ مراثى ارميا ـ الاصحاح الثالث ـ الايتان الخامسة والستون والسادسة والستون .

تعال ، يا جدى . (يترك نفسه ليقاد خارجا من اليمين)

سويني : (راسما علامة الصليب خلسة — يتنهد بارتياح) لقد ذهب ، شكراً لله ! لسانه مثل لسان الثعبان ! (يجلس على المقعد إلى يسار المنضدة) تعالى هنا ، يا آنى ، حتى أكلمك . (تجلس على المقعد أمام المنضدة يغمز سويني فى غموض) حسنا ، لقد رأيته ، بكل تأكيد .

آنى : (بغباء) من ؟

سويني : (بحدة) من ؟ من سوى ديك والير ، المحامى ، الذى ذهبت لرؤيته . (مخفضا صوته) وقد اكتشف ماكنا نرغب فى معرفته . (بضحكة) قلت انى شربت خمراً — وهذا صحيح ، ولكن كان ذلك كله فى نطاق الخطة التى دبرتها . إن رأسى تحتمل الخمر القوية ، كما تعرفين ، أما هو فلا . (يغمز بمكر) وقد أطلق الويسكى لسانه حتى قال كل ماكان يعرفه .

آنى : أخبرك — عن وصية والدى ؟

سويني : لقد فعل . (قانطا) لكن رغم كل ما أفادنا به لم يزدنا علماً عماكنا عليه من قبل . (يروح فى التفكير برهة فى صمت — ثم يضرب المنضدة بقبضته غاضبا) لعنة الله على العجوز الشحيح !

آنى : ماذا قال لك ؟

سوينى : لم يقل الكثير أول الأمر . إنه شخص ذكى ، ويطلب أجراً لكى يخبرك حتى باسمك ذاته ، لوأمكنه أن يعرفه . ولكن خبرته كلها تقطر منه فى الايام الأخيرة بسبب الخمر . ومن ثم تظاهرت باننى إنما أزوره زيارة ودية فحسب باعتبار أننى لم أره منذ سنين ، ثم دعوته إلى تناول قطرة من الشراب ، عالما بنقطة ضعفه ، وتناولنا الأقداح تلو الأقداح ، وأنا أدفع حسابها ، ثم دخلت إلى الموضوع مباشرة وسألته عن الوصية – لأن الرجل العجوز جن جنونه ، ويقف على قدميه الوقفات الأخيرة – هذاما قلته له ، وكان هو المحامى الذى باشر الوصية عندما رحل لوقا . فغمز لى وتجهم – وكان قد سكر إذ ذاك – ثم قال : « لافائدة يابات . لقد أوصى بالمزرعة للفتى » فاجبته لتذهب المزرعة إلى الجحيم ، إن الرهن يستغرقها تماما ، ولكن ماذا عن النقود ؟ » فنظر إلى فى دهشة وقال « النقود؟ » فقلت « النقود التى كانت معه » . فأجابنى قائلا « انت مجنون ، لم تكن هناك أية نقود – المزرعة فقط » فسألته « هل تعنى أنه لم يشر إلى النقود فى وصيته؟ » وكان بامكانك أن توقعينى أرضا بكل

سهولة ، إذ قال « انه لم يفعل — أقسم لك » (يميل سوينى نحو زوجته حانقا) والآن ، ماذا تستخلصين من ذلك ؟ لعنة الله على الشيطان العجوز !

آنى : ربما كان والدى يكذب .

سوينى : كلا ، لم يكن يبدو ذلك على وجهه . لقد دهش عندما سمعنى أتكلم عن نقود .

آنى : ولكن الألف دولار التى حصل عليها أبى من الرهن قبيل هرب تلك المرأة —

سوينى : وأنا أعمل بيدى كعبد رقيق لكى أمضى فى سداد الفائدة !

آنى : ماذا يمكن ان يكون قد فعل بتلك النقود ؟ لا يمكن ان يكون قد صرفها . كانت عشرين قطعة من الدولارات الذهبية ، انا اذكر ان السيد كيلار الذى يعمل فى البنك أخبرنى بذلك مرة .

سوينى : ولا بنساً واحداً صرف . انت تعرفين ، تماما كما أعرف أنا . لولا كدى وكفاحى لكان فى هذه اللحظة فى ملجأ الفقراء ، أو فى مستشفى المجانين. وهذا أكثر احتمالا .

آنى : هل تعتقد أن تلك الفاجرة قد هربت بها ؟

سوینی : لا أعتقد، ولكنني أعرف ماهو أكثر تأكيداً من ذلك — وانت أيضاً تعرفين . ألا تذكرين الخطاب الذى كتبته تقول له فيه أن بوسعه أن يعول لوقا من النقود التى حصل عليها مقابل الرهن الذى وقعت عليه معه ، لأنه نقل اليها ملكية المزرعة عندما تزوجها . ثم من أين تعتقدين أن لوقا حصل على المائة دولار التى سرقها ؟ لابد أن الأحمق العجوز كانت معه نقود فى ذلك الوقت ،من خمس سنوات فحسب.

آنى : لقد خبأها فى مكان ما من البيت. هذا أكثر احتمالا.

سوینی : ربما كنت على صواب . سأنقب فى القبو هذه الليلة عندما ينام . لقد ألف أن ينزل إلى هناك كثيراً ،وهو يتلو آيات من الكتاب المقدس غارقا فى نوباته .

آنى : ماذا قال لك والبر خلاف ذلك ؟

سوینی : لاشىء يذكر ، سوى أننا يجب أن ننشر إعلانات فى الجرائد بشأن لوقا ، وإذا لم يعد بعد سبع سنوات من رحيله — أى بعد سنتين من الآن — فان المحاكم ستقرر أنه قد مات وتعطينا المزرعة . وما فائدتها لنا الآن ، بحق الشيطان ونحن لانملك مالا لنتولاها بعد أن خربها للعجوز منذ سنين مضت ،فقد باع كل شىء من أجل شراء ثياب جديدة لتلك القذرة .

آنى : ألا يتوصل الناس إلى إبطال مثل تلك الوصايا أمام المحاكم ؟

سوينى : قال والبر انه لا جدوى من ذلك . فقد كان الشيطان العجوز فى كامل قواه العقلية عندما أبرمها، والمحاكم تكلف مالا .

آنى : (مستسلمة) ليس ثمة ما يمكننا أن نفعله إذن .

سوينى : كلا ، إلا أن ننتظر وندعو الله أن يكون ذلك الفتى اللص قد مات ، فلا يعود ثانية، ونحاول أن نجد أين خبأ الرجل العجوز الذهب ، لو أنه لا يزال فى حوزته حتى الآن . لو لم يكن أباك لأمسكت به من عنقه ورججته حتى يخبرنى أين ذلك الذهب .

(يخرج من جيب سترته زجاجة مليئة من الويسكى ويتناول منها جرعة كبيرة) آه ! لو كانت لدينا فقط الألف جنيه لمونا المزرعة تموينا جيداً ، ولتركت لعبة الكلاب القذرة تلك . (يشير إلى أدوات النجارة بازدراء) ولعمل كلانا بجد ، ومعنا رجل أو إثنان للمعاونة ، وفى ظرف بضع سنوات نصبح من الأغنياء فقد كانت المزرعة مكانا منتجا فى الأيام الخوالى .

آنى : أجل ، أجل ، كانت دائما مزرعة طيبة إذ ذاك :

سوينى : لن يبقى فى وعيه طويلا ، هذا ماقاله لى الطبيب .
ونوبته المقبلة قريبة جدا ، وبعدها سيضحى
مجنونا بمعنى الكلمة ، ويفقد أهليته القانونية فى كل شىء
آه ، لوكانت النقود فى حوزتنا فحسب ! — ستكون
طامة كبرى لو أن الأحمق العجوز قد نسى أين وضعها ،
وهو على وشك أن يفقد صوابه كلية . (يتناول جرعة
أخرى من الزجاجة ، ثم يعيدها إلى جيبه — متنهداً) آه ،
حسناً ، سأدخر ما يمكننى وبعد سنتين — متى لازمنى حسن
الحظ فى التجارة — ربما جمعت مافيه الكفاية .
(يجفل كلاهما ازاء خطوات ثقيلة تنبىء بشخص يقترب
فى الخارج . كما تسمع ضحكة مجلجلة من ضحكات
مارى ، وصوت عميق لرجل يتحدث معها)

سوينى : (قلقا) إنها مارى ، ولكن من ذا الذى معها ؟ إنه
ليس هو (إذ يفرغ من قوله ، يظهر لوقا عند الباب ،
ومارى تتراقص ممسكة به من يــده . وهو فتى
ممشوق القامة ، فى حوالى الخامسة والعشرين ، ذو ملامح
خشنة ، ووجهه أميل إلى الملاحة ، وقد لوحته
الشمس بلون برونزى . وجهه تعوزه ملامح الذكاء غير أن
هذا مغتفر بعض الشىء بسبب دماثة طبعه ، وانفراجة
فمه التى لاتخلو من الحماقة ، وضحكته النابعة عن

القلب ، وشعره ذى الخصلات السوداء ، وقدر معين من النزق والطيش وعدم اكتراث الشباب باد فى نبراته وحركاته . على أن فمه ينم عن الضعف وانعدام الشخصية . وعيناه البنيتان واسعتان، لكنهما يقظتان دائبتا الحركة فى مكر. ويرتدى قميصا أزرق داكن اللون من الصوف وسروالا أزرق مرقعا وحذاء خشنا مما يرتديه البحارة وقبعة رمادية. يخطو داخلا وقد علت شفتيه ابتسامة ساخرة ، إلى أن يقف تحت الحبل مباشرة . ينظر اليه الرجل والمرأة فى دهشة بالغة) .

آنى : لوقا !

سوينى : (راسما علامة الصليب) رحماك ربى — إنه هو !

مارى : (تقفز قفزات عنيفة): إنه خالى لوقا ، خالى لوقا ، خالى لوقا !

(تجرى إلى أمها ، التى تدفعها بعيداً عنها غاضبة) .

لوقا : (متطلعا اليهما بابتسامة عابثة) بكل تأكيد إنه لوقا — عاد بعد خمس سنوات من التجوال حول الأرض العتيقة البالية على ظهر السفن وما شاكلها . لقد نقدت أجرى منذ أسبوع مضى — وانفلت منطلقاً — ثم فكرت أن آتى إلى هنا — ورحت أتخبط فى طريقى

وها أنذا ، وأنتما ترتعدان حتى تكادا تموتان فرقاً ، إذ ترياني ، اليس كذلك ؟ — وكأنني الجحيم ! (يضحك ويمضى إلى آنى) ألا تريدين حتى مصافحة أخيك العزيز الذى فقد منذ أمد طويل يا آنى ؟ انى أذكر أن العلاقة بينى وبينك كانت جد طيبة — مثل الجحيم !

آنى : (تنظر اليه نظرة كراهية تقطرسما) إحتفظ بيديك لنفسك .

لوقا : (مبتسما ببرود) انك لم تتغيرى ، ذلك مؤكد —فقط أصبحت أكثر ترحيبا بضيوفك عن ذى قبل . (يستدير ملتفتا إلى سوينى الذى علاه العبوس) وماذا عنك أنت ، أيها الأخ بات ؟

سوينى : إننى لا أحط من شأن نفسى وأصافح يد—

لوقا : (وقد شابت صوته رنة تهديد) حذار من ذلك الذى تقول ! أنا لست رقيقاً يسهل مراسى ، كما كنت وأنا صبى ، فلاتنس ذلك .

نى : (موجهة كلامها إلى مارى التى تلعب بدولار فضى كانت تخفيه فى قبضة يدها — بحدة) مارى ! ماهذا الذى معك ؟ من أين حصلت عليه ؟ أحضريه إلى حالا ! (تضم مارى الدولار إلى صدرها وتظل واقفة قرب الباب فى صمت عنيد) :

لوقا : أو ، دعيها وشأنها ! ما الذى يضايقك ؟ ليس ذلك سوى دولار فضى أعطيتها إياه عندما التقيت بها أمام البيت . أخبرتنى إنك هنا ، فاعطيته لها هدية لتشترى به حلوى : لقد حصلت عليه فى فريسكو — إنهم يسمونها عجلات العربة . ولم أر شبيها له هنا قط ، فأحضرته معى فى رحلتى :

آنى : (غاضبة) لا أعرف من أين جلبته ولايعنينى —ولكننى أعرف أنك لم تحصل عليه بطريق شريف . مارى ردى اليه ذلك حالا ! (تتردد الصبية وتدق الأرض بقدمها غاضبة) أتسمعين ؟ (تشرع مارى فى البكاء بصوت خفيض ولكنها تذهب إلى لوقا وتعطيه الدولار)

لوقا : (آخذا إياه ، ملقيا نظرة اشمئزاز إلى أخته من أبيه) كنت على حق عندما قلت أنك لم تتغيرى ياآنى . إنك دنيئة كريهة كما كنت على الدوام : (موجها كلامه إلى مارى مطيبا خاطرها) لاتبكى ، يا صبية ، سأخرج أنا وانت إلى حافة الصخرة ، هنا ، ونطوح بعض الحجارة إلى المحيط كما كنا نفعل ، أتذكرين؟ (تتوقف دموع مارى على الفور وتتطلع اليه مشرقة العينين ، وتصفق بيديها)

مارى : (مشيرة إلى الدولار الذى يمسكه فى يده) إقذف هذا ! إنه منبسط وسيثب طافيا على الماء .

اوقا : (مبتسما ببرود) هكذا يكون الكلام،أيتها الصبية . ذلك ماهو صالح له — أن تلقى به بعيداً، لا أن تخبئيه كما يقول لك أهلك البخلاء . هاهو ! خذيه وطوحى به بعيداً. إنه ملكك. (يعطيها الريال وتمضى قفزاً إلى الباب . يستدير إلى بات مبتسما ببرود) إننى أعلم صبيتك أن تكون مبسوطة اليد مثل تايت — واد . أرجو ألايكون لديك أى إعتراض .

مارى : (وقد عيل صبرها) تعال ، ياخالى لوقا ، راقبنى وأنا أقذفه .

اوقا : حسنا (إلى بات) سأخرج لحظة وأعطى لكما فرصة لكى تطرحا من صدريكما كل أفكاركما القذرة عنى (مهددا) ثم سأعود لأكلمكما كلاما جدياً. مفهوم ؟ إننى لم أعد إلى هنا للمزاح ، وكلما أسرعتما فى وضع ذلك نصب عينيكما كان أفضل .

مارى : تعال، وراقبنى !

اوقا : حسنا ، أنا آت . (يمضى خارجا ويقف مسنداً ظهره إلى الباب يساراً ، ومارى على مبعدة حوالى ستةأقدام خلفه ، على الجانب الأخر من الطريق . تطل إلى أسفل متكئة على حافة الصحرة ، وتضحك منفعلة)

ماری : هل يمكننى أن أقذفه، الآن ؟ هل يمكننى ؟

لوقا : لاتقتربى كثيراً من الحافة ، يا صبية . الماء عميق فى أسفل هناك ، وستصبحين فأرا غارقا لوزلت قدمك . (تنسحب إلى الوراء خطوة) طوحيه عندما أعد ثلاثا. استعدى، الآن ! (تجذب ذراعها إلى الوراء) واحدة! اثنتان ! ثلاث ! (تقذف بالريال بعيداً، وتنحنى مطلة إلى أسفل لتراه وهو يصطدم بالماء)

ماری : (تصفق بيديها وتضحك) لقد رأيته ! لقد رأيته يرتطم بالماء ! إنه استقر فى الأعماق هناك ، الآن، أليس كذلك ؟

لوقا : لاشك فى ذلك ! والآن ، أنظرى كيف يمكننى أن أقذف بالحجارة بعيداً . (يلتقط قطعتين من الحجارة ويذهب إلى حيث تقف . وأثناء الحديث التالى بين سوينى وزوجته يواصل اللعب مع مارى على هذا النحو . ويمكن سماع أصواتهما، لكن الكلمات لايمكن تمييزها)

سوينى : (يلقى نظرة وجلة نحو الباب — ويتنهد فى عمق) هات سيرة الشيطان يحضر ! . (بغضب) يطوح بالدولارات ، اللص القذر ، ونحن بلا —

آنى : (مقاطعة إياه) أسمعت ماقاله ؟ ان لصا مثله لا يمكن أن يكون قد عاد دون أن يكون ثمة أمر وراء مجيئه .
(مخفضة من صوتها) هل تعتقد أنه يعلم أن المزرعة قد أوصى له بها ؟

سوينى : (قلقا) ومن أين له أن يعلم ؟ ومع ذلك ـ لا أعرف ـ (وقد اتخذ قراراً مفاجئاً) من الأفضل أن تتركيه لى حتى أكتشف الأمر . إن من قلة العقل إلا تخفى عنه بغضك له . إنك جد حمقاء مثل سائر بنات جنسك. وهو يحتاج إلى مسايرته لنخدعه ونتبين مايريده . سأتظاهر بأننى أتصاحب معه ، وليلق الله بروحه إلى الجحيم ! وعليك أن تهرعى إلى البيت، وتعلنى الخبر للرجل العجوز ، لأنه لورآه على حين غرة فمن المحتمل أن تطيح عنه البقية الضئيلة التى بقيت له من عقله ، ومن ثم يتسنى للص أن يأخذ المزرعة منا غداً ، لوأطبق الجنون على العجوز.

آنى : (ناهضة) سأخبره بالأمر رويداً رويداً حتى يعرف.

سوينى : كونى حذرة ، وإلا سنفقد المزرعة هذه الليلة .
(تهم بالمضى نحو الباب، يتكلم سوينى بغتة فى صوت غريب مذعور) هل رأيت لوقا عندما خطا أولى

خطواته داخلا علينا ؟ لقد وقف هناك وأنشوطة الحبل تكاد تلمس رأسه . كم كان بودى — (يتردد)

آنى : (بكراهية) كان بودى أن تنعقد الأنشوطة حول رقبته وتخنقه . هذا ما كنت أتمناه ، أن يشنق نفسه ، تماما كما يقول أبى .

سوينى : ششش ! قد يسمعك . إذهبى الآن . إنه عائد .

مارى : (متشبثة بذراع لوقا وهو عائد إلى الباب) دعنى أرمى واحداً آخر ! دعنى أرمى واحداً آخر !

لوقا : (يدخل فى اللحظة التى تهم آنى بالخروج فيها ويوقفها) أذاهبة إلى البيت ؟ ألن نتناول أى عشاء ؟ أنا جائع .

آنى : (تحدق اليه ، ولكنها تتمالك غضبها) أجل .

لوقا : (جذلا) عمل طيب ! وأخبرى الرجل العجوز أنى هنا ، وسأراه بعد هنيهة . سيسر لرؤيتى ، هو أيضاً — مثل الجحيم ! (يخطو قدما . تمضى آنى إلى الخارج يمينا)

مارى : (تجذبه من يده بصرخة غاضبة) دعنى أرمى واحداً آخر . دعنى — .

لوقا : (مقصيا إياها عنه) هناك الكثير من الحجارة ، يا صبية ، فاقذفيها . أما الدولارات فليست بتلك الوفرة .

ماری : (صارخة) لا ! لا ! لا أريد أن أقذف حجارة . دعنى أقذف واحداً أخر منها .

سوینی : (بحزم) دعى خالك وشأنه ، أيتها الصبية ! (تشرع فى البكاء) إجرى ساعدى أمك حالا،وإلا ضربتك ضربا موجعا. (تجرى ماری خارجة من الباب منتحبة. يستدير بات إلى لوقا ويمد يده نحوه)

لوقا : (ناظراً اليه فى دهشة) مرحى ! ماهذا ؟

سوینی : (بابتسامة متوددة) فلندع مافات يفوت . انى لم أكن أضمر نحوك أيه ضغينة ، هذه السنوات الأخيرة . كنت مجرد صبى عندما فررت هاربا ، ولايمكن أن تلام على ذلك . كنت سآخذ يدك مصافحا منذ لحظة مضت ، وبكل سرور ، لولا أنها كانت معنا . إن لها لسان الشيطان ذاته كما تعرف ، ولايمكنها أن تنسى ماكان ينشب بينكما من مشاحنات .

لوقا : (مازال متطلعا إلى يد سوینی) إذن، هكذا تسير الأمور. (بابتسامة باردة) حسنا، فلأجرب . (يتصافحان ، ويجلسان إلى المنضدة ؛ سوینی على المقعد الأمامى ولوقا على المقعد الأيسر).

سوینی : (يخرج الزجاجة من جيب سترته — بغمزة عين) هلا

تناولت جرعة ؟ إنه صنف جيد .

لوقا : بكل تأكيد ! (يتناول جرعة كبيرة ، ويرد اليه الزجاجة)

سويني : (يضع الزجاجة على المنضدة بعد أن تناول جرعة لنفسه) لم أكن أريد أن تراها ، وإلا لبادرت إلى دعوتك إلى الشراب منها . (تخيم برهة صمت ، يعاين كل منهما الآخر بنظراته)

لوقا : قل لى ، كيف حال العجوز الآن ؟

سويني : (بحذر) أوه ، كما كان على الدوام — أكثر تقدما فى السن ، وربما أكثر قبحا .

لوقا : إعتقدت أنه لابد أن يكون فى مستشفى المجانين الآن .

سويني : (متسرعا) فى الحقيقة لا ، من مكره أنه يتظاهر بأنه ملتاث العقل ، ولكنه محتفظ بقواه العقلية على الدوام .

لوقا : (ملمحا) أهو شحيح ، كما ألف أن يكون ؟

سويني : لو ملك المحيط لما أعطى سمكة جرعة ماء ، ولكننى أشك فى أن تكون مازالت معه أية نقود على الاطلاق . لقد جردته أملك منها كلها ، على ما أظن . (يبتسم لوقا ابتسامة متعالية فاهمة) لديه المزرعة فحسب ، وهى مثقلة بالرهن . كنت أدفع الفوائد وأعوله

وأدفع أتعاب أطبائه من النجارة ، هذه السنوات الخمس الماضية .

لوقا : (بابتسامة) هوه ! انت بطيء الفهم . يجدر بك أن تفيق إلى نفسك .

سويني : (متحريا) ماذا تعني بذلك ؟

لوقا : (مهولا) أو ، لاشيء . (يستدير وتتعلق عيناه بالحبل) ياللجحيم ، ماذا — (ينفجر فجأة في نوبة من الضحك الشديد ، ويضرب فخذه بكفه) هاها ها ! هذا خارق للمألوف ! ياله من عجوز مجنون !

سويني : ماذا ؟

لوقا : قل لي ، هل كان يعلق ذلك الحبل على الدوام ، منذ أن رحلت ؟

سويني : (مبتسما) مؤكد ، وهو يعتقد أنك ستعود إلى البيت لتشنق نفسك .

لوقا : هاهاها ! يا لهذا الكتكوت ! وتقول انت أنه ليس مجنونا ! جيه ، إنه لشيء جد طيب حتى يحتفظ به . يجب أن أشرب نخب ذلك . (يدفع سويني بالزجاجة نحوه ، فيرفعها صوب الحبل) هاك تحيتي ، أيها الصديق العجوز . (يشرب ثم يفعل سويني المثل) قل لي ،

كدت أنسى ذلك . أتذكر كم حمى غضبة ذلك اليوم الذى علق ذلك الحبل ، وصب علىّ اللعنات بسبب سرقتى للمائة ؟ كان يقف هناك ملوحا بعصاه إلىّ ، وكنت أنا أضحك لأنه كان يبدو جد مثير للسخرية ، وقد سال لعابه من فمه كما لوكان كلبا مسعورا . وعندما استدرت راحلا صاح فى أعقابى ؛ « تذكر ، عندما تعود إلى البيت مرة أخرى ، هناك حبل ينتظرك لتشنق نفسك به ، أيها الولد العاق ! » . (يبصق باحتقار) يا للقذارة . (تتغير طباعه ويقطب) ياله من نخاس ! من التعطيع أن يكون لفتى أب عجوز مثله !

سوينى : (يدفع الزجاجة اليه) خذ جرعة وانس الأمر . كان ذلك منذ أمد طويل مضى .

لوقا : ولكن الحبل مازال هناك ، أليس كذلك ؟ وهو يحتفظ به هناك . (يتناول جرعة كبيرة . ويشرب سوينى بدوره) ولكننى سأفلح معه كما يجب . إنتظر وسترى . سآخذ كل سنت لديه هذه المرة .

سوينى : (بمكر) لو كان لديه سنت واحد . إننى لا أريد أن أثبط عزيمتك، ولكن — (يهز رأسه فى شك، وفى الوقت ذاته يرمق لوقا بنظرة ثاقبة من طرف عينيه)

لوقا : (بغمزة مكبرة) أو ، لديه ، ولا شك . وسترى ! (تبدأ آثار الشراب الذى تناوله تظهر عليه . يخرج تبغاً وورقا ، ويلف سيجارة يشعلها . وبينما هو ينفخ دخانه يمضى فى حديثه بخيلاء) أنتم أيها الريفيون يجدر بكم أن تفيقوا من نومكم وتروا ماذا يجرى من حولكم . أنظر إلىّ أنا . كنت غريراً كالعشب الأخضر عندما رحلت من هنا ، ولكن الطواف حول العالم ، وزيارة المدن ، ومقابلة مختلف أصناف الناس ، والاحتفاظ بعينيك مفتوحتين — ذلك مايعلمك حيلة أريبة أو حيلتين .

سوينى : لاشك ، إنك على حق . نحن معشر القرويين بليدى الفهم فى أغلب الأمور . ليست لدينا الفرصة أن نتعلم الأشياء التى يمكن لفتى جوال مثلك أن يعرفها .

لوقا : (مسروراً) حسنا ، فتح عينيك لى وسأعلمك . (يكتم ضحكة) إذن ، أنت تعتقد أن الرجل العجوز مفلس ، أليس كذلك ؟

سوينى : إنى أعتقد ذلك .

لوقا : إذن ، فأنت ساذج . ذلك ماأنت عليه — ساذج ! إنك تدعه يضحك عليك .

سوينى : لو كان لديه شيء من النقود فهو مخفي خير الاخفاء .
أعرف ذلك . إنه على الدوام طائر عجوز مكير .

لوقا : وأنا طائر أشد مكراً منه . أتسمع ذلك ؟ إننى أستطيع أن أهزمه فى أى وقت . عليك أن تفتح عينيك لى ! (يمد يده إلى الزجاجة . يشربان معا من جديد . تبدأ سيماء السكر تبدو على سوينى . وتنطلق منه « زغطة » من آن لآخر ، ويضحى صوته مزعجاً أجش)

سوينى : سوف تكون عملية حاذقة أن يكتشف أحد أين خبأها.
بكل تأكيد .

لوقا : فتح عينيك لى ! سأعثر عليها . أراهنك على ما تشاء أننى سأعثر عليها . فتح عينيك لى ! إنتظر فقط حتى ينام وسأريك — الليلة . (هناك جلبة خطوات متخبطة فى الخارج ، وصوت آنى المولول يتعالى فى احتجاج غاضب)

سوينى : ششش ! إنه هو بعينه قادم الآن ! (ينهض لوقا ويقف مترقباً فى وضع دفاعى ، وقد ارتسمت المشاكسة على وجهه . بعد لحظة يظهر بينتلى فى الباب ، وفى أعقابه آنى . ثم يستند إلى الحائط ، فى حالة من من الانفعال غير العادى ، وقد ارتعش بدنه كله ، ويتنفس لاهثا ، وعيناه تفترسان لوقا من رأسه إلى قدمه)

آني : لم أكن أستطيع أن أفعل شيئا معه . عندما أخبرته أنه عاد لم يكن ثمة ما يوقفه . كان فمه يكاد يرغي ويزبد حتى تركته يخرج . (مولولة) عليك أن تهتم به ، يا بات ، إذ كنت تريد أي عشاء . لاأستطيع.

سوزي : اسكتي ! سنعني به .

آني : عليك أن تفعل . إني راجعة . (تمضي خارجة ، يمينا. يقف لوقا وأبوه. يرمق كل منهما الآخر بنظراته . يتلاشى تعبير المشاكسة من وجه لوقا بالذي تنبسط أساريره رويداً رويداً في ابتسامة متوترة عريضة)

لوقا : (ببشاشة) مرحبا ، أيها الرجل العجوز ! أحسب أنك شديد الفرح لرؤيتي — مثل الجحيم ! (يتهته العجوز ويتعلعثم مضطربا كما لو كانت شدة رغبته في الكلام قد شلت كل مقدرته على النطق . يستدير لوقا إلى بات) أرى أنه لم يفقد عصاه القديمة . ماأكثر ماشج رأسي بتلك العصا .

بنيتلي : « أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه واجعلوا خاتما في يده وحذاء في رجليه . وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح . لأن ابني هذا كان ضالا فوجد»(١) .

---

(١) الكتاب المقدس — العهد الجديد — انجيل لوقا — الاصحاح الخامس عشر — من الآية العشرين الى الثالثة والعشرين .

لوقا : (مستهجنا) لازلت تتلفظ بكلمة الرب التى عفا عليها الزمن ، كما كنت تفعل دائماً ، إيه ؟ أقول لك هلا أرحتنا من تلك الأشياء، من فضلك؟ تعال ،وصافحنى كرجل طيب. (يمد يده. فيمضى العجوز إليه مرتجا، مادا يداً مرتعشة. يمسك بها لوقا ويهزها إلى أعلى وإلى أسفل) ذلك هو الفتى !

سوينى : (مندهشا بغير تصنع) أنظر إلى ذلك ، هلا فعلت — الكذاب العجوز المنافق .(يجيل بينتلى يده المرتعشة على جسد لوقا كله متحسسا ذراعيه ، وصدره ، وظهره . ويغمر قسماته المنهكة تعبير من الفرح الطاغى)

لوقا : (يبتسم لسوينى ابتسامة متوترة) أنظر إلى هذا. (ببشاشة متسامحة) فى قرارة نفسى أعتقد أن الفتى العجوز مسرور لرؤيتى هنا. يبدو كما لو كان يحاول أن يكشر عن أسنانه مبتسما ، وأنا لم أره قط يبتسم ، لايمكننى أن أتذكر ذلك .(إزاء محاولة بينتلى تحسس وجهه) هاى ، كفى! (يدفع يده بعيداً ولكن فى غير ماعنف) أنا بلحمى وشحمى هنا ، لست بحاجة إلى القلق ، لست بحاجة إلى أن تخشى أن أكون شبحاً . تعال واجلس قبل أن تخر واقعا . إن ساقيك اللتين اعتادتا ركوب البحر لا تقومان بعملهما على مايرام.

(يقود العجوز إلى المقعد إلى يسار المنضدة) إجلس هنا هنيهة واسترد أنفاسك . (يغوص بينتلى جالسا على المقعد . يمد لوقا يده فى طلب الزجاجة) تناول جرعة من الشراب نخب عودتى . إنها ستنعشك .

سوينى : (منزعجا) حذار ، يالوقا . أنها ربما تقضى عليه .

لوقا : (يرفع الزجاجة إلى فم الرجل العجوز ، مسنداً رأسه بيده الأخرى . يجرع بينتلى ، ويسيل الويسكى على ذقنه ، ويروح فى نوبة من السعال المتشنج . يضحك لوقا) ها ها ها ! نزل الشراب فى الطريق الخاطىء ، اليس كذلك ؟ سأريك كيف تفعل (يشرب) هاك — فى نعومة الحرير . (يناول الزجاجة إلى سوينى الذى يشرب ، ويضعها من جديد على المنضدة)

سوينى : لابد أنه مسرور لرؤياك وإلا لما شرب . لقد امتنع كلية عن الشراب هذه السنوات الخمس السابقة . (هازا رأسه) وهو يلعنك ليل نهار ! لا أستطيع أن أفهم شيئا فى الموضوع . كن حذراً فقد ينوى أن يلحق بك أذى ما خفية . إنه ماهر فى التظاهر .

لوقا : (إزاء إتيان العجوز لإشارات بيده إليه) ما الذى يهدف إليه الآن ؟ انه يتظاهر بأنه قد فقد صوته من

جديد . ماذا تريد ؟ (يشير بينتلى بعصاه إلى الحبل . تتحرك شفتاه فى تشنج بينما يبذل جهداً هائلا ليخرج الكلمات)

بينتلى : (يتمتم بالكلام فى غير ما تماسك) لوقا — لوقا — الحبل — لوقا — إشنق نفسك .

سوينى : (مرتاعا) ها أنت ذا ! ماذا قلت لك ؟ ان يراك تشنق نفسك ، هذا ما يريد الشيطان العجوز !

بينتلى : (مومئا برأسه) أجل — لوقا — إشنق نفسك .

لوقا : (آخذا الأمر على أنه مزحة — بقهقهة عالية) هاهاها ! أليس ذلك أمر خارق للعادة ! العنزة العجوز . حسناً . أيها الرجل العجوز ، أنا تحت أمرك . ها ها ها ! (يأخذ المقعد من اليسار ويضعه تحت الحبل . يراقبه العجوز بعينين متحمستين ، ويبدو عليه أنه يحاول الابتسام . يقف لوقا على المقعد)

سوينى : خذ حذرك ، الآن ! ما كنت أمزح فى هذا الأمر ، لو كنت فى مكانك .

لوقا : إخرجوا جميعاً لمشاهدة الحدث الكبير ، لوقا بينتلى يشنق نفسه . (يضع عقدة الحبل حول عنقه فيبدو سكيراً متهوراً ، ويبتسم لأبيه . يأتى هذا الأخير

بحركات عنيفة طالباً منه أن يمضى) أنظر إليه ، يا بات . بالله ، إنه فى عجلة . هاها ها ! حسناً ، أيها الرجل العجوز ، ها أنا أمضى غير مأسوف على . (يأتى بحركة كما لو كان سيقفز و يركل المقعد من تحته)

سوينى : (يهب واقفاً على قدميه نصف وقفة — هلعاً) لوقا ! هل جننت ؟

لوقا : (يقف متطلعاً إلى أبيه الذى لازال يأتى بحركات طالباً منه أن يقفز . يحل العبوس رويداً رويداً محل انفراجة فمه البشوش) هل تعنى ذلك حقاً — إنك تريد أن ترانى أشنق نفسى ؟ (يومىء برأسه فى عنف علامة الايجاب. يحدق إليه لوقا لحظة فى صمت) . حسناً لعنة الله على ! (إلى بات) كنت أعتقد أنه يداعبنى فحسب . (يرفع الحبل من حول عنقه بحذر . يدق العجوز الأرض بقدمه ويأتى بحركات عنيفة ، متأوها فى استياء . يقفز لوقا إلى الأرض وينظر إلى والده وهلة ، ثم يمتقع وجهه فى ثورة شريرة) سأجهز عليك ، أيها القاتل العجوز النتن ! (يمسك بالكرسى من ظهره ويحركه فوق رأسه كما لو كان سيهم بأن يسحق جمجمة بينتلى به . يخر العجوز على المقعد فى رعب مفعم بالهوان) .

سوينى : (يقفز على قدميه واقفاً وقد ندت منه صرخة تحذير) لوقا ! وحق محبة الله . (يتردد لوقا ويرمى الكرسى إلى الخلف تحت الصومعة ، ويقف أمام أبيه متوعداً وقد وضع يديه على ردفيه)

لوقا : (يمسك بكتف بينتلى ويهزه — فى عنف) كنت تريد أن ترانى مشنوقاً هناك بعزم أكيد ، أليس كذلك ؟ وأنت أبى أنا ! أيها الصعلوك الملعون ! هلا فعلت ، لو استطعت ؟ اننى على استعداد أن أهشم دماغك لقاء فلس واحد . (يهز العجوز فى غضب يتزايد أكثر فأكثر)

سوينى : لوقا ! انتبه ! إنك على وشك أن تقتله !

لوقا : (يهز أباه هزة أخيرة تلقى به واقعاً على الأرض) أخرج من هنا ! أخرج هذه اللحظة قبل أن أقتلك ! (يندفع سوينى إلى الرجل العجوز الذى امتلأ رعباً ويقيمه من عثرته) خذه خارجاً من هنا ، يا بات ! (يعلو صوته إلى زمجرة متوعدة) أخرجه من هنا وإلا كسرت كل عظمة فى جسمه ! يرفع قبضتيه المطبقتين فوق رأسه فى ثورة حانقة)

سوينى : ششش ! لا تزمجر صائحاً ! أنا سآخذه . (يقود بينتلى

المواول المرتاع إلى الباب) إخرج من هذا الباب حالا .
إنزل إلى البيت! أسرع الآن! لقد صنعت من المتاعب ما يكفي لليلة واحدة. (يخرجان من اليمين. يلقي لوقا بنفسه متنفساً بشدة . يتناول الزجاجة ويجرع منها جرعة طويلة ويعود سويني داخلا من الخلف . ويمضي إلى الجلوس في مكانه السابق) شكراً لله ، إنه نزل إلى البيت منطلقاً بسرعة مثل أرنب بري خائف ، كما لو لم يكن قد مرض بساقيه قط في حياته . كان يئن بصوت مرتفع حتى تكاد تسمعه من بعيد . (متنهداً) إنه مجنون عجوز قتال ، بكل تأكيد .

لوقا : (بغاظة) الصعلوك اللعين !

سويني : أعتقد أنك كنت ستقتله تلك المرة بالكرسي .

لوقا : (بعنف) لو كنت قد فعلت لأعطيته جزاءه .

سويني : وكنت تضحك عليه قبل ذلك ! إعتقدت أنك إنما كنت تمزح .

لوقا : (مكتئباً) لقد كنت ألعب به ، ولكنني اعتقدت أنه كان يحاول أن يلعب بي ، أيضاً . ثم تبينت مصادفة أنه كان يعني حقاً ما كان يفعله . (ضارباً المنضدة بقبضته) أليس ذلك العجوز فظيعاً لا يطاق بالنسبة إليك !

سويني : إنه خنزير خسيس عجوز .

لوقا : ولقد عنى جيداً ما كان يفعله . كان يجدر أن تراه وهو ينظر إلى . (وقد حل به غم مفاجىء) أليس من الجحيم أن يكون لفتى مثل هذا الأب العجوز الرائع ؟ أليس كذلك !؟

سوينى : (مواسياً) هدىء من روعك ! إنتهى الأمر كله الآن . لا تفكر فيه .

لوقا : (على وشك أن تنفطر من عينيه دموع مخمورة) كيف أقوى على عدم التفكير – وهو أبى ؟ بعد أن جبت الأرض العطنة متخبطاً جائعاً ، أكد وأكدح حتى الموت على السفن وغيرها – وعندما أعود إلى البيت يحاول أن يجعلنى أجهز على نفسى – يريد أن يرانى جثة – أبى أيضاً ! أليس من الجحيم أن يكون لك أب عجوز مثله ؟ الصعلوك النتن !

سوينى : لقد مضى الأمر وانتهى . إنسه . (يخبط لوقا على كتفه ويدفع الزجاجة نحوه) دعنا نتناول جرعة أخرى . سنذهب للعشاء حالا .

لوقا : (يتناول جرعة كبيرة – بصوت أجش) شكراً . (يمسح فمه على كمه وهو يخن بأنفه) ولكن سأخبرك بشىء يمكنك أن تضعه فى غليونك وتدخنه . إن الأمر لم

يمض ولم ينته ، ولن يحدث ذلك . (بصوت تتزايد رنة العداوة فيه) ولن أنسه ، أنا كذلك ! يمكنك أن تراهن بحياتك على هذا ، أيها الزميل . وهو لن ينساه — ولو عاش مليون عام — مهما رأى — (بغضب مفاجيء) سأجهز عليه ! سأسوى الحساب معه ؛ ذلك العجوز ! فتح عينيك لى ! وهذه الليلة بعينها ، أيضاً !

سوينى : ماذا تعنى ؟

لوقا : فتح أنت عينيك لى فحسب ، أقول لك ! (ضارباً المنضدة بشدة) قلت انى سأسوى الحساب معه وسأسويه — هذه الليلة ذاتها ، وبلا انتظار طويل! (مقطباً) قل لى أنت لا تقف فى صفه ، أليس كذلك ؟

سوينى : (باصقاً — بحدة) هذا كلام أطفال . لم يمض يوم إلا وتمنيت أن أراه فى قبره .

لوقا : (منفعلا) إذن ، سيصفى كلانا الحساب معه — انت وأنا. نحن شريكان ، أليس كذلك . ؟

سوينى : ويمكنك أن تأخذ نصف ما نحصل عليه . ذلك يريك أى صنف من الشركاء أنا ! هذا عادل بما فيه الكفاية ، أليس كذلك ؟

سوينى : مؤكد .

لوقا : لا أريد أن تكون لى معاملات بشأن هذه الضيعة العطنة . يمكنك أن تحصل على نصيبى فيها . اننى لم أخلق لكى أكون فلاحاً قذراً — لست أنا ذلك الرجل ! ولن أتلكأ هنا أطول مما يجب ، وعندما أرحل هذه المرة لن أعود قط . لست أنا ذلك الرجل ! لن أنبش القاذورات وأحلب الأبقار . يمكنك أن تأخذ الضيعة العطنة كلها لك . ما أريد أنا هو النقد — عملة رسمية يمكنك إنفاقها — لا قاذورات . أريد أن أرتب لصحابى وقتاً ممتعاً ، ثم أقلع مبحراً مرة أخرى ، أو أمضى فى تسكعى من جديد . أريد نقوداً يمكنك أن تطوح بها — مثلما طوحت إبنتك بدولارى ذاك إلى البحر ، أتذكر ؟ وكان دولاراً حقيقياً ! إنها صبية مبسوطة اليد بكل تأكيد .

سونى : (مهتماً بأن يعيده إلى الموضوع) لكن أين تعتقد أنك ستجد نقوده ؟

لوقا : (بثقة) لا تقلق . سأريك . فتح عينيك لى ! إنى أعرف مخابئه . لقد اعتدت أن أتجسس عليه عندما كنت صبياً — كانت أمى تجعلنى أفعل ذلك — وقد رأيته العديد من المرات فى تسللاته (بازدراء حانق) لقد ألف أن يخفى نفايات عن السيدة العجوز . ماذا تعرف أنت عنه — الدنىء القذر :

سوينى : كان ذلك من وقت طويل مضى . إنك لا تعرف —

لوقا : (مؤكداً) ولكننى ، أعرف فعلا ! إن لديه مكانين : كان احدهما حيث سرقت المائة .

سوينى : لن تكون هناك ، إذن .

لوقا : كلا ، ولكن هناك المكان الآخر ، وهو لم يعرف قط أننى فطنت إليه . كنت سأتركه خاوى الوفاض ، الا أننى كنت صغيراً ، وخفت أن أخطف المزيد . لذلك فتح عينيك لى ! سنسوى الحساب معه ، انت وأنا ، ويأخذ كل منا النصف ، ويمكنك أن تبدأ فى استثمار الضيعة العطنة من جديد ، وأنا سأنطلق إلى حيث توجد بعض المتعة .

سوينى : لكن إذا لم يكن ثمة نقود فى ذلك المكان ، ماذا ستفعل عندئذ ، لكى تجد أين هى ؟

لوقا : عندئذ ، انت وأنا سنجعله يخبرنا !

سوينى : أوهو ، لا تظن ذلك ! ليس هو بمن يخبرنا .

لوقا : أو ، أقول لك أنت ساذج ! فتح عينيك ! أعرف حيلة أو حيلتين عن جعل الناس يقولون مالا يريدون قوله (يلتقط الأزميل من المنضدة) أترى هذا ؟ حسناً ، لو لم يستجب بلطف وسهولة سنريه ! (تستقر على

وجهه ابتسامة متوترة شرسة) سنسوى الحساب معه ، انت وأنا — وسيقول أين هى مخبوءة . إننا فقط سنزج بهذا إلى الموقد حتى يحمر متقداً ، ونخلع حذاءه وجوربه ، وسنشوى له أخمص قدميه . (بوحشية) سيقول حينذاك — أى شىء نريده ، أن يقوله :

سوينى : لكن آنى ؟

لوقا : سندس بخرقة فى فمها حتى لا يمكنها أن تصرخ : ذلك سهل :

سوينى : (تتدلى رأسه مخمورة — بنظرة جانبية قاسية) سيكون من المفيد له كل الفائدة أن تلهب له بطنى قدميه ؛ ذلك العجوز الأعرج البخيل ! لو لم تفرط فى إيذائه —

لوقا : (وقد عبس وجهه فى وحشية) لن نؤذيه — أكثر من اللازم . (ثائراً فجأة) سارد إليه الصاع صاعين ! عندما أحصل على مرادى منه لن يريد أناساً يشنقون أنفسهم بعد ذلك . سأجهز عليه ! (يقف على قدميه متطوحاً والأزميل فى يده) هيا ! لننهض إلى العمل . كلما أسرعنا بالبدء كلما كان غنانا أسرع . (ينهض سوينى . وهو أكثر ثباتاً على قدميه من لوقا. فى هذه اللحظة تظهر مارى عند الباب .)

ماری : أمی تقول إن العشاء جاهز . لقد تناولت أنا عشائی .
(تدخل إلى الغرفة ، وتقفز محاولة أن تمسك بالحبل)
إرفعنی ، يا خالی لوقا . أريد أن أتأرجح .

لوقا : (بصرامة) إياكی أن تلمسی ذلك الحبل ، أتسمعين ؟

ماری : (مولولة) أريد أن أتأرجح .

لوقا : (برعشة) هذا شیء سیء ، ياصبية . دعيه وشأنه ، خذيها نصيحة منی .

سوينی : ستنال علقة طيبة ، لو ضبطها تقفز إليه .

لوقا : هيا ، أيها الزميل ، فليذهب العشاء إلى الجحيم . لدينا عمل يجب علينا أن ننجزه أولا . (يمضيان إلى الباب)

سوينی : (مستديراً إلى ماری العابسة) وأنت إبقی هنا ، أتسمعين ، أيتها الطفلة ، حتی نناديك — والا سلخت جلدك حية .

لوقا : وغداً صباحاً ، يا صبية ، سأعطيك قبضة بأكملها من تلك الأشياء اللامعة الوضاءة التی طوحت بها إلى المحيط — ويمكنك أن تكونی مبسوطة اليد حقاً .

ماری : (بحماس) إعطنی الآن ! إعطنی الآن ، يا خالی لوقا (إزاء هزة من رأسه — مولولة) إعطنی واحداً ! إعطنی واحداً !

اوقا : لا يمكن ، يا صبية . غدا . أنا وأبوك سوف نسوى الحساب الآن ــ سنجعله يدفع ثمن ــ

سوني : (مقاطعاً ــ بخشونة) كف عن ضجيجك ! أتعتقد أنها بلا أذنين ؟ لا تتكلم كثيراً إلى هذا الحد . هيا تعال ، الآن :

لوقا : (سامحاً لنفسه أن يجذب من الباب إلى الخارج) حسناً ! أنا معك، سنسوى الحساب ــ انت وأنا . الصعلوك اللعين ! (يخرجان من اليمين متطوحين)

(تقفز مارى إلى الباب وتطل فى أعقابهما لحظة . ثم تعود إلى وسط الغرفة وتجيل النظر حولها فى عزم . ترى المقعد تحت الصومعة فتجرى إليه وتجذبه وتقيمه على قوائمه تحت عقدة الحبل مباشرة . تصعد على المقعد وتقف على قمته وتمسك العقدة بكلتا يديها الممدودتين إلى أعلى . ثم بصيحة فرح تركل المقعد من تحتها وتدفع نفسها لتتأرجح . يبدو على الحبل أنه ينفصل حيث هو مثبت عند عارضة السقف . ويسقط على الأرض كيس رمادى قذر مربوط عند نهاية الحبل محدثاً ارتطامة رنة مكتومة . تنكفىء مارى إلى الأمام وتقع أرضاً على يديها وقدميها باكية . تسقط حزم القش من كومة التبن العطن فى سكون إلى الأرض وتثير نقعاً .

إذ تكتشف مارى أنها لم تصب باذى ، تجيل نظراتها بسرعة حولها وترى الكيس . فتدفع نفسها زاحفة على الأرض إليه ، وتفك الخيط الذى فى أعلاه وتدس فيه يدها . تطلق صرخة سرور لما تحس بوجوده فى داخله وتقلب الكيس رأساً على عقب صابة محتوياته فى حجرها . ثم تنهض واقفة على قدميها وهى تضحك ضحكة مكبوتة . وتذهب إلى الباب حيث تفرغ على مقربة منه بداخل المخزن ما بحجرها فى كومة على الأرض . خمسون قطعة من الدولارات الذهبية من فئة العشرين استقرت هناك فى كومة صغيرة تلمع متألقة فى وهج شمس الغروب الخافت : تصفق مارى بيديها وتغنى لنفسها : «إرمى — إرمى — إرمى» ثم تلتقط بسرعة أربعة أو خمسة منها وتمضى خارجة إلى حافة الصخرة ، وتلقى بها الواحد تلو الآخر فى المحيط بقدر ما يمكنها من السرعة ، وتنحنى على الصخرة لتراها وهى ترتطم بالماء . وفى الأغوار سحب الأفق ما زالت مخضبة باللون القرمزى المطموس . تقفز مارى فى نوع من الرقص الغريب ، وتصفق وتضحك مجلجلة . وبعد أن تلقى بآخر دولار تندفع عائدة إلى المخزن لاستحضار المزيد)

ماری : تملأ يدها بالدولارات ـــ ضاحكة بفرح غامر)

ارمی ! ارمی !

(تستدير وتجرى خارجة لتلقى بها بينما يسدل الستار)



الفهرس

صفحة

